جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليـــا

الحوار في القرآن الكريم

إعداد

معن محمود عثمان ضمرة

إشراف

الدكتور محمد حافظ الشريدة

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

2005

الحوار في القرآن الكريم

إعداد

معن محمود عثمان ضمرة

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 5 /1 / 2005م وأجيزت

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1- الدكتور محمد حافظ الشريدة (مشرفاً ورئيساً)	محمد حافظ صالح الشريدة التوقيع .....
2- الدكتور محمد يوسف الديك (ممتحناً خارجياً)	.....
3- الدكتور محسن سميح الخالدي (ممتحناً داخلياً)	.....

الإهداء

إلى والدتي الحنونة التي منحتني كثيراً من عطائها وصبرها ودعـــائها، والتي بثّت فـــيّ روح التضحية وحـــب الخير، راجـــياً الله – تبارك وتعالى – أن يديم لها الصحة، ويطيل فـــي عمرها، ويحسن عملها.

إلى والدي الحبيب الذي اهتم بتربيتي منذ نعومة أظفاري، والذي كان حريصاً علـــى أن أنهل من معين العلم الشيء الكثير، والذي لم يدّخر جهداً في سبيل تقديم العون والدعم لي.

إلى زوجتي الوفية " أم محمود " التي حملت معي هموم الحياة، وكانت نعم العون لي في كل ملمة، وخير سلوان في كل محنة.

إلى ابني وابنتي اللذَين أبتهل إلى الله – سبحانه – أن يكلأهما بالعنايـــة والرعايـــة، وأن يزيدهما علماً ونوراً وهداية.

إلى شقيقي وشقيقاتي الذين حرصوا على رفع معنوياتي في كل الظروف والأحوال.

إلى الذين نهلت من ينابيعهم العذبة الصافية الكلمة الطيبة، فكان لهم الفضل عليّ في هذا المقام.

إلى أسرة مديرية التربية والتعليم في محافظة طولكرم.

أهدي هذه الرسالة

الباحث

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذه الرسالة، أحمده على توفيقه ورعايته وبعد،

فإنني أشكر الأخ الفاضل الأستاذ الدكتور محمد حافظ الشريدة – الذي تكرّم بالإشـــراف على رسالتي – على جهوده الطيبة، وتضحيته بالوقت الكافي من أجل تنقيح رسالتي وتصـــويب مادتها، إذ كان – جزاه الله خيراً – لا يقصّر في إسداء النصح والإرشاد والتوجيهات الســـديدة. كما أتقدّم بالشكر الجزيل للإخوة الأفاضل في كلية الدراسات العليا وكلية الشريعة على جهودهم ومساعدتهم لي في أثناء دراستي – فبارك الله فيهم –.

ولا يفوتني أن أشكر العاملين في مكتبة دار الحديث الشريف في مدينة طولكرم، والإخوة العاملين في مكتبة مسجد أبي بكر الصديق في نور شمس، الذين قدّموا كل التسهيلات الممكنـــة لإتمام هذه الرسالة، فجزاهم الله خيراً وسدّد خطاهم.

وأخيراً إلى كل من قدّم لي يد العون والمساعدة وافر الشكر وعظيم الامتنان.

الباحث

المحتويات

الرقم	الموضـــوع	الصفحة
1	قرار لجنة المناقشة	ب
2	الإهداء	ت
3	شكر وتقدير	ث
4	فهرس المحتويات	ج
5	ملخص البحث	ر
6	مقدمة	1
7	أهمية البحث وأسباب اختياره	2
8	الجهود السابقة	3
9	منهج البحث	4
10	خطة البحث	5
11	التمهيد: مفهوم الحوار	8
12	المبحث الأول: الحوار في اللغة	9
13	الحوار في الاصطلاح	10
14	المبحث الثاني: بين الحوار والجدال	15
15	المبحث الثالث: شخصية المحاور الناجح	20
16	المطلب الأول: البيان في الحوار	21
17	المطلب الثاني: دور الأمثلة في المحاورة	24
18	**الفصل الأول: نماذج من الحوار في القرآن الكريم**	**27**
19	المبحث الأول: الحوار بين الرسل وأقوامهم	28
20	المطلب الأول: الحوار بين نوح – عليه السلام – وقومه	29
21	شبهات الملأ ضد نوح – عليه السلام – وردوده عليها	32
22	دروس وعبر من حوار نوح – عليه السلام – مع قومه	36
23	المطلب الثاني: الحوار بين هود – عليه السلام – وقومه	38
24	دروس وعبر من قصة هود – عليه السلام –	42
25	المطلب الثالث: حوارات إبراهيم – عليه السلام –	44
26	حوار إبراهيم – عليه السلام – مع خالقه	44
27	حوار إبراهيم – عليه السلام – مع والده	46
28	أهم الإشارات التي تم استنتاجها من حوار إبراهيم – عليـــه	48

	السلام – مع أبيه	
29	إبراهيم – عليه السلام – يهدي قومه عن طريق الحوار	50
30	المناظرة الكبرى بين إبراهيم – عليه السلام – والملك	52
31	المطلب الرابع: الحوار بين شعيب – عليه السلام – وقومه	55
32	شعيب – عليه السلام – ينصح قومه	56
33	ردّ قوم شعيب – عليه السلام – على دعوته	57
34	موقف شعيب–عليه السلام–من ردود قومه على دعوته	59
34	نتيجة المحاورة بين شعيب–عليه السلام– وقومه	61
36	وقفة تأمل في هذا الحوار	63
37	المبحث الثاني: الحوار بين موسى –عليه السلام– والعبد الصالح	64
38	اللقاء بين موسى–عليه السلام– والعبد الصالح	66
39	موسى والخضر –عليهما السلام– يركبان السفينة	68
40	الخضر يقتل الغلام وموسى يعترض	69
41	الخضر يبني الجدار وموسى يعترض	70
42	الخضر يفسّر لموسى أفعاله الثلاثة قبل مفارقته	70
43	العظات والأحكام المستفادة من حوار موسى مع الخضر	72
44	المبحث الثالث: الحوار في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف	74
45	تفصيل القصة كما ذكرها القرآن الكريم	74
46	نصيحة المؤمن لصاحبه الكافر	75
47	المفاجأة المدهشة بدمار الحديقتين	77
48	التعقيب الرباني على هذا الحوار	77
49	المبحث الرابع: الحوار بين السادة والأتباع الذين أضلّوهم	79
50	المطلب الأول: الحوار بين الأتباع والمتبوعين: (براءة ومفاصلة)	80
51	أهم العبر المستفادة من هذا الحوار	82
52	المطلب الثاني: أهل النار في حوارهم وتخاصمهم	83
53	المعطيات العملية لهذا الحوار	85
54	المطلب الثالث: الحوار بين الضعفاء والمستكبرين	86
55	المناظرة بين الشيطان وأتباعه	87
56	دروس الحاضر	88

57	المطلب الرابع: الحوار بين الأتباع والمتبوعين (استكبار وندامة)	90
58	موقف الأتباع في هذا الحوار	91
59	ردّ السادة على أتباعهم	91
60	المبحث الخامس: الحوار بين الخير والشر في قتل النفس	94
61	مقارنة بين نموذجين	95
62	نتيجة الحوار بين الأخوين	97
63	قيم تربوية من هذا الحوار	99
64	**الفصل الثاني: قواعد الحوار والإقناع**	**100**
65	المبحث الأول: الاحترام المتبادل	102
66	المظاهر التي ينبغي مراعاتها في الاحترام المتبادل في أثناء الحوار	103
67	الإنصاف	103
68	عدم الاستعجال في الرد على الخصم	103
69	الهدوء في أثناء الحوار	105
70	بسط الوجه	106
71	التركيز على الرأي لا على صاحبه	106
72	مأخذ هذا الأصل من عدة قواعد شرعية	108
73	المبحث الثاني: البحث عن الحقيقة والسعي إليها	110
74	المطلب الأول: التزام الموضوعية والبعد عن التعصّب	111
75	المطلب الثاني: إبراز الحقائق الثابتة في الحوار	115
76	المبحث الثالث: الرفق واللين في الحوار	120
	المطلب الأول: أهمية الجدال بالتي هي أحسن	121
80	المطلب الثاني: الرفق في حوار الأنبياء–عليهم السلام– مع أقوامهم	124
81	المطلب الثالث: المداراة في الحوار	127
82	**الفصل الثالث: آداب الحوار والمناظرة**	**130**
83	المبحث الأول: حسن الصمت والإصغاء	132
84	المبحث الثاني: كيفية إنهاء الحوار	136

85	المبحث الثالث:	134
86	إنزال العقوبة	134
87	قبول الحق	137
88	كلمة الفصل	138
89	إنهاء الحوار بإغلاق النقاش	138
90	المبحث الرابع: تنبيهات ووصايا	140
91	توفر الحرية الفكرية	140
92	تحديد الغاية والهدف من الحوار	141
93	تحرير محل النزاع	142
94	التجرّد في الحوار	143
95	البدء بنقاط الاتفاق	145
96	**الفصل الرابع: الحوار الحضاري من منظور قرآني**	**147**
97	الحضارة لغة واصطلاحاً	148
98	المبحث الأول: حوار الحضارات في ضوء قوله تعالى " وجعلناكم شعوباً..."	150
99	مرتكزات تعارف الحضارات	152
100	المبحث الثاني: منطلقات حوار الحضارات	154
101	الإيمان الصادق	145
102	تحديد المصطلحات بدقة	155
103	الاعتراف بالآخر واحترامه	157
104	معرفة حقيقة الآخر بواقعية	157
105	توثيق المعلومات بالأدلة	158
106	المبحث الثالث: أهداف حوار الحضارات	160
107	تعزيز القيم والمبادئ الإنسانية	160
108	تصحيح معلومة خاطئة	161
109	إظهار سماحة الإسلام	161
110	تحقيق التواصل	162
111	دعوة الإنسانية إلى قيم الحق العليا	162
112	المبحث الرابع: حوار الحضارات بين التفاعل الحضاري والخصوصية الحضارية	164

113	الخاتمة	167
114	فهرس الآيات الكريمة	172
115	فهرس الأحاديث الشريفة	182
116	التعريف بالأعلام	183
117	فهرس الأعلام	191
118	المراجع والمصادر	192
119	ملخص البحث باللغة الإنجليزية	b

الحوار في القرآن الكريم

إعداد الطالب

معن محمود عثمان ضمرة

إشراف الدكتور

محمد حافظ الشريدة

الملخص

لقد جعلت البحث في تمهيد وأربعة فصول. وقفت من خلال التمهيد على مفهوم الحوار في اللغة والاصطلاح، وبينت أهم الفروق بين الحوار والجدال.

وفي الفصل الأول، تناولت نماذج من الحوار في القرآن الكريم، من خلال الحوار بين الرسل – عليهم السلام – مع أقوامهم، وبحثت في الحوار بين موسى – عليه السلام –والعبد الصالح، والحوار بين السادة والأتباع الذين أضلوهم (يوم القيامة)، واستخلصت أهم العبر والدروس المستفادة من الحوار في هذه النماذج.

وفي الفصل الثاني، تناولت قواعد الحوار والإقناع، مبتدئاً بالاحترام المتبادل بين المتحاورين، ثم البحث عن الحقيقة، وختمت هذا الفصل بالرفق واللين والدفع بالتي هي أحسن.

وفي الفصل الثالث، عالجت آداب الحوار والمناظرة، والتي منها: حسن الإنصات، وشخصية المحاور، وكيفية إنهاء الحوار، وخرجت بعدة توصيات تفيد في الحوار الناجح.

وفي الفصل الرابع، تناولت حوار الحضارات من منظور قرآني، وبينت ضوابطه وأهدافه.

وقد خرجت من خلال بحثي هذا بالعديد من القواعد والآداب الواجب مراعاتها حتى يكون الحوار هادفاً وناجحاً، وأوصيت كل الدعاة والمحاورين أن يلتزموا هذه القواعد والآداب.

والله ولي التوفيق

مقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِه ولا تَموتّنَّ إلا وَأَنْتُم مُسْلِمُون)) [1].

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً {1})) [2].

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً {70} يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً {71})) [3].

أما بعد:

فمن أبرز الأساليب الحكيمة والبليغة التي استعملها القرآن الكريم، في إقامة الأدلة على وحدانية الله – تعالى –، وعلى صدق الرسل الكرام – عليهم السلام – فيما يبلغون عن ربهم – عزوجل –: أسلوب الحوار من أجل الوصول إلى الحق عن اقتناع عقلي، وارتياح نفسي، يجعل صاحبه يعيش حياته وهو ثابت على ما آمن به ثباتاً لا ينازعه ريب، ولا يخالطه شك.

([1]) { آل عمران: 13 }.
(2) { النساء: 1 }.
(3) { الأحزاب: 70، 71 }.

ولعل من الأدلة على ذلك: أن مادة "القول" وما اشتق منها كقال، ويقول، وقل.....إلـــخ. هذه المادة التي تدل على التحاور والمراجعة بين الناس في أمور معينة قد تكررت في القــرآن الكريم أكثر من ألف وسبعمائة مرة [1].

وسنرى في هذا البحث – إن شاء الله تعالى – أن القرآن الكريم قد استعمل في إثباته للحق الذي أمر الخالق – عز وجل– عباده باتباعه، أحكم الأساليب، وأنصع الأدلة، وأقوى البراهين، التي تقنع العقول السليمة، والقلوب الطاهرة، والتي تجعل المؤمنين يزدادون إيماناً على إيمانهم.

أهمية البحث وأسباب اختيار الموضوع

لقد دفعني لاختيار هذا الموضوع جملة من الأسباب منها:

1- استغلال الوقت، وتحيّن الفرص في تبليغ الدعوة من خلال حوار هادف وبنّاء، يؤدي إلـــى إقناع راسخ.

2- إبراز أسلوب الحوار بشكل لافت، بحيث يتم توظيفه في كثير من المناسبات والمواقف التي تواجه الدعاة.

3- التأكيد على أن الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.

4- أهمية الحوار باعتباره وسيلة من أهم وسائل الدعوة إلى الله – عز وجل –، يمكن أن يحقّق فوائد جمّة ؛ إذا امتلك الداعية أدواته وهو يحاور الآخرين.

5- الوصول إلى قواعد أساسية منهجية، يرجى أن تكون عوناً جميلاً لكل داعية.

---

(1) عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكــريم**، دار الفكــر، بيــروت، (1401هـــ – 1981م)، ص(554-578).

الجهود السابقة

لا بد من التعريج على الجهود العلمية والدراسات التي بذلت في موضوع الحوار، اعترافاً لأهل الفضل بفضلهم ولأهل السبق بسبقهم، لذا فإنني أذكر باختصار أهم تلك الجهود والدراسات التي خلّفها الباحثون في موضوع الحوار.

1- العلامة محمد حسين فضل الله.

لقد كان للسيد محمد حسين فضل الله جهود مشكورة في البحث في الحوار، وكتابه " الحوار في القرآن " لا يستغني عنه باحث في هذا الموضوع.

2- الشيخ محمد سيّد طنطاوي.

لقد عالج الشيخ طنطاوي موضوع الحوار في كتابه المعروف " أدب الحوار في الإسلام"، واستعرض فيه أبرز الآداب التي تخص المحاورة الهادفة، وبيّن نماذج من حوارات الرسل – عليهم السلام – مع أقوامهم.

3- الأستاذ محمد راشد ديماس.

ألّف الأستاذ ديماس كتيّبه القيم " فنون الحوار والإقناع "، وركّز فيه على أهم قواعد الحوار والمناظرة.

هذه إشارات سريعة لجهود السابقين، تاركاً التفصيل إلى ثنايا البحث وفصوله – إن شاء الله تعالى –. ويمكن القول: إن هذا البحث سيكون جديداً – بإذن الله – لأنه يؤصّل الحوار تأصيلاً شرعياً ؛ يستند إلى النصوص الشرعية من القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية الشريفة، وفق قواعد التفسير الموضوعي.

منهج المعالجة للموضوع

لقد كان منهجي في البحث على النحو الآتي:

1. جمع الآيات القرآنية التي تتصل بموضوع الحوار والجدال والمناظرة.
2. النص على مناسبة هذه الآيات في سورها واتصالها بالآيات التي ذكرت بعدها، وذكرتُ اسم السورة ورقم الآية.
3. دراسة هذه الآيات دراسة موضوعية بعد بيان المعنى الإجمالي لها.
4. الرجوع إلى المصادر الرئيسة وبخاصة أمّات كتب التفسير.
5. توثيق المراجع وفق المتعارف عليه في البحث العلمي، بحيث يكون توثيقاً كاملاً عند أول ورود له، ثم أكتفي باسم المؤلف والكتاب والجزء والصفحة، إذا ورد مرة أخرى.
6. تخريج الأحاديث من مظانها، مكتفياً بالصحيحين إن كان الحديث فيهما.
7. الاستعانة بكتب اللغة لشرح ما ورد من مفردات تحتاج إلى توضيح

خطة البحث

قسّمت هذا البحث إلى تمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، ووضعت الفهارس للآيات والأحاديث والأعلام، بالإضافة إلى فهرس للموضوعات.

وقد تكلمت في التمهيد عن مفهوم الحوار وجعلته في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحوار في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: بين الحوار والجدال.

المبحث الثالث: شخصية المحاور الناجح.

المطلب الأول: البيان في الحوار.

المطلب الثني: دور الأمثلة في المحاورة.

الفصل الأول: نماذج من الحوار في القرآن الكريم.

المبحث الأول: الحوار بين الرسل – عليهم السلام –وأقوامهم.

المطلب الأول: الحوار بين نوح – عليه السلام – وقومه.

المطلب الثاني: الحوار بين هود – عليه السلام – وقومه.

المطلب الثالث: حوارات إبراهيم – عليه السلام –.

المطلب الرابع: الحوار بين شعيب – عليه السلام – وقومه.

المبحث الثاني: الحوار بين موسى – عليه السلام – والعبد الصالح.

المبحث الثالث: الحوار في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف.

المبحث الرابع: الحوار بين السادة والأتباع الذين أضلّوهم (يوم القيامة).

المطلب الأول: الحوار بين الأتباع والمتبوعين: براءة ومفاصلة.

المطلب الثاني: أهل النار في حوارهم وتخاصمهم.

المطلب الثالث: الحوار بين الضعفاء والمستكبرين.

المطلب الرابع: الحوار بين الأتباع والمتبوعين: استكبار وندامة.

المبحث الخامس: الحوار بين الخير والشر في قتل النفس.

الفصل الثاني: قواعد الحوار والإقناع.

المبحث الأول: الاحترام المتبادل.

المبحث الثاني: البحث عن الحقيقة والسعي إليها.

المطلب الأول: التزام الموضوعية والبعد عن التعصب.

المطلب الثاني: إبراز الحقائق الثابتة في الحوار.

المبحث الثالث: الرفق واللين في الحوار.

المطلب الأول: أهمية الجدال بالتي هي أحسن.

المطلب الثاني: الرفق في حوار الأنبياء – عليهم السلام – مع أقوامهم.

المطلب الثالث: المداراة في الحوار.

الفصل الثالث: آداب الحوار والمناظرة.

المبحث الأول: حسن الصمت والإصغاء.

المبحث الثاني: كيفية إنهاء الحوار.

المبحث الثالث: تنبيهات ووصايا.

الفصل الرابع: الحوار الحضاري من منظور قرآني.

المبحث الأول: حوار الحضارات في ضوء قوله تعالى " وجعلناكم شعوباً.....".

المبحث الثاني: منطلقات حوار الحضارات.

المبحث الثالث: أهداف حوار الحضارات.

المبحث الرابع: حوار الحضارات بين التفاعل الحضاري والخصوصية الحضارية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصّل إليها الباحث.

أسأل الله – تعالى – أن يعينني على التمام، وأن يلهمني الصبر والرشد والسداد، إنه سميع قريب مجيب.

الفصل التمهيدي

مفهوم الحوار

وفيه ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول: الحوار في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: بين الحوار والجدال

المبحث الثالث: شخصية المحاور الناجح.

مفهوم الحوار

المبحث الأول:- الحوار في اللغة والاصطلاح

الحوار في اللغة:

"**الحوار مأخوذة من الحوُر وهو:** الرجوع عن الشيء وإلى الشيء.

والحَوْر: النقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال.

والحَوْر: ما تحت الكور من العمامة لأنه رجوع عن تكويرها.

والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب.

والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة.

والحَوَر: أن يشتدّ بياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترقّ جفونها " [5].

"**وحاوره محاورة وحواراً:** جاوبه وجادله.

وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم وتجادلوا .

الحُوار: ولد الناقة ساعة تضعه " [6].

"**والمِحور:** الخشبة التي تدور فيها المحالة، وهي البكرة العظيمة التي يستقى عليها " [7].

"**والأحور:** كوكب، وهو المشترى " [8].

([5]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، مادة حور، دار صادر، بيروت، مج4، ص(217 – 219).

([6]) إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، دار إحياء التراث، ج1، ص(204).

([7]) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، دار الفكر، (1399هـ – 1979م)، ج2، ص(117).

([8]) الجوهري،إسماعيل بن حمّاد، **الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية"**، دار العلم للملايين، ط3، (1404 هـ – 1984م)، ج2، ص(640).

أما الحوار في الاصطلاح فهو:-

"نوع من الحديث بين شخصين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر بـه أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب" [9]. وقد ورد الحـوار في القرآن الكريم بالمعنى المشار إليه أعلاه في ثلاثة مواضع:-

الأول: ((فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً))[10].

الثاني: ((قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً {37}))[11].

الثالث: ((قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ {1}))[12].

وقيل: "هو مناقشة بين طرفين – أو أطراف – بقصد تصحيح الكلام،وإظهـار حجـة، وإثبات حق، ودفع شبهة، وردّ الفاسد من القول والرأي"[13].

وقدّم لنا القرآن العظيم نماذج كثيرة من الحوار، منها ما دار بين الله عزّ وجلّ وملائكته في موضوع خلق آدم –عليه السلام – [14]، ومنها ما دار بين الله سبحانه وتعالى وبين إبـراهيم –عليه السلام – عندما طلب من ربّه أن يريه كـيف يحيي المـوتى[15]، وبين مـوسى –عليـه

([9]) ديماس، محمد راشد، **فنون الحواروالإقناع**، دارابن حزم، ط1(1420هـ – 1999م)، ص(11).

([10]) { الكهف: 34 }.

([11]) { الكهف: 37 }.

([12]) {المجادلة: 1 }.

([13]) ابن حميد، صالح بن عبد الله، **معالم في منهج الدعوة**، دار الأندلس الخضـراء، جـدّة، ط1(1420هـ– 1999م)، ص(212).

([14]) {البقرة:30– 32 }.

([15]) { البقرة: 260 }.

السلام- حين طلب من ربّه أن يسمح له برؤيته [16]، وبين عيسى -عليه السلام- حين يسأله ربه عما إذا كان طلب من الناس أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله [17]. ومنها الحوار في قصة أصحاب الجنتين في سورة الكهف [18]، وفي قصة إبراهيم -عليه السلام- حين همّ أن يذبح ابنه[19]، وفي قصة قارون مع قومه [20]، وفي قصة داود - عليه السلام - مع الخصمين[21]، وفي نوح -عليه السلام - مع قومه [22]،وفي شعيب -عليه السلام- وقومه [23]، وفي قصة ابني آدم -عليه السلام- [24]، وفي قصة موسى -عليه السلام- مع العبد الصالح [25].

"والأمثلة على ذلك كثيرة في الكتاب العزيز، وكلّها تدل على أهمية الحوار وخطورته[26]" ولقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم طريقة الحوار حين كان يجيب عن أسئلة جبريل - عليه السلام -، فعن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال:بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد،حتى جلس إلى النبي-صلى الله عليه وسلم - فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخديه وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -: الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدّقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته

([16]) { الأعراف: 143 }.
([17]) { المائدة: 116 }.
([18]) { الكهف: 32 }.
([19]) { الصافات: 102 }.
([20]) { القصص: 76 }.
([21]) { ص: 21، 22 }.
([22]) { الأعراف: 59 }.
([23]) { هود: 84 }.
([24]) { المائدة: 27- 29 }.
([25]) { الكهف: 65 }.
([26]) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، **في أصول الحوار**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، (1419هـ - 1998م)، ص(13،14).

وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: صدقت، قال فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، ثمّ انطلق، فمكثت ملياً، ثمّ قال لي:- يا عمر! أتدري من السائل ؟ قلت: - الله ورسوله أعلم، قال:-

((هذا جبريل أتاكم يعلّمكم دينكم)) [27].

وفي حديث آخر تظهر فيه طريقة الحوار أيضاً: - أن رجلاً أنكر ولده أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: - يا رسول الله: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: - هل لك من إبل ؟ قال: نعم، قال: ما لونها ؟ قال: حمر، قال: هل فيها من أورق[28] ؟ قال: نعم، قال: فمن أين ذلك ؟ قال: لعل عرقاً نزعه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وهذا الغلام لعل عرقاً نزعه)) [29].

وفي السيرة النبوية العطرة، نجد نماذج كثيرة متنوعة للحوار، ترد في أشكال شتى، لتقدم لنا الدروس التي يحسن بنا الانتفاع بها: ففي أعقاب غزوة حنين، نجد الرسول الكريم - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - محاوراً ناجحاً بطريقة لافتة !

فقد وزّع-عليه الصلاة والسلام- الغنائم في قريش وفي قبائل العرب، ولم يعط الأنصار منها شيئاً، "سوى أحدهم" فغضب بعضهم، وقال منهم قائل: "لقي والله رسول الله قومه" فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: "يا رسول الله إن هذا الحيّ من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم،

([27]) مسلم، أبوالحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم الحديث (1)، دار الفكر، (1403هـ - 1983م)، ج1، ص(37).

([28]) أورق: سواد ليس بحالك بل يميل إلى الغبرة، انظر العسقلاني، أحمد بن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (1379هـ)، ج9، ص(443).

([29]) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، **صحيح البخاري**، كتاب الطلاق، باب: إذا عرّض بنفي الولد، رقم الحديث (5305)، دار إحياء التراث العربي، ج7، ص(68).

لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، فقسّمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فأين أنت من ذلك يا سعد"؟ قال: "يا رسول الله ما أنا إلاّ من قومي" قال: "فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة"، فخرج سعد فجمع الأنصار، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثمّ قال: – "يا معشر الأنصار، ما قالة[30] بلغتني عنكم، وجدة[31] وجدتموها عليّ في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلاّلاً فهداكم الله، وعالة[32] فأغناكم الله، وأعداء فألّف الله بين قلوبكم" قالوا: "بلى، والله ورسوله أمنّ وأفضل"، ثمّ قال: – "ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟" قالوا: "بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المنّ والفضل". فقال: "أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصدّقتم: أتيتنا مكذّباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك وعائلاً[33] فآسيناك[34]، أوجدتم يا معشر الأنصار في لعاعة[35] من الدنيا تألفت بها قلوب قوم ليسلموا ووكلتم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً، وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار، اللهمّ ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار، فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم[36]، وقالوا:

"رضينا برسول الله قسماً وحظاً"[37]. إنّ في هذه الواقعة دروساً بليغة ومفيدة ينبغي أن نتدبرها، فالرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – لم يلم سعداً لأنه لم يردّ على الأنصار الذين

([30]) قالة: الكلام الرديء.

([31]) جدة: غضب.

([32]) عالة: فقراء.

([33]) عائل: فقير.

([34]) آسيناك: أعناك والمواساة: المشاركة في المعاش.

([35]) لعاعة: شيء يسير، أو بقية يسيرة.

([36]) أخضلوا لحاهم: بلّوها بالدموع.

* معاني المفردات مأخوذة من **كتاب ابن الأثير**، المبارك بن محمد بن محمد، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود محمد، المكتبة الإسلامية، (1383هـ– 1963م)، ج1، ص(50)، وج 4، ص(254).

([37]) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، **سيرة النبي صلى الله عليه وسلم**، دار الفكر، (1401 هـ– 1981م)، ج4، ص(147، 148).

غضبوا، ولم يناقشه في حجته التي فيها ما فيها، بل إنه لم يسأل عن الشخص الذي قال: "لقي والله رسول الله قومه"، ولكنّه سأل سؤالاً عاماً، ليجعل الحديث للجميع، وليواجه المشكلة من أساسها.

"وقد كان من الطبيعي أن يجول في قلوب الأنصار أنهم آووا الرسول- عليه الصلاة والسلام- ونصروه وأعطوه وصدّقوه، وهذه كلها مزايا، وهي حق لهم، لذا فإنه – عليه السلام – قالها نيابة عنهم، ليقرّ لهم بالجميل، وبعد أن عاتبهم من ناحية وأرضى قلوبهم من ناحية، ختم كلامه معهم بأن أقرّ لهم أنهم أعلى كعباً في الإسلام من غيرهم، لذلك وكّلهم إلى إسلامهم، ثمّ بيّن لهم المنّة الكبرى التي فازوا بها إذ يذهب الناس بالشاة والبعير،أما هم فإنهم يعودون بخاتم الأنبياء وأفضل الخلق- عليه الصلاة والسلام-، ثم دعا لهم بالرحمة ولأبنائهم وأحفادهم، لذلك لا غرابة أن وجدنا الأنصار يبكون، ويفرحون، ويقولون في غبطة وسعادة ": [38] ((رضينا برسول الله قسماً وحظاً))[39].

وهكذا نجد أن القرآن العظيم والسنة الشريفة والسيرة المطهّرة قد حفلت بالشواهد والأمثلة التي تبين معنى الحوار وأهميته، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على ضرورة تفعيل الحوار بين الآخرين في كل وقت وحين.

---

* أصل الحديث في صحيح مسلم، **كتاب الزكاة**، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، رقم الحديث (139)، ج2، ص(738)، (مرجع سابق).

([38]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(19،20)، (مرجع سابق).

([39]) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1405هـ – 1985 م)، ج5، ص (177 – 178).

المبحث الثاني

بين الحوار والجدال

لعل من المفيد أن نفرّق بين الحوار والجدال تفريقاً واضحاً يوضح مدلول كل منهما، فالحوار والجدال يلتقيان في أنهما حديث أو مناقشة بين طرفين، لكنهما يفترقان بعد ذلك.

الجدال في اللغة: "هو اللدد في الخصومة والقدرة عليها، يقال: جادله مجادلة وجدالاً: أي خاصمه، والاسم الجدل، وهو شدة الخصومة. وقيل الجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة"[40].

أما الجدال في الاصطلاح: "فهو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وقيل: الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجَدالة وهي الأرض الصلبة" [41].

وأما الحوار والمحاورة: "فهو مراجعة الكلام والحديث بين طرفين، ينتقل من الأول إلى الثاني، ثمّ يعود إلى الأول وهكذا، دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدلّ بالضرورة على وجوب الخصومة"[42].

الحوار يتضمن الجدل:

إنّ كلمة "الجدل" أخذت مدلولاً جديداً يوحي بالطريقة التي يتبعها المتناظران أو المتجادلان، ليغرقا حديثهما أو مناظرتهما بالكلام العقيم، الذي قد يقترب إلى الترف الذهني، بما يثيره من قضايا جانبية أو مناقشات لفظية، تخضع الفكرة إلى متاهات لا يعرف الإنسان كيف

([40]) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة جدل، ج11، ص(105)، (مرجع سابق).

([41]) الأصفهاني، أبو القاسم الحسن بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1 (1418هـ – 1997م)، ج1، ص(117).

([42]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(11)، (مرجع سابق).

تنتهي، وأين تستقر ! ولعل السبب في ذلك هو أن الجدل تحوّل إلى صناعة يقصدها الكثيــرون لذاتها، من أجل التدرب على الأخذ والرّد والدفاع والهجوم في مجالات الصراع الفكري، ليعطّل قوة خصمه، لا ليوصله إلى الحقيقة. أما كلمة "الحوار" فهي أوسع مدلولاً مــن كلمــة الجــدل، باعتبار تضمُّن الجدل معنى الصراع، بينما نجد الحوار يتسع له ولغيره، مما يراد منه إيضــاح الفكرة بطريقة السؤال والجواب"[43].

إنّ الحوار يتحول إلى جدل مذموم إذا تخلّله اللدة في الخصومة والمعارضة والمنازعــة والتمسك بالرأي والتعصب له دون وجه حق، **فالجدل** :-هو حوار بين طرفين يسوده المنازعــة والتعصب للرأي، وقد ورد الجدل في تسعة وعشرين موضعاً في القرآن الكريم كلّهــا جــاءت بالمعنى المذموم إلاّ في أربعة **مواضع هي:-**

قال تعالى: ((فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ {74} إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ {75}))[44].

وقال تعالى:((وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ))[45].

وقال تعالى: ((وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ))[46].

وقال تعالى أيضاً: ((قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ {1}))[47].

([43]) فضل الله، محمد حسين، **الحــوار في القرآن: قواعده – أساليبه – معطياته**، دار الملاك، بيروت، ط6 (1421هــ-2001م)، ص(52)، بتصرف.

([44]) { هود: 74، 75 }.

([45]) { النحل: 125 }.

([46]) { العنكبوت: 46 }.

([47]) { المجادلة: 1 }.

"فالجدل لم يؤمر به ولم يمدح في القرآن على الإطلاق، بل جاء مقيداً بالحسنى في الموضعين الثاني والثالث، مجرداً منها بمعنى الحوار الهادئ في الموضعين الأول والرابع[48]". "ونستطيع التفريق بين الجدل المذموم وبين الجدل الذي هو الحوار الهادئ من خلال الغاية، فإن كانت حقاً فالجدال محمود لأنه بمعنى الحوار الهادئ،وإلا فهو مذموم. وكذلك يمكن التفريق من خلال الوسيلة، فإن كانت حسنة فبها ونعمت، وإلا كان مذموماً"[49].

وهناك **قواعد عامة** للجدال بالتي هي أحسن، يحسن بنا أن نذكر بعضاً منها لما لها من فوائد جليلة: –

القاعدة الأولى:–

" على كل من المتحاورين حول موضوع معيّن أن يتخلّى عن التعصّب لوجهة نظره، وأن يعلن استعداده التام للبحث عن الحق والأخذ به عند ظهوره، وقد أرشدنا الله عزّ وجلّ في كتابه إلى الأخذ بهذه القاعدة فقال سبحانه: ((وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ))[50]، وفي هذا غاية التخلّي عن التعصب لأمر سابق، وكمال إعلان الرغبة في نشدان الحق أنّى كان.

القاعدة الثانية: –

على كل فريق من المتحاورين أن يتقيّد بالقول المهذب، البعيد عن كل تجريح أو سخرية أو احتقار لوجهة النظر التي يدّعيها أو يدافع عنها من يجادله"[51]. قال تعالى: ((وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ))[52].

([48]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(13)، (مرجع سابق).

([49]) جريشة،علي، **مناهج الدعوة وأساليبها**، دار الوفاء، ط1 (1407هـ – 1986م)، ص(162).

([50]) { سبأ: 24 }.

([51]) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنّكة، **فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، دار القلم، دمشق، ط1 (1417هـ – 1996م)، ج1، ص(239– 242).

([52]) { العنكبوت: 46 }.

القاعدة الثالثة:-

"الالتزام بالطرق المنطقية السليمة، وعدم المراوغة، وتجنب الروايات الساقطة والخرافات والأساطير. ومن هنا أخذ علماء فن "آداب البحث والمناظرة " قاعدتهم المشهورة "إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدّعياً فالدليل".

القاعدة الرابعة:-

ألاّ يكون في الدعوى أو في الدليل الذي يقدّمه المجادل تعارض، أي: ألاّ يكون كلامه يناقض بعضه بعضاً فإذا كان كذلك كان كلامه ساقطاً "[53].

من خصائص أسلوب الجدل: لأسلوب الجدل خصائص عديدة، منها:

1- **اعتماده على العلم والمعرفة،** فلا يصح الجدال من غير علم، وقد أنكر القرآن العظيم على الذين يجادلون بغير علم، فقال: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ {65} هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ {66}))؟[54].

2- **إقامة الحجة على الخصم وإفحامه:** فالأصل في أسلوب الجدل أن يقيم الحجة واضحة، ولا يترك للمجادل حجة يتمسّك بها، أو شبهة يستدل بها على باطله، قال تعالى: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {258}))[55].

3- **تنوّع بواعثه ودوافعه تنوعاً كبيراً،** فمنها على سبيل المثال:-

---

([53]) **المرجع السابق،** ج1، ص(245).

([54]) { آل عمران: 65، 66 }.

([55]) { البقرة: 258 }.

أ. **بواعث نفسية:** كالقناعة الشديدة بفكرة ما، أو التعجب والاستغراب من أمـــر ما،كمـــا حدث من جدال الملائكة لله عزّ وجلّ في خلق آدم وجعله خليفة[56]، وتعجب المشركين من الدعوة إلى التوحيد[57].

ب. **بواعث علمية:** كالاستفادة والسؤال عما يجهل، ومناقشة الأدلة والترجيح بينها.

ج. **بواعث اجتماعية:** كالتحمس والتعصب لقول أو رأي، وهذا التنوع في البواعث يجعل من مهمة الداعية أن يتعرف عليها ليعرف كيف يتعامل مع أصحابها"[58].

([56]) { البقرة: 30- 33 }.

([57]) { ص: 5 }.

([58]) البيانوني، محمـــد أبو الفتح، **المـــدخل إلى علم الدعـــــوة**، مؤســـــسة الرســـــالة، ط3 (1415هـــــ – 1995م)، ص(267 – 269)، بتصرف.

المبحث الثالث

شخصية المحاور الناجح

تمهيد:

"إن المحاور الناجح هو الذي يمتلك فنيات الحوار ويقصد بفنيات الحوار: مجموعة المهارات المتكاملة التي يتطلبها أداء المحاور للأنشطة التي يتضمنها الحوار بكفاءة، وتنقسم هذه الأنشطة إلى أنشطة في مرحلة الإعداد للحوار وأنشطة في مرحلة تنفيذ الحوار" [59].

"فالحوار غذاء عقول يقبل الناس عليه إقبالهم على غذاء البطون، لذا يغرم بعض المحاورين بشدّ انتباه من حوله وذلك بإثارة فضولهم، كأن يستهلّ حديثه بقصة غريبة أو مثل قديم، أو سرد مقولة لأحد العظماء، فذلك مما يعجب الناس ويجعلهم ينصتون أكثر، لتوقعهم المزيد عنده. ويحسن بعضهم حينما يبدأ حواره باستفهامات متتالية، يستطيع أن يجعل منها عناصر لحديثه، وطريقة لاستدراج صاحبه للتفكير معه. ولذلك فإن المحاور الذكي هو الذي يختبر اهتمام صاحبه بحديثه قبل التوغل في حوار معه ويحاول استثارة اهتمامه بموضوع الحوار، فإن وجد منه أذناً صاغية واصل الحوار، وإلاّ كفّ عنه، إلاّ أن يكون واجباً شرعياً لا بد من إبلاغه به. والمحاور البارع هو الذي يجعل كلماته صوراً تتدفق أمام ناظري صاحبه ومن حوله، مبتعداً عن الرمزية والغموض، باحثاً عن الكلمات والعبارات التي تسمع وترى في آن واحد" [60]. فالمحاور المتميز ينبغي أن يكون سريع البديهة، ذوّاقاً للكلام، مدركاً لأبعاده، قادراً على الاستشهاد بآيات القرآن الكريم في الموضوعات الشرعية بحيث تتوفر لديه القدرة على فهم

([59]) اللبودي، منى إبراهيم، **الحوار "فنياته واستراتيجياته وأساليب تعلمه"**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، (1413هـ – 2003م)، ص(49).

([60]) الحبيب، طارق بن علي، **كيف تحاور؟(دليل علمي للحوار)**، دار البيت العتيق، ط1، (1422هـ – 2002م)، ص(40).

النصوص الشرعية الواردة في الكتاب الكريم والسنة المطهّرة، فإن ذلك مما يعينه على ظهـــور الحق، وبخاصة فيما يتعلق بمحاورة غير المسلمين [61].

([61]) الهيتي، عبد الستار إبراهيم، **كتاب الأمة** "الحوار: الذات والآخر"، دار الكتب القطريـــة، قطـــر، ط1، (1425هـــــ – 2004م)، ص(77)، بتصرف.

المطلب الأول

البيان في الحوار

"إن قوة التعبير وفصاحة اللسان وحسن البيان من أركان المناقشة الجيدة والحوار الناجح. فكم من حق ضاع لسوء التعبير عنه، وكم من باطل ظهر، لأن الذي يدعو إليه فصيح بليغ!، بل إن الحقيقة الواحدة قد يختلف فهمنا لها بحسب الطريقة التي قدّمت بها إلينا " [62].عن أم سلمة – رضي الله عنها – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " إنما أن بشر، وإنكم تختصمون إليّ، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن [63] بحجته من بعض، فأقضي على نحو مما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً، فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار"[64]، "ففي هذا الحديث الشريف أن التعمّق في البلاغة بحيث يحصل اقتدار على تزيين الباطل في صورة الحق وعكسه مذموم، فإن المراد بقوله: أبلغ، أي أكثر بلاغة، ولو كان ذلك في التوصّل إلى الحق لم يُذم، وإنما يذم من ذلك ما يتوصل به إلى الباطل في صورة الحق" [65]. "لذلك ينبغي للمحاور البارع أن يضبط كلامه، ويتقن لغته– ما أمكن – لأن الكلام المحكم الجميل الذي يخلو من الخطأ، والذي تتضح فيه مخارج الحروف، والذي يتوالى بانتظام وترتيب، يترك أحسن الأثر في السامع الذي يفهمه ويجعله يحترم قائله، لأنه يراه رجلاً محيطاً بما يقول، قادراً على الإفصاح والإيضاح" [66]. فها هو ذا موسى– عليه السلام – يدعو ربه – عزوجل – أن يحقق له جملة أشياء تعينه على محاورة فرعون ((رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي {25} وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي {26} وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي {27} يَفْقَهُوا قَوْلِي {28})) [67].

([62]) الحاشدي، أبو عبد الله فيصل بن عبده، **فن الحوار** "**أصوله، آدابه، صفات المحاور**"، دار الإيمان، الإسكندرية، (د. ط)، (د. ت)، ص(105).

([63]) ألحن: أعلم بالحجة وأبلغ.

([64]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب الأقضية**، باب: الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، رقم الحديث (1713)، ج3، ص(1337)، (مرجع سابق).

([65]) العسقلاني، **فتح الباري، كتاب الأحكام**، رقم الحديث (7181)، ج13، ص(177)، (مرجع سابق).

([66]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(193)، (مرجع سابق).

([67]) { طه: 25 – 28 }.

"إننا نلحظ أنه حينما تحدّث- عليه السلام – عن اللسان ربط به جوهر رسالته كلّها في فهم الناس عنه " يفقهوا قولي "، لأنهم إذا لم يفقهوا قوله فقد انفصمت الرابطة بينه وبينهم، لانعدام وسيلة الاتصال والتفاهم" [68]. ويصر موسى – عليه السلام – على أن يكتمل لديه هذا السلاح الذي لا بديل له عند الداعية، وهو البيان ممثلاً في اللسان، وحينما كلّفه ربه – عزوجل – إعلان رسالته وتبليغها إلى أعتى طغاة عصره فرعون، لم يطلب موسى – عليه السلام – قوة ولا سلاحاً في هذا الصراع الرهيب سوى لسان كامل البيان، ولم يكن لسانه كامل البيان والطلاقة، فطلب الاستعانة بأخيه الفصيح الطلق اللسان: ((وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ {34}))[69]. "وحين يكتمل ما لدى موسى – عليه السلام – من شخصية قوية، وعلم واسع، وحجة دامغة، بما لدى هارون – عليه السلام – من طلاقة اللسان في حسن العرض والصياغة البليغة، فهذا كل ما هو في حاجة إليه" [70]. فإذا كان مقصود الحوار هو الوصول إلى الحق، فإن هذا لا يتأتى إلا باستعمال الواضح من الألفاظ واجتناب المجمل منها، لأن المجمل يزيد الخلاف وربما أدّى ذلك إلى انصراف الحوار عن مقصوده، وكان سبباً للحيْدة عن أصل المسألة [71]، وليس من البيان استخدام الغريب من الألفاظ، وما أجمل ما أوصى به الله – عزوجل – رسوله الكريم – عليه الصلاة والسلام – إذ أمره أن يقول ((وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ)) [72]. فالمحاور الناجح يتكلم بتؤدة وتمهّل حتى يفهم الناس منه، ويعقلوا عنه، تأسياً بالداعية الأول النبي – صلى الله عليه وسلم – فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "إنما كان النبي صلى الله عليه وسلم، يحدّث حديثاً لو عدّه العادّ لأحصاه" [73].

([68]) حفني، عبد الحليم، **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1958م، ص(17).

([69]) { القصص: 34 }.

([70]) **المرجع السابق**، ص(18).

([71]) العثمان، حمد بن إبراهيم، **أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة**، مكتبة ابن القيم، ط1، (1422هـ – 2001م)، ص(539)، بتصرف.

([72]) { ص: 86 }.

([73]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق**، باب: التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، رقم الحديث (3004)، ج4، ص(2298)، (مرجع سابق).

"ومن حسن البيان مخاطبة الطرف الآخر بما يعرف ويفهم، فلا يطالب بأكثر منه، سواء في المجـــال العـــقدي أو الفكـــري أو العملي أو الثقافي" [74]. فعـــن علي بن أبـــي طالـــب – رضي الله عنه – قال: "حدّثوا الناس بما يعرفون،أتحبون أن يكذّب الله ورسوله"[75].

"ومن البيان أن يعرف المحاور متى يتكلم، ومتى ينصت، ومتى يجيب إشارة، وما أجمل كذلك أن يجمّل حواره بشواهد من القرآن الكريم والسنة المطهّرة والشعر والنثر.

ومن البيان أن يكون موضوعياً، فالنـــاس تشـــدّهم الحقـــائق وتضـــايقهم العموميـــات، ويحترمون من يرفد حديثه بالأرقام والتواريخ والأحداث" [76].

([74]) الطريقي، عبد الله بن إبراهيم، **فقه التعامل مع المخالف**، دار الوطن، الرياض، ط1، (1415 هـــ)، ص(111).

([75]) البخاري، **صحيح البخاري**، **كتاب العلم**، باب من خصّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، رقم الحديث(127)، ج1، ص(44)، (مرجع سابق).

([76]) الحبيب، **كيف تحاور؟**، ص(17)، (مرجع سابق).

المطلب الثاني

دور الأمثلة في المحاورة

"إن المتحدث الناجح والمحاور الذكي هو الذي يحسن ضرب الأمثلة ويتخذها إما وسيلة لتقريب وجهة نظره من السامع وشرحها، وإما لإقناعه بفكرته، والأمثلة الجيدة تفيد مع العالم كما تفيد مع من دونه، وتؤثر على الكبير كما تؤثر على الصغير" [77]. ونظراً لأهمية المثل وخطورته، فقد ضرب الله تعالى للناس في كتابه الكريم من كل مثل، قال تعالى ((وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ)) [78]، وقال أيضاً ((وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ {43})) [79]." إن الاستعانة بضرب المثل عند القول، فيه تأييد للحديث وتقوية له كالحجة تماماً، ولقد وردت الأمثال في القرآن في عدة مواضع" [80]، قال تعالى: ((إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {24}))[81].

فالله تعالى ضرب مثلاً لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بماء أنزل من السماء، فأخرجت في رباها من زهور ونضرة مختلفة الألوان والأشكال، وحسب أهلها أنهم قادرون على حصادها، فبينما هم كذلك إذ جاءتها صاعقة أو ريح شديدة كأنها ما كانت حيناً قبل ذلك [82]. " ففي هذا المثل تشبيه حالة الحياة في سرعة زوال نعيمها بعد البهجة بحال نبات الأرض في ذهابه حطاماً ومصيره حصيداً " [83].

([77]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(54)، (مرجع سابق).
([78]) { الروم: 58 }.
([79]) { العنكبوت: 43 }.
([80]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(170)، (مرجع سابق).
([81]) { يونس: 24 }.
([82]) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر، بيروت، (1401هـ – 1981م)، مج2، ص(413)، بتصرف.
([83]) ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحريروالتنوير**، دار سحنون، تونس، (د. ط)، د. ت)، ج6، ص(141).

لقد سلك القرآن الكريم مسالك شتى في تصوير الدعـــوة بما يوصلها إلى العقل البشري على اختلاف درجـــاته، وكان ضرب الأمثال أحد هذه المسالك الهامة التي اتخذها القرآن العظيم وسيلة لتوضيح ما قد يخفى على العقل البشري، أو قد يكون بعيداً عن مجال تصوره وإدراكـــه. ومن الآيات الكريمة التي يتبين فيها أهمية المثل فـــي حـــوار أهـــل الكفـــر وأصـــحاب الملـــل الأخرى[84]. قوله تعالى: ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء {24} تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ {25} وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ {26}))[85]، "فذكرت الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثـــة كمثلـــين يوضـــحان معنيين قصدت إليهما الآيات الكريمة، إن التوحيد هو الكلمة الطيبة المباركة، والشرك هو الكلمة الخبيثة النتنة، ومهما حاولنا توصيل هذين المعنيين إلى العقول لم نكد نصيب منها كما أصـــاب هذا المثل الرائع من نفوس الناس" [86]. إن لهذه الأمثال والتشبيهات دوراً لا يمكن تجاهلـــه فـــي التأثير وإقناع الطرف الآخر، ولهذا نجد الدعاة والخطباء يضربون المثل للتأثير على المستمعين وإقناعهم، والمربون يحرصون على إيراد الأمثلة لتقريب الصورة إلى أذهان الأطفال، كما أنهـــا تربي العقل على التفكير الصحيح والقياس السليم، فالأمثال ينضوي معظمها على القياس، فتذكر المقدمات ويطلب من العقل أن يتوصل إلى النتيجة التي يقتنع بها ويراها. ما أحوج المحـــاور أن يرفد كلامه ببعض من الأمثلة، مع أهمية الانتباه إلى أن المستمع يمل إذا سمع أمثلـــة معروفـــة ومكررة، فالمثال ما هو إلا وسيلة لتقارب وجهات النظر عجز البيـــان وحـــده عـــن إيصـــالها، وعليه لا بد من أن يكون المثال دقيقاً وإلا تحوّل الحديث تخطئة، ونســـيت الفكرة التي من أجلها كان ذلك المثال. والمثـــال الناجح هو الذي يكون بمستوى السامع، لا دونه فيحتقره، ولا فوقـــه

([84]) الوكيل، محمد السـيّد، **أســس الدعـــوة وآداب الدعـــاة**، دار الـــوفاء، المنصـــورة، ط 2، (1406 هـــ – 1986م)، ص(134)، بتصرف.

([85]) { إبراهيم: 24 – 26 }.

([86]) **المرجع السابق**، ص(135).

فيعجزه إدراكه، وما أجمل أن يكون من بيئة السامع حتى يكون أشدّ وقعاً، فالرق من صميم حياة قريش لذلك اختاره الله مثلاً لهم [87] ((ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {29})) [88].

"فهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فإن الكافر يعبد آلهة شتى فمثـــّله بعبـــد يملكـــه جماعة يتنافسون في خدمته، ولا يقدر أن يبلغ رضاهم أجمعين، والمؤمن يعبد الله وحده، فمثـــّله بعبد لرجل واحد، قد علم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاكس الخلطاء فيه" [89]. وحتى تكون الأمثال التي يضربها المحاور مثمرة ومؤثرة، لا بد أن تتوافر فيها جملـــة من الشروط:

"أولها: صحة التشبيه.

وثانيها: أن يكون العلم بها سابقاً، والكل عليها موافق.

وثالثها: أن يسرع وصولها للفهم، وتكون بعيدة عن الوهم وبعيدة عن التعقيد.

ورابعها: أن تناسب حال الطرف الآخر، لتكون أبلغ تأثيراً وأحسن موقعاً " [90].

"فالمثال في الحوار له فوائد جليلة ترفع من شخصية المحاور وتزيده جاذبيـــة وتـــأثيراً، ومن هذه الـــفوائد: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المـــراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصوّر المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبـــت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس" [91].

([87]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(172)، بتصرف، (مرجع سابق).

([88]) { الزمر: 29 }.

([89]) ابن الجوزي، أبوالفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإســـلامي للطباعـــة والنشر، (1385هـــ - 1965م) ج7، ص(179، 180).

([90]) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، **أدب الدنيا والدين**، تحقيق: مصطفى السّـــقا، دار الكتـــب العلميـــة، بيروت، ط4 (1398هـــ - 1978 م)، ص(276).

([91]) السيوطي، جـــلال الدين عبد الرحمـــن، **الإتقان في علوم القـــرآن**، مطبعة مصطفى البـــابي الحلبـــي، مصـــر، ط4 (1398 هـــ - 1978 م)، ج2، ص (167).

الفصل الأول

نماذج من الحوار في القرآن الكريم

وفيه خمسة مباحث:-

المبحث الأول: الحوار بين الرسل – عليهم السلام –وأقوامهم.

المبحث الثاني: الحوار بين موسى – عليه السلام – والعبد الصالح.

المبحث الثالث: الحوار في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف.

المبحث الرابع: الحوار بين السادة والأتباع الذين أضلّوهم (يوم القيامة).

المبحث الخامس: الحوار بين الخير والشر في قتل النفس.

المبحث الأول

الحوار بين الرسل عليهم السلام وأقوامهم

تمهيد:

اقتضت حكمة الله تعالى، ورحمته بعباده، أن يختار بمحض فضله وكرمه من يصطفيهم من خلقه، ممن ميّزهم بخصائص لا يشاركهم فيها غيرهم، رسلاً في كل أمة، ليبيّنوا للناس طرق الخير وسبل السعادة في الدارين، فيدعونهم إلى عبادة الله وحده، ويحذرونهم من عبادة غيره، ويأمرونهم بمكارم الأخلاق، ومحاسن العادات، وينهونهم عن قبيحها. وقد بيّن الله تعالى ذلك في كتابه العزيز بقوله عزّ وجل: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ {25}))[92]. وقوله تعالى: ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ))[93]. "إن من أهم أهداف الرسل أن يحرّروا البشرية من عبادة العباد، وتأليه الأحجار والأشجار والكواكب، وأن يوصلوها إلى عبادة الله وتوحيده، وبيان أسمائه وصفاته، وأن يبيّنوا لهم الحقائق الأخرى التي لا يمكن للإنسان أن يدركها بعقله، كالبعث والحساب والجزاء علىالأعمال في اليوم الآخر، حتى يؤمنوا ويصدّقوا بها.

ثمّ بيان طرق الخير والشّر، ووضع قواعد الحق والعدل ليسود الأمن والاستقرار المجتمع الإنساني"[94]. وقد استخدم الرسل – عليهم السلام – أسلوب الحوار في دعوتهم أقوامهم، لما لهذا الأسلوب من نتائج طيّبة وآثار إيجابية في الدعوة إلى الله تعالى.

([92]) { الأنبياء: 25 }.

([93]) { النحل: 36 }.

([94]) الفقيهي، علي بن محمد ناصر، **منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان**، ط1 (1405هـ – 1984م)، ص(179، 181، 182)، بتصرّف.

المطلب الأول

الحوار بين نوح عليه السلام وقومه

أخبرنا الله عزّ وجّل أنه بعث نوحاً رسولاً إلى قومه، فقال تعالى: ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {59})) [95]. فها هو ذا نوح –عليه الصلاة والسلام – يطلب من قومه عبادة الله وحده،ولا يدّخر وسعاً في سبيل دعوة قومه إلى عبادة الله تعالى دون سواه، قال تعالى: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {25} أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ {26})) [96]. هذه هي رسالة نوح–عليه السلام– وهي خلاصة رسالة كل رسول. (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلا خلا فِيهَا نَذِيرٌ))[97]. فرسالة نوح – عليه السلام – من حيث العقيدة، هي رسالة كل نبي في الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده، وإفراده بالعبادة والخضوع والطاعة، وفي تعريف أقوامهم بصفات الله تعالى وأفعاله، وفي الإيمان بالبعث والجزاء والحساب، والجنة والنار.

أساليب نوح – عليه السلام – في الدعوة إلى الله:

"قام نوح – عليه السلام– بواجبه في دعوة قومه إلى عبادة الله وحده، وبلّغهم الدعوة كما أمره الله عزّ وجلّ. وقد سلك معهم مختلف الأساليب والوسائل في الدعوة، بهدف إقناعهم والتأثير فيهم، ليتخلّوا عن باطلهم، ويتبعوا الحق ويتمسّكوا به.

فمن أسلوب الترغيب، إلى أسلوب التحبيب، إلى أسلوب الترهيب، إلى أسلوب البرهان، إلى الدعوة في كتمان ثمّ في أعلان، إلى الدعوة في الليل، إلى الدعوة في النهار"[98].

([95]) { الأعراف: 59 }.
([96]) { هود: 25، 26 }.
([97]) { فاطر: 24 }.
([98]) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **القصص القرآني "عرض وقائع وتحليل أحداث"**، دار القلم، دمشق، ط1 (1419هـ– 1998م)، ج1، ص(167).

فها هو ذا يتحـــبب إليهم بقـــوله ((يَا قَوم اعـبُدوا الله مَـا لَكُم مِن إِلـه غيـره)) [99].

"وقـــوله "يا قوم" هو تقرّب منهم وتحبّب لهم، ليقبلوا دعوته. وفي قوله لهم "إني أخاف علـــيكم عذاب يوم عظيم" إشعارهم برحمته لهم وشفقته عليهم، فمن أجل ذلك يدعوهم إلى الإيمان بـــالله تعالى وحده وعبادته وحده لا شريك له"[100]. وهو يرغّبهم بنيل الخـــير والبركـــة إن اســـتجابوا لدعوته: ((اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّـهُ كَـانَ غَفَّاراً {10} يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً {11} وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً {12}))[101].

"أي إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم، وأســـقاكم مـــن بركـــات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدرّ لكم الضرع، وأمدّكم بـــأموال وبنين، أي أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخلّلها بالأنهار الجارية بينها، هذا مقام الدعوة والترغيب، ثمّ عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب"[102].

نوح – عليه السلام – يواجه الملأ من قومه:-

واجه نوح – عليه السلام – الملأ من قومه، الذين كانوا يقـــودون أتبـــاعهم الكـــافرين، ويوجّهونهم لمواجهة نوح. وتخبرنا آيات القرآن العظيم في قصة نـــوح – عليـــه الســـلام – أنّ هؤلاء الملأ هم الذين قادوا قومهم في مواجهته، وهم الذين أثاروا الشبهات ضده، وضد أتباعـــه ودعوته، وقدّموا طلباتهم له، ووجّهوا تهديداتهم إليه." وقد واجه نـــوح هـــؤلاء " المـــلأ " وفنّـــد شبهاتهم، ولم يستجب لطلباتهم، ولم يرضخ لتهديداتهم، وإنّما تحدّاهم، وحاربهم، واستعلى علـــيهم بإيمانه، متوكلاً على الله ربه " [103]. وها نحن أولاء نسير مع آيات القرآن الكريم لنقف علـــى

([99]) { الأعراف: 59 }.

([100]) الميداني، عبد الرحمن حســـن حبنكـــة، **نوح عليه الســـلام وقومـــه في القـــرآن المجيد**، دار القلم، دمشـــق، ط1 (1410 هـــ – 1990 م)، ص(45).

([101]) { نوح: 10–12}.

([102]) حوّى، سعيد، **الأساس في التفسير**، دار السلام، القاهرة، ط1، (1405هـــ– 1985م)، مج11، ص(6155).

([103]) الخالدي، **القصص القرآني**، ج1، ص(171)، (مرجع سابق).

أهم محطات الحوار التي دارت بين نوح – عليه السلام – وبين الملأ من قومه. قال تعالى: ((قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ {60} قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {61} أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ {62} أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {63})) [104].

"هذا ردّ نوح على اتهام قومه له، حيث حاورهم قائلاً: إنني لم آمركم بما أمرتكم به من باب الضلال، فلست ضالاً كما تزعمون، ولكني رسول من ربّ العالمين، أرسلني إليكم لأبلغكم رسالاته وأنصح لكم في تحذيري إياكم عذاب الله، على كفركم وتكذيبكم، وأعلم من الله ما لا تعلمون، وأن عقابه لا يردّ عن القوم المجرمين" [105].

" ثم قال لهم: "أو عجبتم أن جاءكم التذكير من الله مع رجل منكم، لينذركم بأس الله، ويخوفكم عقابه، ولكي تتقوا عقاب الله وبأسه بالأيمان به وطاعته، وليرحمكم ربكم إن فعلتم ذلك" [106].

([104]) { الأعراف: 60 – 63 }.

([105]) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن "مختصر وتهذيب"**، تحقيق: صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط1، (1418 هـ – 1997 م)، ج3، ص(629).

([106]) **المرجع السابق**، ج3، ص(629).

شبهات الملأ ضد نوح –عليه السلام– وردوده عليها:

الشبهة الأولى: قال تعالى " ((مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنا)) [1].

"أنه بشر لايصلح أن يكون رسولاً من عند الله عزوجل، فالبشرية– في زعمهم – تمنع من الاتصال برب العالمين، لتلقي رسالة منه، وتمنع من الاتصال برسول رب العالمين من الملائكة، لتلقي رسالة الله عنه" [2].

تلقى نوح عليه السلام هذا الاتهام والإعراض والاستكبار، في سماحة النبي وفي استعلائه وفي ثقته بالحق الذي جاء به، واطمئنانه إلى ربه الذي أرسله، وفي وضوح طريق واستقامة منهج. فلا يشتم كما شتموا، ولا يتهم كما اتهموا، ولا يدّعي كما ادعوا، ولا يحاول أن يخلع على نفسه مظهراًعلىغير حقيقته ولا على رسالته شيئاً غير طبيعتها. "خاطبهم بقوله: "ياقوم" في سماحة ومودة بندائهم ونسبتهم إليه، ونسبة نفسه إليهم، إنكم تعترضون فتقولون "ما نراك إلا بشراً مثلنا" فما يكون رأيكم إن كنت على اتصال بربي عن طريق الوحي، وهي خاصية لم توهبوها، وإن كان الله آتاني رحمة من عنده واختارني للرسالة، أو آتاني من الخصائص ما أستحق به حمل الرسالة –وهذه رحمة بلا شك عظيمة – مارأيكم إن كانت هذه وتلك خفيت عليكم خفاء عماية، لأنكم غير متهيئين لإدراكها، وغير مفتوحي البصائر لرؤيتها ؟ إنه ماكان لي وما أنا بمستطيع أن ألزمكم الإذعان لها والإيمان بها "وأنتم لها كارهون" !

وهكذا يتلطف نوح في توجيه أنظارهم ولمس وجدانهم وإثارة حساسيتهم لإدراك القيم الخفية عليهم، والخصائص التي يغفلون عنها في أمر الرسالة والاختيار لها، ويبصرهم بأن الأمر ليس موكولاً إلى الظواهر السطحية التي يقيسون بها"[3].

---

(1) { هود: 27 }.

(2) الميداني، **نوح وقومه في القرآن المجيد**، ص(89، 90)، (مرجع سابق).

(3) قطب، سيّد، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، ط9، (1400هـ – 1980م)، مج4، ص(1873).

الشبهة الثانية:

اتهام نوح –عليه السلام – بالحرص على كسب الأموال وتحقيق المنافع الد نيوية ! فردّ عليهم قائلاً: ((وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ)) [107]، " وفي هذا تبيان لهم أنه لايريد نفعاً دنيوياً فلا يسألهم على ما جاء به مالاً يعطونه إياه، فلماذا يتهمونه حتى يقطعوا بأنه كاذب ؟ وجملة ((إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ)) احتراس، لأنه لما نفى أن يسألهم مالاً، والمال أجر، نشأ توهّم أنه لايسأل جزاء على الدعوة فجاء بجملة ((إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ)) احتراساً. والمخالفة بين العبارتين في قوله "مالاً" و" أجري" تفيد أنه لا يسأل من الله مالاً لكنه يسأل ثواباً. والأجر: العوض على عمل، ويسمى ثواب الله أجراً لأنه جزاء على العمل الصالح" [108].

الشبهة الثالثة:

لو كان نوح على حق لاتبعه العقلاء منهم، لا الأراذل السفهاء ناقصو العقول، الذين يتبعون أي داع يخدعهم من غير روية ولا عقل ولا تفكير ! لكنّ نوحاً –عليه السلام – يستمر في حواره الهادف مع الملأ من قومه ويسوق لهم أدلة أخرى على صدق دعوته بقوله: ((وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا)) [109] أي: " ليس من شأني ولا بالذي يقع مني طرد الذين آمنوا من قربي وجواري لاحتقاركم لهم، ووصفكم إياهم بالأراذل جهلاً منكم. لأنهم يلاقون ربهم يوم القيامة، فهو يتولى حسابهم، وليس على الرسول من هذا شيء، إن عليه إلا البلاغ، فليس يضركم ماهم عليه، والله أعلم به وبهم " [110].

([107]) { هود: 29 }.

([108]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج6، ص(55)، مرجع سابق.

([109]) { هود: 29 }.

([110]) رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1972م)، ج12، ص(56).

الشبهة الرابعة:

قال تعالى: ((وِمَانَرَاك اتّبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين)) [1].

إنهم لم يروا لمن يؤازر نوحاً في دعوته أي فضل يمتازون به عليهم من مال، أو جاه، أو مكانة اجتماعية، أو قصور، أو جنات، أو غير ذلك مما يعتبرونه فضلاً ! هنا يردّ عليهم نوح–عليه السلام –قائلاً: ((ولكني أراكم قوماً تجهلون)) أي تسفهون عليهم، من الجهالة المضادة للعقل والحلم، أو تجهلون ما يمتاز به البشر بعضهم على بعض من اتباع الحق والتحلي بالفضائل، وعمل البر والخير، وتظنون أن الامتياز انما يكون بالمال المطغي، والجاه الباطل المردي. ويقول لهم أيضاً ((وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ)) [2]، أي لايوجد أحد ينصرني من الله بأن يمنع عني ماأستحقه من عقابه إن طردتهم بعد إيمانهم لي واتباعهم إياي فيما بلّغتهم عنه، وهو ظلم عظيم يقتضي العقاب الشديد بعدل الله تعالى مهما تكن صفة من اقترفه "[3].

الشبهة الخامسة:

اتهام نوح ومن آمن معه بالكذب الصريح ! لكنّ نوحاً –عليه السلام– ردّ على هذه الفرية الزائفة، وساق مزيداً من البراهين الواضحة والحجج الدامغة لدعم موقفه، فقال لهم: ((وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ)) [4]. والمعنى:" أنه رسول من الله يدعو إلى عبادة الله وحده لاشريك له، بإذن الله له في ذلك ولايسألهم على ذلك أجراً، بل هو يدعو من لقيه من شريف ووضيع، فمن استجاب له فقد نجا، ويخبرهم أنه لاقدرة له على التصرف في خزائن الله ولا يعلم الغيب إلا ماأطلعه الله عليه وليس هو بملك من الملائكة؛

---

(1) { هود: 27 }.
(2) { هود: 30 }.
(3) **المرجع السابق**، ج12، ص(56).
(4) { هود: 31 }.

بل هو بشر مرسل مؤيد بالمعجزات، ولا يقــول عن هؤلاء الذين تحتقــرونهم إنـــــهم ليس لهم عند الله ثواب على أعمالهم، الله أعلم بما في أنفسهم فإن كانوا مؤمنين باطنــاً كمــاهو الظاهر من حالهم، فلهم جزاء، ولو قطع لهم أحد بشرّ بعدما آمنوا لكان ظــالماً قائلاً مالا علم له به"[111].

العناد القاتل !

لم تؤثر كلمات نوح في نفوس قومه بل ردّوا عليه في عناد قــائلين:((قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا)) [112]. أي: "إنا غير قابلين لشيء مما تقوله، وإن أكثرت وأطلــت – بغير حجّة منهم بل عناداً وكبراً– فلاتتعــب، بل قصّر الأمر بما تتوعدنا بــه، وســمّوه وعــداً سخرية به، أي هذا الذي جعلته وعيداً هو عندنا وعد حسن سار باعتبــار أننــا نحــب حلولــه، والمعنى: أنك لست قادراً على ذلك ولا أنت صادق فيه، فإن كان حقاً فائتنا به، فكأنه قيل: مــاذا قال لهم ؟ قال " إنما يأتيكم به الله " أي الذي له الإحاطة بكل شيء، فتبرّأ من الحول والقوة وردّ ذلك إلى من هو له، وأشار بقوله " إن شاء "أي: الله تعالى مخيّر في إيقاعه" [113].

الشكوى إلى الله تعالى:

بعد أن ضاق نوح ذرعاً بقومه لجأ إلى ربه مستغيثاً به مما يلاقي من إعراض قومه عن دعوة الله فقال: ((وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {34})) [114]. والمعنى: "أي شــيء يجديــه إبلاغــي ونصــحي،

([111]) ابن كثير،**تفســير القــرآن العظــيم**، ج2، ص(444)، مرجع سابق.

([112]) { هود: 32 }.

([113]) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دائرة المعارف العثمانية، ط1، (1395 هـــ –1975 م)، ج9، ص(278).

([114]) { هود: 34 }.

بدعوتكم إلى التوحيد والتحذير من العذاب، إن كان الله يريد إغواءكم ليدمركم، " هو ربكم " أي: مالك أمـــركم، " وإليه ترجعون " أي: بعد الموت فيجازيكم بأعمالكم " [115].

دروس وعبر من حوار نوح –عليه السلام– مع قومه:

لقد ضرب نوح –عليه السلام– لنا مثلاً أعلى في قوة العزيمة ومضائها واستمرارها عبر دعوته قومه التي استمرت زمناً طويلاً دون أن تهن له إرادة أو تتزعزع له عقيدة. ومن الصور البارزة التي يعرضها القرآن العظيم لمضاء عزيمته ذلك الاستمرار المتواصل لدعوة قومه إلـــى الله عزوجل بالليل والنهار، بالسر و العلانية ولكن هؤلاء القوم رفضوا دعوته جملة وتفصـــيلاً، حتى إنهم رفضوا الاستمـــاع والنظر إليه،وهذا نهايةالإعراض عنه والإيذاء لشعوره. أضف إلى هذا وصمهم إياه بالجـــنون ((إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ {25}))[116]. ولكنّ نوحاً أمام هذا التهديد لم يتراجع بل لجأ إلى ربه: ((قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ {117} فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {118})) [117]. "ونرى صـــورة من قوة عزيمته حين كان يتقبل سخرية قومه وهو يصنع السفينة بصدر رحب ونفس مطمئنة إلى نصر الله عزوجل. ولا شك أن مبعث هذه العزيمة القوية إيمانه الراسخ بربه ســـبحانه،واعتماده عليه " [118].

بين نوح –عليه السلام–وابنه الغريق:

ركب نوح –عليه السلام– والمؤمنون السفينة، وحمل فيها معه زوجين اثنين مـــن كـــل الأحـــياء ولما دخل نوح السفينة قال: ((الحَمْدُ الله الذي نجَّانا مِنَ القَوم الظَّالِمِين، وَقُل رَبّ

([115]) القاسمي، محمد جمال الدين، **تفسير القاسمي المسمّى محاسن التأويـــل**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكـــر، بيروت، ط2، (1398 هـــ –1978 م)، ج9، ص(118).

([116]) { المؤمنون: 25 }.

([117]) { الشعراء: 117، 118 }.

([118]) طبّـــارة، عفيـــف عبـــد الفتـــاح، **مـــع الأنبيـــاء فـــي القـــرآن الكـــريم**، دار العلـــم للملايـــين، بيـــروت، ط11، (1982م)، ص(80).

أنزِلْنِي مُنزلاً مُبارَكاً وأنتَ خُيرُ المُنْزِلين))[5]." ولما أركب نوح–عليه السلام– أتباعه المؤمنين في السفينة، وسارت السفينة وسط الأمواج، ونظر نوح فرأى ابنه الكافر من بعيد، فدعاه إلى ركوب السفينة ولكنه أبى، وجرى حوار بين الاثنين " [1].

قال تعالى: ((وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ {42} قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ {43})) [2]." فهاهو ذا نوح–عليه السلام –ينادي ابنه الذي عزل نفسه في مكان بعيد عن أبيه، يابني اركب معنا في السفينة ولا تكن مع الكافرين، لكنّ ابنه يجيب قائلاً: سأنضم إلى جبل من الجبال يحفظني بارتفاعه، فلا يصل إليّ الماء، فقال له أبوه: ((لاعاصم اليوم من أمر الله)) للتنبيه على أنه ليس كسائر الأيام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص منها بالالتجاء إلى بعض الأسباب العادية، لأن أمر الله تعالى لايغالَب وعذابه لايردّ، وهكذا كان ابن نوح –عليه السلام – من المغرقين، وانقطع الحوار بينهما " [3].

وهنا تظهر عاطفة الأب ويتحرك الحنان والشفقة، ويدعو نوح ربه ((إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ)) [4].

والذي جعل نوح يقول هذا، وعد الله تعالى له بنجاة أهله، لكنّ الله تعالى بيّن لنوح أن ابنه ليس من أهل دينه [5].

---

(1) الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الفكر، بيروت، (1403هـ - 1983م)، ج12، ص(59).

(2) { هود: 42 -43 }.

(3) **المرجع السابق**، ج12، ص(59).

(4) { هود: 45 }.

(5) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج4، ص(113)، مرجع سابق.

---

(5) { المؤمنون: 28، 29 }.

المطلب الثاني

الحوار بين هود – عليه السلام – وقومه

إنّ سنّة الله تعالى في إرسال الرسل، أن يختارهم من أشرف بيوتات أقوامهم، وهذا أدعى إلى أن يعرفوه ويؤمنوا به ويتبعوه، وهذا حال هود –عليه السلام – الذي اختاره الله ليكون أمين رسالته، وصاحب دعوته،لعله يهدي هذه العقول الضالّة، ويقوّم هذه النفوس المعوجّة.

هود – عليه السلام – يدعو قومه إلى عبادة الله تعالى:-

"دعا هود قومه إلى إفراد العبادة لله تعالى واتباع أوامره سبحانه وتجنّب نواهيه، ثمّ حرص على التحبّب إليهم بأسلوب الترهيب بعد الترغيب. فقال: يا قوم، ما هذه الأحجارالتي تنحتونها ثم تعبدونها وتلجئون إليها؟ ما خطرها وما نفعها ؟ وما ضررها وما غناؤها ؟ إنها لاتجلب لكم نفعاً، ولا تدفع عنكم شراً، إن هذا إلا ازدراء لعقولكم، وامتهان لكرامتكم، ولكنّ هناك إلهاً واحداً حقيقاً بأن تعبدوه، ورباً جديراً بأن تتوجهوا إليه، وهو الذي خلقكم ورزقكم، وهو الذي أحياكم، وهو الذي يميتكم، مكّن لكم في الأرض، وأنبت الزرع، وبسط لكم في الأجسام، وبارك لكم في الأنعام، فآمنوا به، واحذروا أن تعموا عن الحق أو تكابروا فيه فيصيبكم ماأصاب قوم نوح، وما عهدهم منكم ببعيد " [119]. قال لهم ذلك وهو يرجو أن تصل كلماته إلى أعماق نفوسهم فيؤمنوا ((وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ {52})) [120].

([119]) المولى، محمد أحمد جاد، وآخرون، **قصص القرآن**، دار الفكر، (1389هـ – 1969 م)، ص(24)، بتصرف.

([120]) { هود: 52 }.

شبهات عاد والردود عليها من قبل هود:-

الشبهة الأولى:

قال تعالى ((أَوَعَجِبْتُم أَنْ جَاءَكُم ذِكر مِنْ رِبِكُم عَلى رِجُل مِنْكُم لِيُنْذِرُكُم)) [1].

كون هود بشراً مثلهم، مما أثار استغرابهم واستهجانهم، لكنّ هوداً قال لهم: أكذّبتم وعجبتم أن أنزل ربكم وحيه على لسان رجل منكم لينذركم بأسه ويخوفكم عقابه؟ [2].

الشبهة الثانية:

عدم تقديم معجزة أو آية بيّنة تدل على صدق رسالته ونبوته.((قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ {53})) [3].

" إلى هذا الحدّ بلغ الانحراف في نفوسهم، إلى حدّ أن يظنّوا أن هوداً يهذي لأن أحد آلهتهم المفتراة قد مسّه بسوء، فأصيب بالهذيان !! وهنا لم يبق لهود إلا التحدّي، وإلا التوجه إلى الله وحده والاعتماد عليه، وإلا الوعيد والإنذار الأخير للمكذبين،وإلا المفاصلة بينه وبين قومه ونفض يده من أمرهم إن هم أصروا على التكذيب" [4]. ((قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ {54} مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ {55} إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {56} فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ {57})) [5].

---

(1) { الأعراف: 69 }.

(2) المراغي، أحمد مصطفى، **تفسير المراغي**، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط5، (1394هـ - 1974م)، ج8، ص(194).

(3) { هود: 53 }.

(4) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص(1898)، (مرجع سابق).

(5) { هود: 54 – 57 }.

"لقد تضمّن جوابه الدال على التحدي والمعجزة الباهرة وقلة المبالاة بهم عدة **أمور** هي: البراءة من الشرك، وإشهاد الله على ذلك، وإشهادهم على براءته من شركهم، وطلبه المكايدة له، وإظهار قلة المبالاة بهم، وعدم خوفه منهم ومن آلهتهم. وهذا موقف مشابه تماماً لموقف سلفه نوح –عليه السلام – " [121]. كما قال تعالى: ((فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ {71})) [122].

الشبهة الثالثة:

استغرابهم دعوته إلى الإيمان بالله تعالى وحده والكفر بالآلهة المدّعاة، وعبادة الله تعالى وحده وعدم عبادة الآلهة التي ورثوها عن آبائهم. ((قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا)) [123]." فأجابهم هود – عليه السلام –: إنه قد وجب عليكم –وحقّ– بمقالتكم هذه من ربكم عذاب وسخط وطرد من رحمته. وقد كان عذابهم ريحاً صرصراً عاتية تلقي الناس على الأرض ((كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ)) [124]. أي أصول نخل قلع من جذره"[125].

الشبهة الرابعة:

اتهامه بالجنون، فزعموا أن آلهتهم مسته بسوء، وجعلته بدون عقل، لأنّ هذه الآلهة–كما يدّعون – تعاقب من كفر بها، وتمسّه بسوء ((إن نقول إلاّ اعتراك بعض آلهتنا بسوء))[6]. أي إنه أصابك ما أصابك لأن بعض آلهتنا غضب عليك فأصابك في عقلك، فاعتراك جنون بسبب ذلك ! فردّ عليهم ((إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ {54} مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ {55})) [126]،" هذا تحدٍّ منه لهم وتبرؤ من آلهتهم،

([121]) الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دارالفكر، بيروت، ط1، (1411هـ – 1991م)، ج12، ص(92).
([122]) { يونس: 71 }.
([123]) { الأعراف: 70 }.
([124]) { القمر: 20 }.
([125]) **المرجع السابق**، ج8، ص(264).
(6) { هود: 54 }.

وبيان أنها لا تنفع شيئاً ولا تضر، فإن كانت كما تزعمون من أنها تنصر وتنفع وتضر، فها أنـــا ذا بريء منها، لاعن لها، فكيدوني ولا تؤخروني ساعة واحدة ولا أقل من ذلك، فإني لا أبـــالي بكم ولا أفكر فيكم، ولا أنظر إليكم " [2].

الشبهة الخامسة:

"اتهامه بالسفاهة، لدعوته إلى توحيد الله عزّ وجلّ وإفراده بالعبادة وترك عبادة الأصنام، وأرادوا بهذا اتهامه بالخفة والطيش لتنفير الناس منه. وقد ردّ عليهم بقوله: ليس بـــي ســـفاهة عقل، ولقد عشت فيكم دهـــراً طـــويلاً فما أنكرتم عليّ شيئاً ، وما جـــرّبتم علـــيّ حمقـــــاً ولا طيشاً"[3]. ((قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {67})) [4].

نتيجة الحوار بين هود – عليه السلام – وقومه: –

"بقي هود – عليه السلام – يدعو قومه ويقدّم لهم النصح والإرشاد، ويبيّن لهـــم أنـــه لا ينبغي لهم أن يعجبوا لأنه جاءهم رجل منهم لينذرهم، لأنّ ذلك من سنّة الله أن يجعـــل الرســـول إلى القوم منهم ليكونوا أشدّ فهماً لما يلقيه إليهم، ولأنهم على علم بحقيقته وأمانته، وما هو عليـــه من خـــلق حســـن. لكنّ قومه أصـــرّوا على تحدّيه وتكذيبـــه، ((فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين)) [5].

([126]) { هود: 54، 55 }.

(2) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، **قصص الأنبياء**، دار الفكر، بيروت، ط1، (1403هـــ–1983م)، ص(120)، بتصرف.

(3) المولى، **قصص القرآن**، ص(25)، (مرجع سابق).

(4) { الأعراف: 67 }.

(5) { الأعراف: 70 }.

حينئذ أنذرهم هود بأن الله تعالى سيحل عليهم عذاباً قريباً بقولـــه ((قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ[1] وَغَضَبٌ)) [2]. وبهذا نجّى الله تعالى هوداً والذين معه من ذلك العذاب وأهلك القوم المجرمين " [3].

دروس وعبر من قصة هود:

1. "إن القوة حين تكون بعيدة عن الحق وحين تنبعث من النفوس المعرضة المســتعلية تصــير سبباً من أسباب الطغيان بل من أخطر أسبابه، إنها تحمل أصحابها فتنسيهم أول بدهية مــن البدهيات، وهي أنهم خلقوا ليموتوا، فبقدر ما تجدهم يبنون في الدنيا مشيّدين متفاخرين، إنهم يهدمون من جانب آخر بنيانهم الإنساني، فيصبح البطش طبيعتهم، والتجبر ديدنهم، فلا تزداد قلوبهم إلا قسوة " [4]. فعلى كل من يتصف بالقوة ألاّ يركن إلى قوته المــادية وألاّ يعــوّل عليها وحدها وألا يغترّ بها حتى لا تدفعــه إلى الاستبداد والتجبّر.

2. " لا ينبغي أن يقابل الشر بمثله، بل لا بدّ من استعمال اللين في الكــلام مــع المــدعوين. فلوعدنا إلى قولهم له ((إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)) [5]. ثــم مــــاذا كــان جوابه –عليه السلام–؟ كان جوابه لهم ((يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {67} أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ {68}})) [6] فمن تأمّل هذا الجواب وجده غاية في دماثة الأخلاق والتلطّف وإسداء النصيحة الخالصة من الشوائب.

---

(1) رجس: عذاب وغضب محقق الوقوع.

(2) { الأعراف: 71 }.

(3) النجار، عبد الوهاب، **قصص الأنبياء**، دار الفكر، بيروت، ط2، ص(52، 53)، بتصرف.

(4) عباس، فضل حسن، **القصص القرآني "إيحاؤه ونفحاته"**، دار الفرقان، ط1، (1407هـ –1987م)، ص(104).

(5) { الأعراف: 66 }.

(6) { الأعراف: 67، 68 }.

3. ضرورة التذكير بنـــعم الله تعالى عليهم والتذكير بالإيمـــان وأنّ ذلك يحفظ عليهم حســـــن حالهم. لقد أنعم الله عليهم بأموال وبنين وجنات وعيون،وزادهم في الخلق بســطة وجعلهــم خلفاء الأرض من بعد قوم نوح وأنّ إيمانهم يستتبع رضا الله تعالى، فيرسل الســماء علــيهم مدراراً لسقي زروعهم وإنبات الكلأ لماشيتهم وأنّه تعالى يزيدهم عزّاً إلى عزّهم.فكان جواب قومه له التعجب من شأنه وشأن رسالته، واتهامه بأنّ بعض آلهتهم مسّه بالجنون الذي أفقــده صوابه عقاباً له على الخوض في حقهم والتقليل من سلطتهم [1].

4. "إنّ أصحاب الدعوة إلى الله تعالى– في أي زمان أو مكان –، في حاجة إلى أن يقفوا طويلاً أمام المشهد الذي يظهر فيه هود – عليه السلام – وهو يحاور قومه ولم يــؤمن معــه إلا قليل، يواجه أعتى أهل الأرض وأغنى أهل الأرض وأكثر أهل الأرض حضارة مادية فــي زمانهم. إنّ هؤلاء العتاة الجبارين الذين يبطشون بلا رحمة، والذين أبطرتهم النعمة، والذين يقيمون المصانع يرجون من ورائها الامتداد والخلود ! هؤلاء هم الذين واجههم هود – عليه السلام – هذه المواجهة، في شجاعة المؤمن واستعلائه وثقته واطمئنانــه، وفاصــلهم هــذه المفاصلة الحاسمة الكاملة وتحدّاهم أن يكيدوه بلا إمهال، وأن يفعلوا ما فــي وســعهم فــلا يباليهم بحال!! " [2].

(1) النجار، **قصص الأنبياء**، ص(56)، (مرجع سابق).

(2) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص(1905)، (مرجع سابق).

المطلب الثالث

حوارات إبراهيم عليه السلام

أولاً:- حوار إبراهيم – عليه السلام – مع خالقه سبحانه وتعالى:-

قال تعالى: ((وَإِذْ قَالَ إبراهِيمُ ربِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الموْتَى قَالَ أَوَلَمْ تؤمنْ قَالِ بَلى وَلكنْ لِيطمئنَّ قَلْبي قَالَ فَخُذْ أَربعةً مِنَ الطَّيرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثمَّ اجْعَل عَلى كلِّ جَبَلٍ مِنْهنَّ جزءاً ثمَّ ادْعُهُنَّ يأتينَكَ سعياً واعْلَمْ أّن اللهَ عزيزٌ حَكيم))[127].

المعنى العام للآية الكريمة:

"واذكر إذ سأل إبراهيم – عليه السلام – ربه – عز وجل – أن يريه كيفية إحياء الموتى، والخليل – عليه السلام – لم يسأل ذلك شكّاً، أو تعنتاً، وإنما سأله ليترقى بذلك من علم القين إلى عين القين، وأن يرى ذلك مشاهدة بعد أن رآه إيماناً ويقيناً. فسأله الله – عز وجل- "أولم تؤمن؟" فأجابه بالإيجاب. وبيّن إبراهيم سبب السؤال وهو: ليزداد سكوناً وطمأنينة"[128].

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال ربّ أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي"[129]. ومعنى الحديث: "لو كان شاكاً لكنا نحن أحق به، ونحن لا نشك فإبراهيم أحرى ألاّ يشك"[130]. فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم – والله تعالى أعلم -.

ولقد استجاب الله – تعالى- لهذا الطلب والتطلع في قلب إبراهيم، ومنحه التجربة الذاتية المباشرة: ((فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك))، "لقد أمره أن يختار أربعة من الطير، فيقربهن

([127]) {البقرة: 260 }.
([128]) حوّى، **الأساس في التفسير**، مج1، ص (611)، (مرجع سابق).
([129]) البخاري، **صحيح البخاري، كتاب التفسير**، باب: وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحيي الموتى، ج6، ص(39)، (مرجع سابق).
([130]) القاسمي، **تفسير القاسمي**، ج3، ص(260)، (مرجع سابق).

منه ويميلهن إليه، وأن يذبحهن ويمزق أجسادهن، ويفرّق أجزاءهن على الجبال المحيطة، ثم يدعوهن، فتجتمع أجزاؤهن مرة أخرى، وترتدّ إليهن الحياة، ويعدن عليه ساعيات"[131].

((واعْلَمْ أَنَّ اللهَ عزيزٌ حَكيم))[132]، أي: "عزيز لا يغلبه شيء ولا يمتنع من شيء، وما شاء كان بلا ممانع، لأنه القاهر لكل شيء، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه"[133].

الفوائد والأحكام المستفادة من هذا الحوار:-

1- إثبات قدرة الله على إحياء الموتى، مهما تلاشت أجزاؤها، وتطاول الزمان على موتها.

2- حرص إبراهيم – عليه السلام – على الترقي من علم اليقين إلى عين اليقين، فقوله "أرني كيف"؟ يدل على طلب مشاهدة الكيفية، وليس اختبار القدرة الإلهية على الإحياء أو الإنشاء.

3- في هذا الحوار: دليل واضح على ولاية الله – تعالى – للمؤمنين، وإخراجه إياهم من الظلمات إلى النور، ويفتح بابه أمامهم لكي يسألوا عما يريدون السؤال عنه، ويتقبل مطالبهم بحلم عظيم، وفضل كبير [134].

([131]) قطب، **في ظلال القرآن**، مج1، ص(302)، (مرجع سابق).

([132]) {البقرة: 260 }.

([133]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مج1، ص(316)، (مرجع سابق).

([134]) طنطاوي، محمد سيد، **أدب الحوار في الإسلام**، دار نهضة مصر، (1417 – 1996م) ص (133).

ثانياً:- حوار إبراهيم – عليه السلام – مع والده:-

كان أبو الأنبياء إبراهيم – عليه السلام – نبياً ورسولاً، وطلب الله تعالى منه أن يدعو الناس إلى التوحيد، ومن المنطقي أن يبدأ إبراهيم بدعوة أقرب الناس إليه، ولذلك كانت الخطوة الأولى في خطوات تبليغه الرسالة هي أن يدعو أباه إلى الله عزّ وجلّ.

"أقبل إبراهيم على أبيه يقول له: يا أبت لِمَ تعبد هذه الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنك شيئاً يوم يقوم الناس لرب العالمين ؟ وقد استنكر آزر (أبوه) هذه اللهجة من ولده، ودهش منه أن يوجّه هذا السؤال إليه، ولعله سأله عن سبب ذلك، فقال له – عليه السلام –: إن الله أعلمني بما لم يعلم به أحداً، وخصّني برسالة أبلّغها لعباده، فأنا عبده ورسوله، وأعلم من الله ما لا تعلمون.إن هذه الرسالة تقتضي الاتباع، وأنت يا أبت أقرب الناس إليّ، وأحق من يسرع إلى إجابة ما أدعو إليه، إن فيه الهداية والرشد، فاتبعني أهدك صراطاً سوياً. ولا شك أن آزر–أبا إبراهيم – اشتدّ إنكاره على ولده، وزين له الشيطان أن ما يدعو إليه ولده باطل، لا أساس له من الحقيقة، وقد تنبّه إبراهيم لذلك فأراد أن يبين لأبيه أن ما يدعو إليه حق من الله، وأن هذه الأصنام من تزيين الشيطان للناس لأنه يريد أن يصدّهم عن السبيل القويم. لقد كان إبراهيم – عليه السلام – حريصاً كل الحرص على أن ينجّي أباه من المصير السيىء والعاقبة الوخيمة التي يمكن أن يقع بها أبوه إن استمرّ على عبادة الأصنام.

وكان – عليه السلام – في منتهى التعقّل والهدوء واللين وهو يدعو أباه، إنه لم ينس لحظة واحدة أنه أبوه، وهو يعرف له حقه. ولذلك لم يكن جافياً قط في مخاطبة أبيه – على الرغم من كفره وعناده – ولكن الأب كان علىعكس الابن تماماً، فقد قابل إبراهيم بكل عنف ونكران " [135]. قال تعالى:((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً {41} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً {42} يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ

([135]) النشرتي، حمزة، وآخرون، **موسوعة القصص القرآني**، المكتبة القيّمة، القاهرة، مج1، ص(198– 200)، بتصرف.

جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً {43} يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً {44} يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً {45} قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً {46} قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً {47})) [136].

المعنى العام لهذه الآيات:

"إن إبراهيم –عليه السلام –يدعو أباه إلى ترك عبادة الأصنام لأنها لا تسمع الدعاء ولا تبصر العبادة ولا تغني من عذاب الله عز وجل، ويدعو إبراهيم –عليه السلام – أباه إلى اتباعه لأن الله تعالى علّمه علماً وبياناً لم يعلّمه آزر.

ويبين أبو الأنبياء –عليه السلام– لأبيه خطورة اتباع الشيطان لأن في هذا الاتباع عذاباً شديداً مؤلماً. لكنّ أباه يصر على عبادة الأصنام، ويحذر إبراهيم قائلاً:إن لم ترجع عن مقالتك لأسبنّك وأشتمنّك وأقاطعنّك أبد الدهر. وهنا يقول إبراهيم –عليه السلام – لأبيه: أكرمك الله بالهدى، سأدعو لك ربّي سبحانه الذي عوّدني الإجابة إذا دعوته عز وجل " [137].

([136]) { مريم: 41 – 47 }.

([137]) السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد، **تفسير السمرقندي المسمّى بحر العلوم**، تحقيق: علي معوّض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1413هـ–1993م)، ج2، ص(325).

أهم الإشارات التي تم استنتاجها من حوار إبراهيم مع أبيه:

1. التحلّي بأعلى درجات الفضيلة ومنها الصدق لأنه ملاك أمر الدين، قال تعـــالى: ((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً {41})) [138].

2. دعوة أقرب الناس إلى الداعية، قال تعالى: ((إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً {42})) [139]. وفي هذا تأكيد على وجوب صلة الرحم.

3. اللين في الكلام وحسن الخلق في المعاملة،((قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً {47})) [140].

4. بيان ضعف وعجز المعبودات من دون الله تعـــالى، ((إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً {42})) ؟ [141].

5. العمل على تحقير المعبودات والتقليل من شأنها.

6. الإشارة إلى الاقتداء بإبراهيم – عليه السلام – والاهتداء بهديه واتباعه فيما يرشد إليـــه، إنّ الاقتداء بالأنبياء هو سبيل الهداية إلى الرشاد، لأنه الطريق الأقوم لتصحيح العقيدة والدعوة إلى إخلاص الدين لله، وبالتالي تتضح معالم الصراط السويّ. ((يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً {43})) [142].

([138]) { مريم: 41 }.

([139]) { مريم: 42 }.

([140]) { مريم: 47 }.

([141]) { مريم: 42 }.

([142]) { مريم: 43 }.

7. النهي عن طاعة الشيطان وأنّ طاعته تؤدي إلى عبادتــه. ((يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً {44}))[143].

8. "الإشفاق على المدعوين أمر يجب أن يتصف به الداعية، فإبراهيم –عليه الســلام – كــان يخاطب أباه بلفظ "يا أبت"، وهذا دليل على شدة الحب والرغبة في صونه عــن العقـــاب، وإرشاده إلى الصـــواب، وقوله ((إني أخاف)) دليل على شدّة تعلّق قلبه بمصـــالحه، قضـــاء لحق الأبوة.

ترتيب الموعظة كان في غاية الحسن، فقد نبّه أباه أولاً إلى بطلان عبادة الأوثــان، ثــم أمره باتباعه في الاستدلال وترك التقليد الأعمى، ثم ذكّره بأن طاعة الشيطان غير جــائزة فــي العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام مع رعاية الأدب والرفق" [144].

([143]) { مريم: 44 }.

([144]) العارف، هشام فهمي، **سيرة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في القرآن المجيد والأحــاديث الصحيحـــة**، دار البشـــائر الإســـلامية، ط1، (1417هـــ – 1996م)، ص(34– 36)، بتصرف.

ثالثاً: إبراهيم – عليه السلام– يهدي قومه عن طريق الحوار:

كانت المحطة الثانية لإبراهيم –عليه السلام– بعد دعوته لأبيه، هي انتقاله إلى قومه، ليدعوهم إلى التخلّي عن الكفر، وترك عبادة الأصنام، والإيمان بالله وحده، وكان أبوه من جملة المدعوين من قومه.

"بدأ بمحاورة قومه عندما جنّ عليه الليل، وستره الظلام، فرأى كوكباً مما يعبدون، وهو بين جماعة منهم يتحدثون ويسمرون، فقال: ((هذا ربي))! طريق في الحوار حكيم، ومنهج في الكلام قويم، انظر إليه يحاكيهم في اعتقادهم، ولا يعلن مخالفتهم، ولا يسفه أحلامهم، فذلك أدعى إلى إنصاتهم لقوله، وتفهّمهم لحجّته، ثمّ لم يلبث أن كرّ على قولهم ينقضه، ورجع إلى مذهبهم يزيّفه، ولكن من طريق خفيّ، ينبئ عن سداد رأي، ونقاء بصيرة. فلما أفل هذا الكوكب، تفقّده، فلم يجده، فقال: لا أحبّ الآلهة المتغيرين من حال إلى حال، ثمّ عرّض بآلهتهم وأعلن بغضه لها وتبرّأ من حبّها.

ولما رأى القمر بازغاً، وهو أسطع نوراً من ذلك الكوكب، وأكبر منه حجماً، وأكثر نفعاً، قال: ((هذا ربّي))! استدراجاً لهم واستهواء لقلوبهم، فلما أفل واختفى نوره قال: ((لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ {77})) [145] تأكيداً على أن الله مصدر الهداية، ومانح التوفيق عند الشك والحيرة. ثمّ رأى الشمس بازغة يتألق نورها، وينبعث شعاعها، وقد كست الدنيا جمالاً، وملأت الأرض حياة وبهاءً. فقال:((هذا ربّي)) ! فلما أفلت مثل غيرها، وغابت عن عبّادها رماهم بالشرك، ووسمهم بالكفر، فقال: إني بريء مما تشركون، فهذه الكواكب تنتقل من مكان إلى مكان، وتتحول من حال إلى حال، لا بدّ لها من خالق يدبّرها ويحرّكها، فهي لا تستحق عبادة ولا تكريماً ولا تعظيماً " [146].

([145]) { الأنعام : 77 }.

([146]) المولى، **قصص القرآن**، ص(50–52)، بتصرّف، (مرجع سابق).

هذا، والمتأمّل في هذه الحالات الثلاث يرى أن إبراهيم – عليه السلام – قد سلك مع قومه أحكم الطرق في الاستدلال على وحدانية الله، فقد ترقّى معهم وهو يأخذ بيدهم إلى النتيجة التي يريدها بأسلوب يقنع العقول السليمة، ثمّ ختم هذا الترقّي في الاستدلال على وحدانية الله بقوله–كما حكى القرآن عنه– ((إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً))[147]. فمعنى ذلك أنني توجهت لله تعالى الإله الحقيقي لهذا الكون الذي خلق السموات والأرض. ولكن لم يقل مثلاً إني توجهت للذي خلق النجوم والكواكب والشمس والقمر، لماذا ؟ والجواب يكمن فيما يلي:

أولاً: لأن هذا التعبير أعم.

ثانياً: لأنه ظاهر للناس جميعاً لا يحتاج إلى دليل.

ثالثاً: لأنه لا أحد من البشر يستطيع منذ بدء الخليقة حتى نهايتها أن يدّعي أنه هو الذي خلق السموات والأرض، فالسموات والأرض وكل الخيرات فيها مسخّرة لخدمته.

رابعاً: لأن خلق السموات والأرض يُشعر بالقدرة الخارقة للإله الذي خلق هذا كله[148].

وبذلك يكون إبراهيم –عليه السلام – قد أقام الأدلة الحكيمة، والبراهين الساطعة على وحدانية الله تعالى وسفّه المعبودات الباطلة وعابديها.

قال تعالى: ((فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ {76} فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ {77} فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا

([147]) {الأنعام: 79 }.

([148]) الشعراوي، محمد متولي، **قصص الأنبياء**، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، (1416هـ– 1996م)، مج1، ص (495، 496).

أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ {78} إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {79}))[149].

([149]) { الأنعام: 76-79 }.

إشارتان يمكن استنتاجهما من حوار إبراهيم – عليه السلام – مع قومه:

1. "التدرّج في الحجّة والإقناع واتخاذ المنطق السليم والحكمة: فقد استعمل إبراهيم – عليه السلام– لبلوغ غايته المرجوّة طريقة الحوار لتقرير وحدانية الله سبحانه وتعالى في أذهان قومه الذين يعكفون على عبادة الأصنام، حيث حقّر معبوداتهم من دون الله وبيّن عجزها، وأفاد عدم قدرتها على شيء، ثمّ عظّم الله تعالى وبيّن قدرته وعظمته، ونزّهه عمّا لا يليق به.

2. الانتقال لمخاطبة العقل صاحباً معه الدليل الواضح لإثبات بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل، فاستدرجهم بعد أن أقام عليهم الحجة حين خاطب القلب والفطرة، وبذلك قطع عليهم زيغهم وكشف نواياهم بدقة" [150].

رابعاً: - المناظرة الكبرى بين إبراهيم – عليه السلام – والملك:

كانت الخطوة التي لا بدّ أن يخطوها إبراهيم –عليه السلام – في دعوته إلى الله عزّ وجلّ، هي دعوة الملك إلى الصراط المستقيم، وهي انتقال مرحليّ متدرّج منتظم: فقد بدأ دعوته مع أبيه أقرب الناس إليه، ثمّ انتقل يدعو قومه، وهي الدائرة الأوسع، ثمّ الخطوة الثالثة، وهي دعوة الملك، رأس القوم. وقد سجّلت آية من سورة البقرة بعض الحوار الذي جرى بين إبراهيم وبين الملك، فقال تعالى: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {258}))[151].

([150]) العارف، **سيرة إبراهيم الخليل**، ص(46– 48)، بتصرّف، (مرجع سابق).
([151]) { البقرة: 258}.

"يذكر الله تعالى مناظرة خليله أبي الأنبياء –عليه السلام– مع هذا الملك الجبار المتمـــرّد الذي ادّعى لنفسه الربوبية، فأبطل الخليل –عليه السلام– عليه دليله،وبيّن كثرة جهله وقلة عقله، وألجمه الحجّة، وأوضح له طريق المحجّة " [152].

([152]) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص(167)، (مرجع سابق).

فقد سأل الملك إبراهيم: من ربّك ؟ فأجابه إبراهيم – عليه السلام –: ((رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ)) [153]. " وقد جاء إبراهيم – عليه السلام – بهذه الحجة لأنّ أحداً لم يجـرؤ أن يـدّعي القدرة على الإحياء والإماتة، بل ولن يدّعي أحد أنّه شريك فيها، حتى الذين امتلأوا بـالغلوّ فـي الكفر عندما يسألهم أحد: من الذي خلق الإنسان ؟ فإنّهم يجيبون صـاغرين " إنّـه الله ". إلاّ أنّ الخصم الذي حاجّ إبراهيم–عليه السلام– يريد ألاّ ينتهي الجدل، فقال ناقلاً المحاجّة إلى لون من السفسطة: أنا أحيي وأميت!، فسأله إبراهيم – عليه السلام –: كيف تحيي وتميت ؟! فقال الرجل: إنّ عندي من المسجونين عدداً وأستطيع أن أقتل منهم من أشاء، وأن أمتنع عن قتل من أشـاء، فمن لم أقتله فكأنني أحييته، ومن قتلته فأنا أمتـّه !. لم يقل له إبراهيم – عليه السلام –: لنتفـق أوّلاً علىتعريف الحياة والموت: لأنه لم يرد أن يطيل هذه المجادلة، إنّما أراد أن يأتي بالحجّـة التي تسقط للرجل كل ما يحاجج به، فجادله بما يلجمه ! ففي هذه القصة ينبّهنا الله عزوجل إلى حقيقة هامة هي: أنّ الرسل في جدلهم مع أممهم أو مع المناقشين لهم لايكون هدف الرسـول أن يظفر بالغلبة، وإنما يكون هدفه أن يصل إلى الحقيقة كما هي. إن هذا الرجل قد بدّل نعمـة الله كفراً، فدخل مع إبراهيم – عليه السلام – في جدال عقيم بقصد السفسطة، فأراد إبـراهيم خليـل الرحمن أن ينتقل معه إلى مجال آخر غير غيبي ولا يختصّ بأمر الروح، فانتقل بـالحوار إلـى حقيقة ساطعة" [2]: ((قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ)) [3].

"وهكذا نرى نصر الله للذين آمنوا، ونجد أنّ الذي حاجّ إبراهيم في ربّه قد واجه أمراً لا قبل له به. لقد بهت الذي كفر ولم يجرؤ على الرد على مقولة إبراهيم – عليه السلام – بـأنّ الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب. والبهت يأخذ ثلاث صور: الدهشة أولاً، ثـم الحيرة ثانياً، ثم الهزيمة ثالثاً.

([153]) {البقرة: 258 }.

(2) الشعراوي، **قصص الأنبياء**، مج1، ص(509–512)، بتصرف، (مرجع سابق).

(3) {البقرة: 258 }.

لقد انتقل الذي كفر من القدرة على المواجهة إلى مفاجأة الدهشة، هـذه هـي الصـورة الأولى. ومن المفاجأة والدهشة انتقل إلى التحيّر، لأنه يبحث عن مخرج لنفسه فلم يجد مخرجـاً من ورطته، وهكذا تلقّى النتيجة وهي الهزيمة " [154].

([154]) **المرجع السابق**، مج1، ص(514).

* تنبيه: إن الله تعالى سيأتي بالشمس من المغرب قبيل قيام الساعة، فعن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: ((اطّلـع النبـي – صلى الله عليه وسلم – علينا ونحن نتذاكر. فقال: ما تذاكرون ؟ قالوا: نذكر السـاعة.قال:إنها لن تقوم حتى تكون قبلها عشر آيات. فذكر الدخان، والدجال والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مـريم – صـلى الله عليـه وسلم–ويأجوج ومأجوج. وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وآخر ذلك نـار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم)).

انظـر مسلم، **صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشـراط الساعـة**، رقـم الحـديث (2901)، ج4، ص (2225، 2226)، (مرجع سابق).

المطلب الرابع

الحوار بين شعيب – عليه السلام – وقومـــــه

"إن موضوع المحاورة بين شعيب –عليه السلام – وقومه هو الإصلاح، وهي محـــاورة تختلف عن محاورة نوح – عليه السلام– مع قومه، فمحاورة نوح – عليه السلام– منصبّة كلهـــا على العقيدة، لأنه إذا نجح في إقناع محاوريه بوحدانية الله تعالى، فتغيير السلوك سيأتي بطبيعـــة الحال تبعاً لذلك، حيث إن المؤمن سيبحث من تلقاء نفسه عما يرضي ربـــه مـــن الســـلوك،وأما محاورة شعيب – عليه السلام – فقد كانت شاملة للعقيدة والسلوك، لأنـــه يـــرى أن الموضـــوع متكامل لا داعي لتجزئته، وربما كان لاختلاف نوعية المحاورين أثر في ذلك، فإن انحرافـــات السلوك وظهورالمساوىء في سلوك العامة،وهم محاورو شعيب أوضح منه في ســـلوك الســـادة وهم محاورو نوح، فإن السادة أقرب إلى تجنب مساوىء الســـلوك أو إلى إخفائها، وإذا لم يكـــن ذلك حباً في الاعتدال، فللمحافظة على السيادة، وبناء علـــى ذلـــك يكـــون أوضـــح مســـاوىء محـــاوري نـــوح – عليه السلام– العقـــيدة، فركّز المحـــاورة عليها، أمـــا محـــاورو شعيب – عليه السلام – فكانت مساوئهم شديدة الوضوح في العقيدة والسلوك معاً " [155]. وها نحن أُولاء نقف مع تفاصيل الحوار الذي دار بين شعيب – عليه السلام – وقومـــه. قـــال تعـــالى: ((وَإِلَـى مَدْيَنَ[156] أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّـيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّـيَ أَخَـافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ {84} وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَـالَ وَالْمِيـزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّـاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِـي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ {85} بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ {86})) [157]، فها هـــو ذا

([155]) حفني، **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، (1985م)، ص(88)، (مرجع سابق).

([156]) مدين: مكان على بحر القـُلزُم محاذٍ لتبوك، قيل: هي اسم لقبيلة. انظر: الحموي، أبو عـبد الله ياقـوت بن عـــبد الله، **معجـــم البـــلدان**، دار صـــادر، بيروت، (1404هـــ – 1984م)، ج5، ص(77).

([157]) { هود:84–86 }.

شعيب – عليه السلام – يحاورهم قائلا: ((يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ)) أي: " اعبدوا الحق سبحانه وتعالى، والعبادة هنا بالمفهوم العام: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فهي تتضمن غاية الذل والخضوع لله – تعالى – بغاية المحبة له. ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله عنده أعظم من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله – تعالى – [158]. وقد جرت سنّة الأنبياء أن يبدؤوا بالدعوة إلى التوحيد، ثم يتبعونه بالأهم فيما يرون لدى أقوامهم " [159].

شعيب – عليه السلام – ينصح قومه:-

بعد أن ابتدأ شعيب حواره مع قومه بالأمر بالتوحيد، أعقبه بالنهي عن مظلمة كانت متفشية فيهم وهي خيانة المكيال والميزان، فقال لهم: ((وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ)) [160] أي: " لا تركبوا ما أنتم عليه وتستمروا فيه، فيمحق الله بركة ما في أيديكم، ويفقركم ويذهب ما به يغنيكم. فنهاهم أولاً عن تعاطي ما لا يليق من التطفيف،وحذرهم سلب نعمة الله عليهم في دنياهم، وعذابه الأليم في أخراهم، وعنّفهم أشدّ تعنيف " [161]. ثم واصل حواره معهم قائلاً: ((وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ {85} بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ {86})) [162]، " فهو ينهاهم أولاً عن

([158]) ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، **العبودية في الإسلام**، تفسير قول الله تعالى ((يا أيها الناس اعبدوا ربكم))، المطبعة السلفية، القاهرة، ط3، (1398هـ)، ص(4، 6).

([159]) المراغي، **تفسير المراغي**، ج10، ص(69)، (مرجع سابق).

([160]) { هود:84 }.

([161]) ابن كثير, **قصص الانبياء**, ص(245), (مرجع سابق).

([162]) {هود:86,85 }.

نقص المكيال والميزان إذا أعطوا الناس، ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط آخذين ومعطين، ونهاهم عن العثو في الأرض بالفساد وقد كانوا يقطعون الطريق، وأرشدهم إلى أن ما يبقيه الله لهم من مال حلال خير من أخذ أموال الناس"[163]، ((وما أنا عليكم بحفيظ)) أي: "بمراقب لكم حين تبيعون وتشترون، ولا بحاسب محصي عليكم ظلمكم فأجازيكم به، وإنما أنا واعظ لكم ناصح ليس غير"[164]. "فقد أرشد – عليه السلام– قومه إلى ما يصلحهم في عقائدهم ومعاملاتهم، وفي صلاتهم بعضهم ببعض، وفي سلوكهم الشخصي، بأسلوب حكيم جامع لكل ما يسعد ويهدي الى الحق"[165]. "وسلك في نهيهم عن الفساد مسلك التدرج، فابتدأه بنهيهم عن نوع من الفساد فاش فيهم وهو التطفيف. ثم ارتقى فنهاهم عن الجنس الأعلى للفساد الشامل لجميع أنواع المفاسد وهو الإفساد في الارض , وهذا من أساليب الحكمة في تهيئة النفوس بقبول الإرشاد والكمال. وإذ كانت غايتهم من الإفساد اجتلاب مافيه نفع عاجل لهم, فقد أعقب شعيب – عليه السلام– موعظته بما ادّخره الله من الثواب على امتثال أمره, وهو النفع الباقي هو خير مما يقترفونه من المتاع العاجل"[166].

ردّ قوم شعيب – عليه السلام – على دعوته:

إن القوم قد عتوا ومردوا على الانحراف والفساد، وسوء الاستغلال فقالوا: ((ْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ {87}))[167]، وهو ردّ واضح التهكم، بيّن السخرية في كل مقطع من مقاطعه.

([163]) ابن كثير , تفسير القرآن العظيم , الجزء الثاني , ص (457)، (مرجع سابق).

([164]) الجزائري، أبو بكر جابر، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، راسم للدعاية والإعلان، جدة، ط2، (1407هـ – 1987م)، مج2، ص(362).

([165]) طنطاوي, محمد سيد , **أدب الحوار في الإسلام**, دار نهضة مصر، (1417هـ – 1996م)، ص(160).

([166]) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص(138،139)، (مرجع سابق).

([167]) { هود: 87 }.

وإن كانت سخرية الجاهل والمعاند بلا معرفة ولا فقه." فهم لا يدركون – أو لا يريدون أن يدركوا – أن الصلاة هي من مقتضيات العقيدة، ومن صور العبودية. وأن العقيدة لا تقوم بغير توحيد الله تعالى، ونبذ ما يعبدونه من دونه هم وآباؤهم، كما أنها لا تقوم إلا بتنفيذ شرائع الله في التجارة وفي تداول الأموال وفي كل شأن من شئون الحياة والتعامل. فهي لحمة واحدة لا يفترق فيها الاعتقاد عن الصلاة وعن شرائع الحياة " [168].

وهنا نلاحظ أن قوم شعيب – عليه السلام – لم يقولوا له أإلهك أو أدينك يأمرك، وإنما قالوا أصلاتك...لماذا ؟ لأن الصلاة هي الركن الدائم الذي لا يسقط أبداً، والله تعالى يقول عنها: ((إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ)) [169]، " وما دام الشيء له نهي فله أمر، فإذا كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فلا بد أنها تأمر بالإيمان وبالالتزام بالمعروف، ولا بد أنها تأمر بالخير والبر" [170]. وقولهم ((إنك لأنت الحليم الرشيد)) أي: " الحليم العاقل الكامل في أناته وترويه، فلا يتعجّل بأمر قبل الثقة من صحته، والرشيد الراسخ في هدايته وهديه، فلا يأمر إلا بما استبان له من الخير والرشد، ووصفه بهما وصفاً مؤكداً صريح في الاستهزاء به، والتعريض بما يعتقدون من اتصافه بضدهما، وهو الجهالة والسفه في الرأي والغواية في الفعل"[171]. هذه هي كل ردودهم على ما أثاره شعيب – عليه السلام – من موضوع المحاورة، وواضح من هذه الردود أنها مجرّد شتائم مصوغة بأسلوب السخرية لتكون أبلغ تأثيراً وأوجع في النفوس، ولجوء الخصم إلى الشتائم في أي مناظرة أو محاورة معناه الهزيمة، أو هي بداية الشعور بالهزيمة، لأن الحجج والبراهين هي سلاح المحاورة، وليست الشتائم أو الاستهزاء. وهذا ما فعله محاورو شعيب – عليه السلام – فكأنهم رأوا الحق واضحاً

([168]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص(1919)، (مرجع سابق).

(169) { العنكبوت: 45 }.

(170) الشعراوي، **قصص الأنبياء**، ج2، ص(770)، (مرجع سابق).

(171) رضا، **تفسير المنار**، ج12، ص(144)، (مرجع سابق).

(5) حفني، **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، ص(94، 95)، (مرجع سابق).

في كلامه، وليست لديهم حجة للرد عليه، فلجأوا إلى الشتائم للنيل منه، ولستر شعورهم بـــالعجز والهزيمة"[5].

موقف شعيب – عليه السلام – من ردود قومه على دعوته:

تلطّف شعيب – عليه السلام – مع قومه تلطُّف صاحب الدعوة الواثق من الحـــق الـــذي معه، وأعرض عن تلك السخرية التي لا يبالي بها وهو يشعر بقصورهم وجهلهم. يتلطّـــف فـــي إشعارهم أنه على بينة من ربه، وأنه على ثقة مما يقول لأنه أوتي من العلم ما لم يؤتوا، وأنه إذ يدعوهم إلى الأمانة في المعاملة سيتأثر بنتائجها لأنه مثلهم ذو مال وذو معاملات، فهو لا يبغـــي كسباً شخصياً من وراء دعوته لهم، فلن ينهاهم عن شيء ثم يفعله هو لتخلو له السوق ! إنما هي دعوة الإصلاح العامة لهم وله وللناس، وليس فيما يدعوهم إليه خسارة عليهم كما يتوّهمون[172]. فها هو ذا –عليه السلام– يواصل حواره معهم قائلاً: ((قَالَ يَـا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَـىَ بَيِّنَـةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَـا أُرِيدُ أَنْ أُخَـالِفَكُمْ إِلَـى مَـا أَنْهَـاكُمْ عَنْـهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْـلاَحَ مَـا اسْـتَطَعْتُ وَمَـا تَـوْفِيقِي إِلاَّ بِـاللّهِ عَلَيْـهِ تَوَكَّلْـتُ وَإِلَيْـهِ أُنِيـبُ {88}))[173]، والمعنى: " أخبروني إن كنت على بيان وحجة واضحة وبصيرة وهداية من عنـــد ربـــي فيمـــا أمرتكم به ونهيتكم عنه، ورزقني منه رزقاً كثيراً واسعاً بلا كدّ مني ولا تعب في تحصيله. فهل أترك أمركم ونهيكم؟ أو هل يسعني مع هذه النعمـــة أن أخون وحيه ؟ وهو جواب شديد المطابقة بقولهم: إنك لأنت الحليم الرشيد، أي كيف يليق بالحليم الرشيد أن يخالف أمر ربه وله عليه نعـــم كثيرة " [174]. وقوله: ((وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه)) أي: " لست آمركم بـــالأمر إلا

(172) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص(1920)، (مرجع سابق).

(173) { هود: 88 }.

(174) حسن خان، صدّيق، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، دار الفكر العربي، (1289هـــ)، ج4، ص(392).

وأنا أول فاعل له، وإذا نهيتكم عن الشيء فأنا أول من يتركه " [175]. " ذلك أن صاحب المنهج المعوج والرسالة غير الصادقة، يأمر الناس أن يفعلوا شيئاً وهو يفعل عكسه، يأمرهم مثلاً بأن يتبرعوا للفقراء ثم يأخذها هو ليصبح غنياً، فكأن شعيباً – عليه السلام – يقول لقومه: هل آمركم ألاّ تنقصوا المكيال والميزان، ثم بعد ذلك أحلّه لنفسي ؟ ! " [176] وما أريد إلا الإصلاح العام فيما آمر به وفيما أنهى عنه ما دمت أستطيعه،لأنه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وليس لي هوى ولا منفعة شخصية خاصة بي فيهما،ولولا ذلك ما فعلته." وفي هذا إثبات لعقله ورويته ورشده وحكمته،وهو إبطال لتهكمهم واستهزائهم بلقب الحليم الرشيد.والتوفيق في جميع الأحوال من الله سبحانه وتعالى الذي عليه التوكل في سائر الأمور،وإليه المرجع والمصير" [177].

ثم ينصح قومه، وينتقل بهم إلى تذكيرهم بمصارع السابقين، محذراً إياهم من أن يكون مصيرهم كمصير الظالمين من قبلهم، فيقول: ((وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ {89})) [178]، أي: " لا يحملنكم مخالفتي وبغضكم ما جئت به على الاستمرار على ضلالكم وجهلكم ومخالفتكم، فيحلّ الله بكم من العذاب والنكال، نظير ما أحلّه بنظرائكم و أشباهكم، من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح من المكذبين المخالفين. وقوله: ((وما قوم لوط منكم ببعيد)) أي: إنهم لم يكونوا بعيدين منكم لا زماناً ولا مكاناً ولا صفات " [179]. ثم فتح لهم بعد كل هذه النصائح والمحاورات باب الأمل في رحمة الله –تعالى– إن هم تابوا وأنابوا فقال: ((وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ {90})) [180]. والمعنى: " استغفروا ربكم من كل ما فرط منكم من ذنوب، ثم توبوا إليه توبة صادقة، يقبل –سبحانه وتعالى– منكم توبتكم، لأنه رحيم بعباده، كثير

---

(175) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص(247)، (مرجع سابق).
(176) الشعراوي، **قصص الأنبياء**، ج2، ص(776)، (مرجع سابق).
(177) رضا، **تفسير المنار**، ج12، ص(145)، بتصرف، (مرجع سابق).
(178) { هود: 89 }.
(179) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص(248)، (مرجع سابق).
(180) { هود: 90 }.

المحبة لمن أطاعه. وهكذا نجد شعيباً – عليه السلام – يلوّن لقومه النصيحة، وينوّع لهم العظة، ويطوف بهم في مجالات الترغيب والترهيب، ويحاورهم بشتى الأساليب " [181].

نتيجة المحاورة بين شعيب – عليه السلام – وقومه:-

إن قوم شعيب – عليه السلام – قد بلغوا النهاية في الفساد، فقد ردّوا عليه بقولهم –كما حكى القرآن عنهم –: ((يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ {91})) [182]. " أي ما نفهم كثيراً مما تقول كالتوحيد وحرمة البخس قالوا ذلك استهانة به، وجعلوا كلامه هذياناً وتخليطاً لا ينفعهم كثير منه. وقد قالوا ذلك بعد ما سمعوا منه دلائل الحق البيّن على أحسن وجه، وضاقت عليهم الحيل، فلم يجدوا إلى محاورته سبيلاً، سوى الصدود عن منهاج الحق، والسلوك إلى سبيل الشقاء، كما هو حال المفحَم يقابل البينات بالسّب والشّتم. فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وأنواع المعارف، من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه، وأكدّوا أنه ضعيف لا قوة له،ولولا قومه لرجموه بالحجارة حتى الموت، فلا عزّة ولا كرامة له عندهم "[183].

وهنا نجد شعيباً – عليه السلام – ينتقل في أسلوب محاورته لقومه من اللين إلى الشدة، ومن التلطّف إلى الإنكار، فيقول لهم: ((يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيّاً إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ {92} وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ

(181) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(162)، (مرجع سابق).
(182) { هود: 91 }.
(183) القاسمي، **محاسن التأويل**، ج9، ص(164،165)، بتصرف، (مرجع سابق).

{93})) [184]، فها هو ذا شعيب – عليه السلام – يذكّر قومه بمن هو أقوى منهم: (قال يا قوم أرهطي أعزّ عليكم من الله) أي إنكم تخافون عشيرتي وعائلتي وهم عدة أفراد، فتمتنعون عن إيذائي خوفاً منهم، ولكنكم لا تخافون الله القادر على أن يهلككم." وكان قومه – عليه السلام– يعتقدون أنهم ما داموا قد قالوا: (ولولا رهطك لرجمناك) فإنه سيحتمي برهطه، ولكن الذي قال: (على الله توكلت) لا يحتمي بأحد غير الله سبحانه وتعالى، بل إنه يلوم قومه، كيف يخشون قوة عدد محدود من الرجال ولا يخشون قوة الله ؟!.

وقوله تعالى: ((أرهطي أعزّ عليكم من الله)) معناه: أنتم جاملتم رهطي، وإكراماً لهم لم ترجموني، ولكنكم نسيتم الله – سبحانه وتعالى – الذي تأتي منه العزة جميعاً " [185]. وقوله تعالى: ((واتخذتموه وراءكم ظهرياً)) راجع إلى الله – عز وجل – والمعنى واتخذتم الله بسبب عدم اعتدادكم بنبيه الذي أرسله إليكم وراء ظهوركم لا تبالون به، فنبذتم أمره وتهاونتم به. "لكنّ الله – تعالى– يعلم ما تفعلونه علم إحاطة لا يخفى عليه شيء من أقوالكم ولا أفعالكم فيجازيكم يوم القيامة " [186]. ثم يستخدم شعيب – عليه السلام– مع قومه التهديد والوعيد حين يقول: ((وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ)) فهذا أمر تهديد ووعيد من واثق بربه – سبحانه –، أي اعملوا ما استطعتم على منتهى تمكنكم في قوتكم وعصبيتكم، فأني عامل على مكانتي التي أعطانيها أو وهبنيها ربي من دعوتكم إلى التوحيد وأمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر" [187]. ((فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه)) أي في الحياة الدنيا، وستعلمون من تكون له عاقبة الدار ومن يحل عليه الهلاك والبوار، ومن سيحل عليه عذاب مقيم في الآخرة، " ومن هو كاذب " أي " مني ومنكم فيما أخبر وبشر وحذر. وانتظروا سوء عاقبة تكذيبكم لي، فإني معكم منتظر ومرتقب " [188].

هلاك قوم شعيب – عليه السلام –:

---

(184) { هود: 92،93 }.
(185) الشعراوي، **قصص الأنبياء**، ج2، ص(787)، (مرجع سابق).
(186) حسن خان، **فتح البيان**، ج4، ص(395)، بتصرف، (مرجع سابق).
(187) رضا، **تفسير المنار**، ج12، ص(148)، (مرجع سابق).
(188) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص(250)، بتصرف، (مرجع سابق).

قال تعالى: ((وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ {94} كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ {95})) [189] أي: " لما جاء أمر الله بعذابهم الذي أُنذروه نجا شعيب – عليه السلام – ومن آمن معه، وأخذت الظالمين صيحة العذاب، فأصبحوا كلّهم ميتين باركين على ركبهم، مكبّين على وجوههم في ديارهم، كأنهم لم يقيموا فيها وقتاً من الأوقات. وهذا الهلاك واللعنة هي عقوبة ثمود من قبلهم جزاء وفاقاً لما صنعوا " [190].

وهكذا نرى أن شعيباً – عليه السلام – قد جادل قومه بالتي هي أحسن، وحاورهم وناقشهم بأسلوب جمع ألواناً من الهدايات، ووضع كل كلمة قالها لهم في الموضع الذي يناسبها، وخاطبهم بأحكم منطق وأبلغ بيان، ولكنهم قابلوا كل ذلك بالكلام القبيح، وبالتطاول والغرور، وبالتهديد الساخر، والوعيد الظاهر، فكانت عاقبتهم الخسران والبوار [191].

وقفة تأمل في هذا الحوار:

"من الملحوظات الواضحة في أسلوب شعيب – عليه السلام – في المحاورة إنصاف الخصم، فلم يتخلّ عن استمالة قومه، بمثل قوله "يا قوم "، ولم يتخلّ عن تطبيق آثار وجهة نظره في المحاورة على نفسه، مراعاة لمشاعر الخصم ورغبة في الوصول إلى كسبه، ووجهة شعيب – عليه السلام – في الحوار أنه ومن معه مؤمنون بالله، وعاملون بما أمروا به، وجزاء من يفعل ذلك الثواب العظيم في الدنيا والآخرة، وجزاء المخالف العقاب الأليم فيهما، ومن حقه – عليه السلام – أن يطبق هذا على نفسه، كأنه يقول لخصمه: جزاء المؤمن الصالح رضا الله وثوابه، وجزاء الكافر المفسد غضب الله وعقابه، ولكنه زيادة في إشعار خصمه بالإنصاف يقول لهم: لا أقول لكم مَنْ منا سيحل به عذاب الله ؟ فلنفترض أني وأنتم في انتظار هذا العذاب

---

(189) { هود: 94،95 }.

(190) رضا، **تفسير المنار**، ج12، ص(149)، (مرجع سابق).

(191) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(163)، (مرجع سابق).

المخزي، فانتظروا معي وسترون عما قريب بمن يحل العذاب، ومع أن مراد شعيب في غايــة الوضوح – وهو هداية قومه – إلا أنه لا يملك إنصافاً لهم فوق هذا الإنصاف" [192].

"ومما يلفت النظر في هذا الحوار أيضاً: أن شعيباً – عليه السلام – لم يرد الدخول معهم في صراع القوة، بإثارة شعور العصبية العائلية لدى رهطه، ليقفوا معه في لعبة العصبيات التي لا علاقة لها بدعوته، إنما حاول أن يثير فيهم فكرة الانطلاق بالصراع في خطوات سلمية، ليأخذ الفكر مجاله الهادىء بين المؤمنين وبين غير المؤمنين، لأن للصراع الفكري فائدته لدى جميــع الأطراف" [193].

(192) حفني، **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، ص(100،101)، (مرجع سابق).
(193) فضل الله، **الحوار في القرآن**، ص(307)، (مرجع سابق).

المبحث الثاني

الحوار بين موسى- عليه السلام – والعبد الصالح

تمهيد:

لم يذكر الحوار بين موسى والخضر عليهما السلام، إلا في موضع واحد من سورة الكهف،والقرآن العظيم لا يحدّد المكان الذي وقعت فيه القصة إلا بأنه ((مجمع البحرين)). ولا يحدد التاريخ الذي وقعت فيه من حياة موسى -عليه السلام -، هل كان ذلك وهو في مصر قبل خروجه ببني إسرائيل أم بعد خروجه بهم منها ؟ [194]

حديث نبوي شريف مفصّل لأحداث القصة:

ومن الأحاديث الشريفة التي فصّلت أحداث القصة،الحديث الذي رواه البخاري عن سعيد بن جبير قال " قلت لابن عباس: إن نوفاً البكاليّ [195] يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدوّ الله، حدثني أبيّ بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسُئل: أي الناس أعلم ؟فقال: أنا. فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه، فأوحى الله إليه: أن لي عبداً بمجمع البحرين[196] هو أعلم منك. قال موسى: يارب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مِكْتَل[197]، فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمّ. فأخذ حوتاً فجعله في مِكْتَل ثم انطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون،حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المِكْتَل

---

(194) قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص(395)، بتصرف، (مرجع سابق).

(195) نوف البكالي: سيذكر التعريف به في **فهرس الأعلام**.

(196) **مجمع البحرين:** اختلف في مكان مجمع البحرين، فقيل: بحر فارس والروم، وقيل: بحر الأردن والقلزم.
انظر البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط1، (1373هـ -1954م)، ج1، ص(166).
وانظر ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مج3، ص(93)، (مرجع سابق).

(197) حوتاً في مكتل: سمكه في سلّة.

فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً[198]، وأمسك الله عن الحوت جِرْيَة الماء فصار عليه مثل الطاق [199]، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما،حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً [200].

قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذي أمر الله به، فقال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلاّ الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجباً. قال: فكان للحوت سرباً، ولموسى ولفتاه عجباً. فقال موسى: ذلك ما كنا نبغي، فارتدّا على آثارهما قصصاً، قال:رجعا يقصّان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجّى ثوباً[201]، فسلّم عليه موسى، فقال الخضر: وأنّى بأرضك السلام ؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل ؟ قال: نعم، أتيتك لتعلّمني مما علّمت رشداً. قال: إنّك لن تستطيع معي صبراً. يا موسى إنّي على علم من علم الله علّمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله لا أعلمه. فقال له موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً : فقال له الخضر: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً.فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرّت سفينة، فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول [202]. فلما ركبا في السفينة لم يفجَأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم. فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت شيئاً إمراً [203]. قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ؟ قال لا تؤاخذني بما نسيت،ولا ترهقني من أمري عسراً. قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: وكانت الأولى من موسى نسياناً. قال: وجاء عصفور فوقع على حرف

(198) سرباً: مسلكاً في خفية. ابن الأثير، **النهاية**، ج2، ص(356)، (مرجع سابق).
(199) فصار عليه مثل الطاق: أصبح ما خلّفه مسير الحوت كالشارع المعبّد.
(200) نصباً:– تعباً ومشقة. ابن الأثير، **النهاية**، ج5، ص(62)، (مرجع سابق).
(201) مسجّى ثوباً: مغطياً نفسه بثوبه.
(202) بغير نول: بغير أجرة.
(203) إمراً: عظيماً وفظيعاً. ابن الأثير، **النهاية**، ج1، ص(67)، (مرجع سابق).

السفينه فنقر في البحر نقرة [204]، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر. ثم خرجا من السفينة،فبينا هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: أقتلت نفساً زاكية بغير نفس؟ لقد جئت شيئاً نكراً[205]. قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ؟ قال وهذه أشدّ من الأولى. قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني، قد بلغت من لدنّى عذراً. فانطلقا،حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها، فأبوا أن يضيّفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ- مائل- فقام الخضر فأقامه بيده. فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا، ولم يضيفونا، لو شئت لاتخذت عليه أجراً. قال: هذا فراق بيني وبينك -إلى قوله – ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وددنا أن موسى كان صبر حتى يقصّ الله علينا من خبرهما " [206].

اللقاء بين موسى – عليه السلام – والعبد الصالح:

قال تعالى (فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً {65} قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً {66} قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً {67} وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً {68} قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً {69} قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً {70}) [207].

---

(204) فنقر في البحر نقرة: أخذ العصفور قطرة أو قطرتين من ماء البحر بمنقاره.

([205]) شيئا نكراً: شيئاً منكرا. ابن الأثير، **النهاية**، ج5، ص(115)، (مرجع سابق).

* لمعرفة معاني هذه المفردات يمكن الرجوع إلى **فتح الباري**، ج8، ص(15-18)، (مرجع سابق).

([206]) البخاري، **صحيح البخاري، كتاب التفسير**، باب (وإذ قال موسى لفتاه)، رقم الحديث. (4725)، ج6، ص (110)، (مرجع سابق).

([207]) {الكهف: 65- 70 }.

في هذه الآيات عرفنا الحوار بين موسى والخضر – عليهما السلام– والذي من أجله قطع هذه الرحلة المثيرة، واحتمل فيها ما احتمل من جَهد وعناء. فيعرض موسى–عليه السلام – على صاحبه أن يقبله تابعاً له، وأن يتعلم من علمه، ويغترف من بحره، وذلك في تواضع كريم، وأدب نبوي عظيم، فيقول: (هل أتبعك على أن تعلّمن مما علّمت رشداً)، وفي هذا العرض أمور منها:

1– أنه جعل نفسه –عليه السلام – تبعاً للعبد الصالح لأنه قال: هل أتّبعك ؟

2– أنه استأذن في إثبات هذه التبعية، فقال: هل تأذن لي أن أجعل نفسي تابعاً لك ؟ وهذه مبالغة عظيمة في التواضع.

3– أنه قال: (على أن تعلّمن) وهذا إقرار له على نفسه بعدم المعرفة، وعلى أستاذه بالعلم.

4– أنه قال: (مما علّمت) وصيغة ما للتبعيض، فطلب منه تعليم بعض ما علّمه الله، وهذا أيضا يشعر بالتواضع، كأنه يقول له: لا أطلب منك أن تجعلني مساوياً في العلم لك، بل أطلب منك أن تعطيني جزءاً من أجزاء علمك، كما يطلب الفقير من الغني أن يدفع إليه جزءاً من أجزاء ماله.

5– إنّ قوله: (مما علّمت): اعتراف بأن الله علّمه ذلك العلم.

6– إن قوله: (رشداً) فيه طلب للإرشاد والهداية، والإرشاد هو الأمرالذي لو لم يحصل لحصلت الغواية [208].

7– إن قوله (تعلّمن مما علّمت رشداً) معناه: أنه طلب منه أن يعامله بمثل ما عامل الله به، وفيه إشعار بأنه يكون إنعامك عليّ عند هذا التعليم شبيهاً بإنعام الله عليك في هذا التعليم.

([208]) الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، **التفسير الكبير**، دار الفكر، بيروت، (1398 هـ–1978م)، ج5، ص(502).

8- أنه قال: (هل اتّبعك)؟ فلم يطلب على تلك المتابعة على التعليم شيئاً، كأنه قال: لا أطلب منك علـــى هذه المتابعة المال والجاه، ولا غرض لي إلاّ طلب العلـم [209]. ويســتمع العبـد الصالح إلى هذا العرض من موسى، فيرى أن العلم الذي عنده، والذي يطلب موسى تناول شيء منه، هو علم لا يستسيغه عقله، ولا يقبله منطقه، فيقول له في وداعة ولطف: (إنّك لن تستطيع معي صبراً * وكيف تصبر على ما لم تحط به خُبراً) [1] أي:" إنّك يا موســى لا تطيق أن تصبر على ما تراه من علمي، لأن الظواهر التي هي علمك لا تغطيــه، وكيــف تصبر على ما تراه خطأً ولم تخبر بوجه الحكمة، ولا طريق الصواب فيه، وهــو معنــى قوله: (وكيف تصبر على ما لم تحط به خُبراً) والأنبياء لا يقــرّون علــى منكــر، أي لا يسعــك السكــوت جرياً على عادتك. فأجــاب موسى-عليه الســلام- فــي أدب رفيــع: (ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً) أي: سأصبر بمشــيئة الله لأنني ألزمت نفسي طاعتك " [2]. واشــترط الخضــر على موسى-عليهما السلام- إن ســار معــه، ألاّ يسأله عن أمر يحدث، حتى يبدأه به قبل أن يسأله.

موسى والخضر-عليهما السلام-يركبان السفينة:

قال تعالى: ((فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً {71} قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً {72} قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً {73})) [3] وهنا تبدأ الرحلة، في رحاب هذا الجو الإيماني: ((فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا)) أي" فانطلق موسى وصاحبه يمشيان على ساحل البحر، يطلبان سفينة، فمرّت بهما سفينة، فكلّما أصحابها أن يركبــا فيهــا

([209]) **المرجع السابق**، ج5، ص(502).

(1) { الكهف: 67، 68 }.

(2) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، (د. ط) (د. ت)، مج11، ص(17).

([3]) {الكهف:71-73}.

معهم، فعرفوا الخضر، فحملوهما بغير أجر، تكرمة للخضر، فلما ركبا وسارت بهم السفينة في وسط البحر، قام الخضر بخرقها بفأس، مستخرجاً لوحاً من ألواحها " [4].

"لم يتمالك موسى–عليه السلام– نفسه وقال منكراً عليه: أخرقتها لتغرق أهلها؟ أي ليصير الخرق سبباً في إغراق أهلها، لقد جئت شيئاً منكراً. قال الخضر: ألم أقل لك سابقاً يا موسى: إنك لن تتمكن من الصبر معي على ما ترى مني من أفعال. وهنا اعتذر موسى–عليه السلام–للخضر قائلاً: لا تؤاخذني بنسياني، أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة، ولا تكلفني أمراً شاقاً عسيراً عليّ، أي لا تعسّر عليّ متابعتك، ويسّرها عليّ بالإغضاء وترك المناقشة" [210].

الخضر يقتل الغلام وموسى يعترض:

قال تعالى:((فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً {74} قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً {75} قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً {76})) [211].

وهذه فعلة أشد من سابقتها وقعاً، وأفدح خطباً، إذ كانت الأولى في متاع من متاع الدنيا،أما هذه فقد وقعت على نفس بريئة، لم تقترف إثماً، ولم تأت منكراً. ومن أجل هذا ينسى موسى وجوده كلّه، ولا يذكرالشرط الذي بينه وبين صاحبه، ولا يلتفت إلى زلته التي زلّها من قبل مع أستاذه، واعتذاره له.فيصرخ صرخة عالية مدوية (أقتلت نفساً زكية بغير نفس؟ لقد جئت شيئا نكراً) فالموقف هنا إزاء جريمة صارخة لا يمكن أن يقوم لها–حسب تقديره–عذر أبداً.

([4]) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج15، ص(295)، (مرجع سابق).
([210]) **المرجع السابق**، ج15، ص(295).
([211]) {الكهف: 74–76}.

"وهنا يأخذ الأستاذ تليمذه بشيء من الشدة والتأنيب، فيقول له: (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً) ؟ ففي كلمة (لك) نخسة قوية وتذكير بالعهد. ولا يجد موسى أمام هذا البعد الذي بين منطلقه ومنطلق صاحبه، إلا أن يحسم الموقف، فيقول لصاحبه واضعاً حداً لهذا الصراع الذي يكاد يدمّر وجوده الداخلي: (إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنّي عذراً). لقد وجد موسى-عليه السلام-لصاحبه العذر في ضيقه به، ولومه له، وبهذا قبل العبد الصالح أن يبدأ المسيرة مع تلميذه مرة أخرى " [212].

الخضر يبني الجدار وموسى يعترض:

قال تعالى: ((فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً {77} قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً {78})) [213].

"فانطلقا-عليهما السلام-يمشيان حتى إذا وصلا إلى قرية طلبا من أهلها إطعامهما، فرفضوا وأبَوا أن يقدّموا لهما شيئاً، ويظهر من ذلك أن الضيافة كانت عليهم واجبة، وأن الخضر وموسى إنما سألا ما وجب لهما من الضيافة، وهذا هو الأليق بحال الأنبياء-عليهم السلام-. وفي تلك القرية وجدا-عليهما السلام-جداراً قارب على السقوط، فهدمه الخضر ثم قعد يبنيه، فقال له موسى-عليه السلام-: (لو شئت لاتخذت عليه أجراً) لأنه فعل يستحقّ الأجر" [214]. "وهنا يذكّر الخضر موسى بالشرط الذي أخذه على نفسه: وهو إن سأله سؤالاً آخر فإن الفراق يحصل حينئذ (قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) فلما ذكر هذا السؤال، فارقه ذلك العالم قائلاً: هذا فراق بيني وبينك" [215].

([212]) الخطيب، عبد الكريم، **القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور**، مؤسسة الرسالة، ط1، (1404هـ-1984م)، ص(130).

([213]) {الكهف: 77-78}.

([214]) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مج11، ص(25- 27)، (مرجع سابق).

([215]) الرازي، **التفسير الكبير**، ج5، ص(506)، (مرجع سابق).

الخضر يفسّر لموسى أفعاله الثلاثـــة قبل مفارقتـــه:

قبل أن يفترقا أراد الخضر أن يفسّر لموسى–عليه السلام–حقيقة أفعـــاله الثلاثة: خـــرق السفينة، قتل الغلام، وبناء الجدار وذلك ليبيّن له صواب فعله، ويزيل عنه استغرابه وإنكاره.

الخضر–عليه السلام– يبين حكمة خرقه السفينة:

"إن السفينة خرقها ليعيبها لأن المساكين كانوا يمرّون على ملك ظالم يأخذ كـــل ســـفينة صالحة غصباً، فأراد أن يعيبها ليردّه عنها فينتفع بها أصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شـــيء ينتفعون به غيرها. فموسى –عليه السلام– لم يكن يعلم بوجود عصابة الملك أمامهم، ولهذا لـــم يعرف حكمة خرق السفينة فأنكر، أما الخضر فقد أعلمه الله بذلك ونفذ أمر الله سبحانه" [216].

حكمة قتل الغـــلام:

"لقد أخبر الله تعالى الخضر–عليه السلام– أن أبـــوي هـــذا الغـــــلام كانـــا مـــؤمنَين صالحَين، ومع ذلك ابتلاهمـــا الله بولد كـــافر وسيكـــون مجـــرماً ظالمـــاً عندما يكبر. فخـــاف الخضر–عليه السلام– أن يغشى الوالدين المؤمنين طغياناً عليهما وكفـــراً لنعمتهمـــا بعقوقـــــه وسوء صنيعه، ويلحِق بهما شراً وبلاءً أو يعديهمـــا بدائـــــــه، ويضـــلّهما بضـــلاله، فيرتـــدّا بسببه.فأراد الخضر– عليه السلام–أن يبدلهما ربّهما خيراً منه طهارة ونقاء من الذنوب، وأقرب منه في برّ والديه" [217].

حكمة بنائه الجـــدار:

([216]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مج3، ص(99)، (مرجع سابق).

([217]) النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، **تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقـــائق التأويـــل**، دار الفكر، ج3، ص(22).

"إن الجدار المعهود الذي أصلحه الخضر كان لولدَين صغيرَين يتيمَين في القرية، وكـــان تحته مال مدفون، وكان أبوهما رجلاً صالحاً فأراد الله إبقاء ذلك الكنز مدفوناً حفظاً لمالهمـــا، ولصلاح أبيهما، فأمره الله بإصلاح ذلك الحائط، إذ لو سقط لاكتشف وأخذ، وأراد الله تعالى أن يبلغ الغلامان كمالهما وتمام نموّهما، وأن يستخرجا الكنز من ذلك الموضع الذي عليه الجـــدار، رحمة لهما بصـــلاح أبيهما. إن هذه الأمور الثلاثة التي فعلها الخضر-عليه السلام- لـــم تكـــن باجتهاده ورأيه، ولكنها كانت بأمـــرالله-عزّ وجلّ- وإلهامه ووحيه، فالإقدام على ذلك كلّه مـــن الاعتداء على المال والنفس، وإصلاح الجـــدارلا يكون إلا بالوحي والنص القاطع" [218].

العظات والأحكـــام المســـــتفادة من حـــوار موســـى مع الخضر -عليهما السلام:-

1. استحباب الرحلة في طلب العلم، ولو بعدت المسافة.
2. استحباب الاستكثار من العلم، فإنه مهما حصل الإنسان منه فإنه يبقى يجهل الكثير من مسائله.
3. جواز التزود بوسائل الزاد وألوان الطعام عند الســـفر.
4. الأدب مع العلماء وترك الاعتراض عليهم
5. تأويل ما لا يفهم ظاهره من الأقوال والأفعال والحركات.
6. الوفاء بالعهود، والاعتذار عند مخالفة العهد.
7. جواز إجارة السفينة وركوبها.
8. الحث على التواضع في العلم وغيره.

([218]) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج16، ص(11، 12)، (مرجع سابق)

9. إذا سئل العالم: أي الناس أعلم ؟ فليقل: الله أعلم.

10. وجوب التسليم لكل ما جاء به الشرع، وإن لم تظهر بعض حكمته للعقول [219].

11. جواز إطلاق الفتى على التابع.

12. جواز استخدام الحرّ في عمل من الأعمال.

13. عذر الناسي لأنّه لا حيلة له في النسيان.

14. قبول الهبة من غير المسلم.

15. جواز إخبار المسلم عما فيه من تعب أو مرض أو فقر.

16. جواز طلب الضيافة، وطلب القوت والطعام.

17. حسن الأدب مع الله تعالى، وأن لا يضاف إليه ما يستهجن لفظه[220].

([219]) النووي، محيي الدين أبو زكريّا يحيى بن شرف، **صحيح مسلم بشرح النووي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، (1392هـ – 1972م)، ج15، ص(137، 147).

([220]) العسقلاني، **فتح الباري**، ج8، ص(422)، (مرجع سابق).

المبحث الثالث

الحوار في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف

تمهيد:

"إنها قصة الرجل الكافر صاحب الجنتين، الذي بطر بسبب النعمة، وأنكر لقاء الله تعالى، فعاش لدنياه وشهواته فحسب،وقصة الرجل المؤمن الصابر، الذي أنفق ماله ابتغاء وجه الله، وقدّم من العمل الصالح لآخرته ما يقرّبه من ربه عزوجل، وقد جمعت بينهما الأيام، بهذا المكان الذي جرى فيه ذلك الحديث، وتلك المحاورة التي قصّها علينا القرآن الكريم " [221].

تفصيل القصة كما ذكرها القرآن الكريم:

قال تعالى: ((وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً {32} كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَراً {33} وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً {34} وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً {35} وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً {36})) [222].

"هذه هي بداية القصة، قصة الكافر الثري، صاحب الجنتين والحديقتين الواسعتين، المحفوفتين بالنخيل، وسائر أنواع الأعناب، وفيهما الثمار الزاهية،والأنهارُ الجارية، والفواكه المتنوعة، وقد أغدق الله عليه العطاء، وأفاض عليه النعمة،فبدل أن يشكر ربّه على إ نعامه وإفضاله، جحد وكفر، واستكبر على عبادة خالقه، وأنكر الآخرة، وأخذ يجادل صديقه المؤمن بأسلوب فيه الزهو والافتخار، والتعالي والاستكبار، وهكذا شأن عبيد الدنيا، يخدعون بأموالهم، وتفتنهم الحياة ببهجتها وزينتها، ثم تكون النتيجة الهلاك والدمار ! " [223].

([221]) الصابوني، محمد علي، **قبس من نور القرآن الكريم**، دار السلام، ط1، (1418هـ– 1997م) ج7، ص(29).
([222]) الكهف: {32–36 }.
([223]) **المرجع السابق**، ج7، ص(29، 30).

تجسيد لموقف المستكبرين:

هنا تبدأ مرحلة التمرّد والطغيان التي تكون بدايتها الإحساس العميق بالأفضلية والتعالي على الآخرين، حيث التفت هذا الكافر وهو بهذه الحالة إلى صاحبه: " فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً "قال: فأنا أملك قوة إنسانية كبيرة وعندي مال وثروة وجاه، وأنا أملك – أيضاً– نفوذاً وموقعاً اجتماعياً وأنصاراً وحشماً، أما أنت، فماذا تستطيع أن تقول وهل لديك كلام معقول !!؟

"لقد تضخّم هذا الإحساس ونما تدريجياً، ووصل صاحب البستان إلى حالة بدأ يظنّ معها أن هذه الثروة المال والجاه والنفوذ إنّما هي أمور أبديّة، فدخل بغرور إلى بستانه، ونظر إلى أشجاره الخضراء، وسمع صوت الماء الذي يجري في النهر القريب من البستان والذي كان يسقي أشجاره، وقال: لايمكن أن تهلك هذه الجنة أو تفنى، لاعتقاده أبدية الدهر، وأنه لا كون سوى ماتقع عليه مشاعره، بل عمد إلى ماهو أكثر من هذا فقال " ومأأظن الساعة قائمة "، أي: كائنة آتية، وأقسم على أنه إن ردّ إلى ربه، على سبيل الفرض والتقدير، كما يزعم صاحبه، ليجدنّ في الآخرة خيراً من جنته في الدنيا، تطمعاً وتمنياً على الله سبحانه، وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده، وأنه مأولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستئهاله. وأن معه هذا الاستحقاق أينما توجه"[224].

نصيحة المؤمن لصاحبه الكافر:-

ويقبل عليه شريكه المؤمن ناصحاً ومذكّراً، وداعياً له إلى الإيمان، على ما أعطاه الله من الفضل والإحسان، ويحاوره ويجادله بالحكمة والموعظة الحسنة، فيبين له أن الله تعالى لما قدر على الابتداء وجب أن يقدر على الإعادة. ((قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً {37} لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي

([224]) القاسمي، **تفسير القاسمي**، ج11، ص(42)، بتصرف، (مرجع سابق).

أَحَداً {38}))[225]، "ففي هاتين الآيتين إشارة إلى خلق الإنسان في الابتداء، وفيهما أيضاً: أنّه لما خلقك هكذا فلم يخلقك عبثاً، وإنّما خلقك للعبودية وإذا خلقك لهذا المعنى، وجب أن يحصل للمطيع ثواب وللمذنب عقاب. ثمّ قال المؤمن "ولا أشرك بربّي أحداً" وهذه لها عدة معانٍ:

(أحدها): أنّي لا أرى الفقر والغنى إلاّ منه عز وجل فأحمده إذا أعطى وأصبر إذا ابتلى ولا أتكبّر عندما ينعم عليّ، ولا أرى كثرة المال والأعوان من نفسي، وذلك لأنّ الكافر لمّا اعتزّ بكثرة المال والجاه،فكأنّه قد أثبت لله شريكاً في إعطاء العزّ والغنى.

(ثانيهما): لعلّ ذلك الكافر مع كونه منكراً للبعث كان عابد صنم، فبيّن هذا المؤمن فساد قوله بإثبات الشركاء" [226]. وواصل المؤمن محاورته للكافر ثم نصحه قائلاً: ((وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً {39} فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً {40} أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً {41})) [227].

"وهنا يوضح المؤمن للكافر أن الأشياء مقدّرة بمشيئة الله إن شاء أفقر، وإن شاء أغنى، وإن شاء نصر، وإن شاء خذل" [228]. "ثم تمنّى الرجل المؤمن أن تذهب أشجار صاحبه ونباته، ويبقى له أرض ذهبت منافعها، حتى منفعة المشي فيها فهي وحل لاتنبت ولا تثبت فيه قدم، وأن يصبح ماؤها ذاهباً في الأرض لا يستطاع تناوله " [229].

([225]) الكهف: { 37 – 38 }.

([226]) الرازي، **التفسير الكبير**، ج21، ص (126)، (مرجع سابق).

([227]) {الكهف: 39 – 41 }.

([228]) أبو حيّان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1413هـ – 1993م)، ج6، (122، 123)، بتصرّف.

([229]) ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1413هـ–1993م)، ج3، ص(518).

المفاجأة المدهشة بدمار الحديقتين!

وينتهي الحوار هنا، وتطالعنا السورة الكريمة بالمفاجأة المدهشة، فيتحقق رجاء المؤمن، بزوال النعيم عن ذلك الكافر المتغطرس، وفجأة ينقلنا السياق من منظر البهجة والإزدهار، إلى مشهد البوار والدمار ((وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً {42} وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً {43})) [230]. ومعنى قوله تعالى: (وأحيط بثمره) "أهلك الله أمواله المعهودة من جنتيه ومافيهما، فأصبح يقلّب كفيه ظهراً لبطن ندماً على ماأنفق في عمارتها من المال. وأصبحت الجنة من الأعناب المحفوفة بنخل ساقطة على دعائمها المصنوعة للكروم، وتذكر حينئذ موعظة أخيه، وتمنى لولم يكن مشركاً فلم يصبه ماأصابه" [231].

التعقيب الرباني على هذا الحوار !

لما ذكر– تعالى –من قصة الرجلين ما ذكر، علمنا أن النصرة والعاقبة المحمودة كانت للمؤمن على الكافر، وعرفنا أن الأمر هكذا يكون في حق كل مؤمن وكافر، فقال سبحانه: ((هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً {44})) [232]. أي: "في مثل ذلك الوقت وفي مثل ذلك المقام، تكون الولاية لله يوالي أولياءه، فيعليهم على أعدائه، ويفوّض أمر الكفار إليهم. فقوله (هنالك) إشارة إلى الموضع، والوقت الذي يريد إظهار كرامة أوليائه وإذلال أعدائه. وقيل: المعنى في تلك الحالة الشديدة يتولّى الله، ويلتجئ إليه كل محتاج مضطّر. وقيل: المعنى: هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة، وينتقم لهم ويشفي صدورهم من أعدائهم"[233].

([230]) {الكهف: 42–43 }.

([231]) أبو السعود، محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، **تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب لكريم**، دار الفكر، (1401هـ–1981م)، ج3، ص(523،524)، بتصرف.

([232]) {الكهف: 44}.

([233]) الحنبلي، عمر بن علي بن عادل، **اللّباب في علوم الكتاب**، تحقيق:عادل أحمد وعلي معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1419 هـ –1998 م)، ج12، ص(498).

في هذه القصة نشاهد تجسيداً حياً لما نطلق عليه اسم غرور الثروة، وقد عرفنا أن هـذا الغرور ينتهي أخيراً إلى الشرك والكفر. فعندما يصل الأفراد الذين يعيشون حياتهم بـلا غايـة أوهدف إيماني، إلى منزلة معينة من القدرة المالية أو الوجاهة الاجتماعية فـإنهم فـي الغالـب يصابون بالغرور.

وفي البداية يسعون إلى التفاخر بإمكاناتهم على الآخرين ويعتبرونهـا وسـيلة تفـوّق، وهؤلاء يأخذون من التفاف أصحاب المصالح حولهم دليلاً على محبوبيتهم، وقد أشـار القـرآن الكريم إلى ذلك بقوله: "أنا أكثر منك مالاً وأعزّ نفراً". ويتجسّد حبّ هؤلاء للدنيا بالظن التدريجي بخلود ما في أيديهم، "ما أظن أن تبيد هذه أبداً". إن ظنهم بخلود ثرواتهم المادية يجعلهم ينكـرون المعاد للتضادّ الواضح بين ما هم فيه وبين مبدأ البعث والمعاد، فيكون لسان حالهم: " وما أظن الساعة قائمة " [234].

([234]) الشيرازي، ناصر مكارم، **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، مؤسسة البعثة، بيروت، ط1، (1413هـ-1992م)، ج9، ص(248).

المبحث الرابع

الحوار بين السادة والأتباع الذين أضلّوهم (يوم القيامة)

تمهيد:

التبعية قضية خطيرة، ومسألة حياتية هامة،من أهم وأخطر القضايا التي يعيشها النـــاس دائماً، ويتفاعلون معها،سلباً أو إيجاباً، لاتنفك عنهم، ولاتنفصل عن حياتهم، مهما كان مســتواهم الحضاري، في أي زمان أومكان. الأتباع والمتبوعون موضـــوع قرآنـــي، مـــن الموضـــوعات البارزة التي عرضها القرآن وناقشها وعالجها. موضوع عرضه القــرآن عرضـــاً حيّاً،وناقشـــه نقاشاًعلميا موضوعياً، وعالجه علاجاً ناجحاً محدّداً." إن التبعية التي يقوم بها الأتباع للمتبـــوعين مسألة حياتية واقعية،ومشكلة عملية اجتماعية، وقعت عند الأقوام والأمم في الماضي، وتحـــدّث القرآن عن نماذج وأمثلةوعيّنات لها، وهي مسألة وقضية حياتية واقعية معاصرة، نشاهدها عنـــد الدول والشعوب في هذا الزمان، تتبع فيها الشعوب والجماهير سادتها وكبراءهـــا وزعماءهـــا، وتجعلهم أئمة متبوعين لها.

وللتبعية آثار ونتائج خطيرة، على المستوى الفردي والجماعي،والسياسي والاقتصـــادي، والأخلاقي والمحلي والدولي، والحضاري والمستقبلي. لقد كان لوجود الأتباع والمتبوعين عنـــد الأمم السابقة، أثر مباشر على ما أصاب تلك الأمم من عقاب وعذاب ودمار وهـــلاك. ولوجـــود الأتباع والمتبوعين عند الشعوب والدول المعاصرة، أثر مباشر على واقع هذه الشعوب والدول، وعلى المستوى الذي تعيشه في حياتها، وله أثر مباشر على ما ينتظر هذه الأمم والشعوب مـــن أحداث وتطورات في مستقبلها! " [235].

والذي نريد أن نلقي الضوء عليه، هي تلك الآيات القرآنية التي تعالج الحوار الذي يدور بين الأتباع والمتبوعين يوم القيامة، حتى نكشف خفايا المتبوعين وسرّ انحرافهم، وندم الأتبـــاع يوم القيامة حيث لاينفع الندم !

([235]) الخالدي، صلاح عبد الفتّاح، **الأتباع والمتبوعون في القــرآن**، دار المنـــار، عمـــان، ط1، (1417هـــ-1996م)، ص(11،12،14)، بتصرف.

المطلب الأول

الحوار بين الأتباع والمتبوعين: (براءة ومفاصلة وحسرات)

قال تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ {165} إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ {166} وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ {167}))[236].

تتحدّث الآيات السابقة عن أناس عبدوا غير الله عزوجل، فاتخذوا أنداداً لله،يلتمسون منهم الخير، ويتأملون منهم دفع الشر، وهؤلاء هم المشركون وهذه حالهم مع آلهتهم في الدنيا ومصيرهم في الآخرة. "اتخذ هؤلاء المشركون أنداداً وأمثالاً لله وهم رؤساؤهم، أو أوثانهم وأصنامهم، يعظّمونهم ويحبونهم ويطيعونهم ويعبدونهم كتعظيم الله وحبّه وطاعته وعبادته،ويتقرّبون إليهم كتقربهم لله، ويلتجؤون إليهم عند الحاجة كالتجائهم إلى الله تعالى.ولكنهم في هذا كلّه مضطربون حيارى، حيث يلجؤون إلى بشر أو صنم أوحيوان،ولا يتحقق لهم مأرب! وأنهم مع عجز الأصنام يحبونهم كحب المؤمنين لله مع قدرته سبحانه وتعالى" [237]." يقول الإمام الزمخشري واصفاً هؤلاء الأتباع: "إن هؤلاء الأتباع يعظّمون المتبوعين ويخضعون لهم تعظيم المحبوب، ويسوّون بين الله تعالى وبين متبوعيهم في محبتهم لأنهم كانوا يقرّون بالله تعالى ويتقربون إليه سبحانه. ولو يعلم هؤلاء الأتباع الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلّها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون أندادهم،ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا

([236]) {البقرة 165-167 }.

([237]) الزحيلي،**التفسير المنير**، ج2، ص(67)، (مرجع سابق).

العذاب يوم القيامة، لكان منهم مالايدخل تحت الوصف من الندم والحسرة " [238]. وعندما تتضح الصورة يوم القيامة للأتباع والمتبوعين، وتتكشف الأمور عن حقائقها، ويقفون جميعاً عاجزين أمام عذاب الله عزوجل، يبدأ بينهم حوار فيه تلاوم وتبرّؤ وحسرة وندم. يقوم المتبوعون بالبراءة من أتباعهم ويفاصلونهم، ويقطعون علاقتهم بهم ((إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ)) أي: "حين صار الأتباع بحاجة إلى المتبوعين تبرّأ المتبوعون منهم وتخلّوا عنهم" [239].

"وتبرّؤ التابعين هو انفصالهم عن متبوعيهم والندم على عبادتهم إذ لم يُجدِ عنهم يوم القيامة شيئاً، ولم يدفع عنهم من عذاب الله ورأوا العذاب رأي العين. وفي هذا اليوم تنقطع بينهم الوصلات والعهود والجاه وكل أسباب النجاة والمودّات، فلا منجّي لهم من العذاب ولا مخلِّص يخلّصهم من عذاب الله تعالى. ويفاجأ الأتباع بتبرّؤ متبوعيهم منهم، وتقطّع الأسباب والروابط معهم، ويشعرون بعِظَم الخسارة فيقولون "لوأن لنا كرّة فنتبرّأ منهم كما تبرّؤوا منا" فهاهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا حتى يطيعوا الله تعالى ويتبرّؤوا منهم في الآخرة إذا حشروا جميعاً مثل ماتبرّأ المتبوعون أولاً منهم" [240]. "والله عز وجل يُري الكافرين أعمالهم الخبيثة حسرات عليهم، لِمَ عملوا بها ؟ وهلاّ عملوا بغيرها؟ فندموا على ما فرط منهم من أعمالهم الرديئةعندما رأوا العقاب عليها. ومصيرهم النار مخلّدون فيها، بسبب كفرهم، وندمهم وحسرتهم لاينجيهم من الخلود في النار" [241].

([238]) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص(326)، بتصرّف.

([239]) أبو حيّان، **البحر المحيط**، ج1، ص(473)، بتصرّف، (مرجع سابق).

([240]) **المرجع السابق**، ج1، ص(474).

([241]) الطبري، جامع البيان، الجزء الأول،ص (519، 520)، (مرجع سابق).

أهم العبر المستفادة من هذا الحوار:

1- يتبرأ المعبودون من عابديهم، ويتبرأ العابدون من معبوديهم.

2- يتمنى العابدون الرجوع إلى الدنيا حتى يتبرؤوا من الآلهة المزعومة [242].

3- لا عذر لأحد في الاتّباع المحض، والتقليد المحض [243].

4- اشتراك الأتباع مع المتبوعين في العذاب، حيث يوقفون للحساب معهم، ويشعرون بالحسرة والندامة والخزي والذل معهم، ويدخلون جهنم معهم، ويتقلّبون في نارها وعذابها معهم، ويخلدون فيها معهم، ويتحمّلون المسؤولية معهم [244].

([242]) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج2، ص(70)، (مرجع سابق).

([243]) رضا، **تفسير المنار**، ج2، ص(69)، (مرجع سابق).

([244]) الخالدي، **الأتباع والمتبوعون في القرآن**، ص(193)، (مرجع سابق).

المطلب الثاني

أهل النار في حوارهم وتخاصمهم

قال تعالى: ((فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ {37})) [245]." يبين الله عز وجل أنه لا أحد أسوأ فعلاً وأجهل قولاً وأبعد ذهاباًعن الحق والصواب، ممن اختلق على الله زوراً من القول، فقال إذا فعل فاحشة: إن الله أمرني بها ! أو كذّب بأدلته وأعلامه الدالة على وحدانيته ونبوة أنبيائه،فجحد حقيقتها ودافع صحتها، فأولئك يصل إليهم حظّهم من اللوح المحفوظ. فهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب أو كذّبوا بآيات ربهم، ينالهم حظوظهم التي كتب الله لهم من رزق وعمل وأجل وخير وشر في الدنيا، إلى أن تأتيهم رسلنا لقبض أرواحهم " [246].

ها نحن أولاء أمام مشهد هؤلاء الذين افتروا على الله كذباً أو كذّبوا بآياته،وقد جاءتهم رسل ربهم من الملائكة يتوفونهم، ويقبضون أرواحهم، فدار بين هؤلاء وهؤلاء هذا الحوار: "قالوا أين ماكنتم تدعون من دون الله ؟ "أين دعاويكم التي افتريتم على الله ؟ وأين آلهتكم التي توليتم في الدنيا، وفتنتم بها عما جاءكم من الله على لسان الرسل – عليهم السلام – ؟ أين هي الآن في اللحظة الحاسمة التي تُسلب منكم فيها الحياة، فلا تجدون لكم عاصماً من الموت يؤخركم ساعة عن الميقات الذي أجّله الله ؟ ويكون الجواب هو الجواب الوحيد، الذي لا مفر منه، ولا مغالطة فيه: "قالوا ضلّوا عنا" غابوا عنا وتاهوا ! فلا نحن نعرف لهم مقراً، ولاهم يسلكون إلينا طريقاً ! فما أضيع عباداً لا تهتدي إليهم آلهتهم، ولا تسعفهم في مثل هذه اللحظة الحاسمة ! وما أخيب آلهة لا تهتدي إلى عبادها في مثل هذا الأوان! وشهدوا على أنفسهم أنهم

([245]) {الأعراف: 37}.

([246]) الطبري، **جامع البيان**، ضبط وتوثيق: صدقي العطار، ج8، ص(221،222،226)، (مرجع سابق).

كانوا كافرين "وكذلك شهدناهم من قبل في سياق السورة عندما جاءهم بأس الله في الدنيا، حين اعترفوا أنهم كانوا ظالمين"[247].

"وشهادتهم على أنفسهم لا تجدي لأن زمن التكليف قد انتهى، وهم الآن في دار قهر لكل ما يريده الله،ففي دار التكليف كان الإنسان حرّاً أن يفعل أولا يفعل،ولكن في الدار الآخرة لا تنفع هذه الشهادة. وذلك ليتبين عدالة الجزاء الذي يصيبهم،ولن يتأبوا على الجزاء، ولذلك يقول الحق سبحانه: ((قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ {38})) [248].

وهنا يوضح لنا الحق سبحانه وتعالى أنه بأمر وكلمة "كنْ " سيدخلون الناركما دخلتها أمم قد خلت من قبل فليسوا بدعاً، وليدخلوا معهم إلى المصير الذي يذهبون إليه،وهم أمم خليط. إن الاقتداء بالأمم التي سبقت هو الذي قادهم إلى الكفر، فالأمم التي سبقت كانت أسوة في الضلال للأمة التي لحقت، فإذا مادخلوا لعنوهم. وبعد أن يلحق بعضهم بعضاً ويجتمعوا، يحدث بينهم هذا الحوار العجيب" [249]: "قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفا من النار" أي: "تقول أخراهم دخولاً النار وهم الأتباع، "لأولاهم" أي: لأولاهم دخولاً وهم القادة، ربنا هؤلاء الذين أضلّونا عن الهدى فضعّف عليهم العذاب، فيقول الله سبحانه وتعالى: "لكل ضعف"، يعني للقادة والأتباع ضعف من العذاب، ولكن لايعلم الأتباع ما للقادة ولا القادة ما للأتباع. وهذا دليل على تهويل العذاب وشدته" [250]. ماذا تقول أولاهم لأخراهم ؟

([247]) قطب، **في ظلال القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج3، ص(514،515)، (مرجع سابق).

([248]) { الأعراف: 38}.

([249]) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، أخبار اليوم، (1411هـ-1991م)، مج7، ص(4132)، بتصرف.

([250]) البغوي، أبو محمد حسين بن مسعود الفراء، **تفسير البغوي المسمّى معالم التنزيل**، تحقيق: (خالد العك،مروان سوار)، دارالمعرفة، بيروت، ط1، (1406هـ-1986م)، ج2، ص(159).

((وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ {39})) [251] أي مادمتم ستأخذون ضعف العذاب مثلنا.

"فقد تساوت الرؤوس "فذوقوا العذاب بماكنتم تكسبون"، ومعلوم أن التذوق في الطعوم، فهل هم يأكلون العذاب ؟ لا، إن الحق قد جعل لكل جارحة فيهم تذوق العذاب، والحق حين يريد شمول العذاب للجسم يجعل لكل عضو فيه حساسية الذوق كالتي في اللسان. ولذلك يقول سبحانه وتعالى: ((وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ {112})) [252]، هذه هي الإذاقة،كأنها صارت لباساً من الجوع يشمل الجسد كلّه، والإذاقة أشد الإدراكات تأثيراً، واللباس أشمل للجسد" [253].

المعطيات العملية لهذا الحوار:

"نستوحي من هذا الحوار، التأكيد على رفض التبعية في العقيدة وفي الممارسة وفي الموقف، وضرورة الاستقلال الذاتي في تحصيل القناعة، بما تعتقده النفس وماتمارسه وماتتخذه من مواقف، لأن أيّ تبرير للتبعية في أي زاوية من زوايا العلاقات العامة والخاصة،لايمنع من تحمّل المسؤولية ومواجهة نتائجها في الدنيا والآخرة.كذلك فإن العقيدة المنحرفة لاتصنع الوحدة الروحية: فالارتباط بين الأفراد والجماعات،على أساس العقيدة المنحرفة أو السلوك المنحرف،لا يصنع الوحدة الروحية أو الرابطة المصيرية بينهم التي تدفعهم إلى التضامن والمشاركة في نتائج المسؤولية دون تأفّف أو تذمّر، ولعل السبب في ذلك هو أن الانحراف لا يخضع للفكر، بل للمصلحة الذاتية وللعلاقات العاطفية غالباً، مما يدفع الإنسان إلى التخلّي عن صاحبه عند أية

([251]) {الأعراف: 39 }.

([252]) {النحل:112}.

([253]) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، مج7، ص(4134)، (مرجع سابق).

إشارة خطرة تهدده، أو عند أي اصطدام بالمصير السيء. فتكون النتيجة الملاعنة والتسابق إلى التهرب من المسؤولية وإلقائها على الطرف الآخر" [254].

([254]) فضل الله، **الحوار في القرآن**، ص (363،364)، (مرجع سابق).

المطلب الثالث

الحوار بين الضعفاء والمستكبرين

إنه مشهد مؤثّر، يصوّر الأتباع والمتبوعين يوم القيامة، يرينا الأتباع الضعفاء، وهم يذوبون حسرة وندماً، ويرينا المتبوعين المستكبرين وهم يتبرؤون من أتباعهم، قال تعالى مصوّراً هذا المشهد: ((وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ {21})) [255].

إن الآية الكريمة تصور لنا موقف من أخضعوا إرادتهم لإرادة الآخرين ونزواتهم، في وقت كانوا يستطيعون فيه تحرير أنفسهم وإرادتهم منهم، ولكنهم خضعوا واستكانوا لمظاهر القوة ومطامع المال التي يملكها أولئك، فساروا خلفهم دون وعي أو شعور.إنهم –الآن–يستيقظون على ماوصلوا إليه من واقع، فيحاولون التخلّص من بعض قسوته، ويتوجهون إلى من كانوا يتبعونهم في كل شيء، ليطالبوهم بتحمل تبعاتهم في الآخرة،كما تحملوا –هم– تبعاتهم في الدنيا،على غرارماكان عليه الحال في الدنيا،حيث كان الرئيس يؤمّن لأتباعه الحمايةمقابل مايقدّمونه له من أعمال خضوع وولاء.

"وينطلق سؤالهم بلهجة متوسلة يائسة، تحمل الكثير من خيبة الأمل وعدم الثقة بالنتيجة، كما توحي هذه العبارة "فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ؟" وتجسّد الصورة القرآنية موقف الخوف لأولئك المستكبرين، باعتبار الموقف يائساً للطرفين. فهم لايملكون لأنفسهم شيئاً. فكيف يملكون لهم الحماية ؟ فليس في الموقف متسع للحساب، وليس هناك مجال للهروب، بل هو الاستسلام اليائس للمصير "سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص" وقد نفهم من الجواب هروباً من طبيعة المسؤولية، فهم لايعتبرون أنفسهم مسؤولين عن ضلالهم، لأن الهداية

([255]) {إبراهيم: 21 }.

من الله تعالى، فإذا لم يوفر الله لهم الهداية، فكيف يمكنهم أن يحققواهم أنفسهم الهداية لغيرهم " لو هدانا الله لهديناكم "وهذاغاية اليأس في الموقف. وهكذا يريد الله أن يجسّد للمستضعفين في الدنيا، مواقف الندم واليأس في الآخرة، ليواجهوا واقعهم الحالي، مواجهة الإنسان الذي يشعر بأنه يواجه نتائج مسؤوليته وحده، ولذا فإن عليه أن يبدأ الحساب على هذا الأساس " [256].

المناظرة بين الشيطان وأتباعه:

قال تعالى: ((وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {22})) [257]، لما ذكر الله تعالى المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والأتباع من كفرة الإنس،أردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وأتباعه من الإنس،" فعندما استقر أهل الجنةفي الجنة وأهل النار في النار، أخذ أهل النار في لوم إبليس وتقريعه، فيقوم في النار فيما بينهم خطيباً ويقول: إن الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الأعمال،فوفّى لكم بما وعدكم، ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم الوعد،ولم يكن لي حجة عليكم ولا قدرة،ولكني دعوتكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني، فكان من الواجب عليكم ألاّ تغترّوا بقولي ولا تلتفتوا إلى حججي الواهية" [258]، كما قال تعالى: ((يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً {120})) [259]، وهنا يُظهر الشيطان أن الذنب ذنب أتباعه، لكونهم لم يستمعوا إلى دعاء ربّهم،الذي دعاهم دعوة الحق بالحجج والبينات، فخالفوا البراهين الداعية لهم إلى الصواب." ويستمر الشيطان في خطبته الإبليسية قائلاً لأتباعه:ما أنا بمغيثكم ولا منقذكم ولا مخلّصكم مما أنتم فيه من العذاب، وما أنتم بمغيثيّ ولا نافعي مما أنا فيه من العذاب والنكال، إني جحدت اليوم

([256]) المرجع السابق، ص(354).

([257]) { إبراهيم:22 }.

([258]) الرازي، **التفسير الكبير**، ج5، ص(232)، بتصرّف، (مرجع سابق).

([259]) {النساء: 120 }.

بإشراككم إياي من قبل،أي: في الدنيا مع الله تعالى في الطاعة، والمراد بذلك تبرؤه من الشـــرك وإنكاره له، ثم يبين الله لهم أن الكافرين في إعراضهم عن الحق، واتباعهم الباطل، لهم عـــذاب مؤلم، من أجل تنبيه الناس إلى تبرؤ الشيطان من وساوسه في الدنيا، وحضهم علـــى الاســـتعداد ليوم الحساب،وتذكر أهوال الموقف "[1].

دروس الحاضر:

1) العتاب والنزاع قائم بين أهل النار، فهذه محاورة بين القادة والأتباع تدل علـــى عجـــز السادة عن تحقيق أي شيء لأتباعهم الذين اتبعوهم في الدنيا، فهم لا يستطيعون تخليص أنفسهم من عذاب الله، ولا تحقيق أي نفع لذواتهم، فالأولى ألا يتمكنون من نفع غيرهم، والكل لا يجد مهرباً ولا ملجأ من عذاب الله وعقابه على الكفر والعصيان، سواء صبروا على العذاب أو جزعوا وضجروا .

2) إقرار السادة بالضلال، والبعد عن الهداية، فلو اهتدوا لهدوا غيرهم، وهذا كذب مـــنهم، كما قال تعالى حكاية عن المنافقين ((يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَـهُ كَمَـا يَحْلِفُونَ لَكُمْ))[2].

3) أعقب الله –عزوجل– المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والأتباع مـــن كفـــرة الإنـــس، بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وأتباعه من الإنس،وموضوع المناظرتين واحد،وهو تبرؤ المتبوع من التابع، ولكن الشيطان في هذه المحاورة كان أصدق من الإنسان لأنه أعلن أن الله وعد الناس وعد الحق وهو البعث والجـــزاء علـــى الأعمـــال،فوفى لهـــم بماوعدهم، وأما هو فوعد الناس بخلاف ذلك وأنه لابعث ولا جزاء، فأخلف الوعد[3].

---

(1) الزحيلي، **التفسير المنير**، ج13، ص(237، 238، 239)، بتصرف، (مرجع سابق).

(2) { المجادلة: 18 }.

(3) **المرجع السابق**، ج13، ص(239، 240).

4) حرية العقيدة أمام حرية الإرادة: إن هذه الآيات الكريمة توحي لنا، أن للإنسان حرية مطلقة فيما يرى ويعتقد، وفيما يأخذ وما يدع،فقد خلقه الله تعالى حرّ التفكير والإرادة، لتتحول الحرية في حياته إلى عقيدة وإيمان وعمل. فليس له أن يتنازل عن حريته للآخرين، بحجة ضغطهم عليه، لأن القضية قضية تتعلق بالاستعداد الداخلي للخضوع، والانهزام أمام إرادة الآخرين وتخطيطهم[1]. وهذا ما لا يملك الآخرن أن يخلقوه بالضغط، بل كل ما يملكونه هو الإغراء والتزيين والتغرير الذي يضعف الإرادة ويوهن القوة ويستعمر الفكر، وهي ضغوط يمكن للإنسان أن يواجهها ويثبت أمامها بما يحمله من فكر يواجه فيه فكر الآخرين، أو بما يملكه من إرادة يقاوم بها ضغط إرادتهم، أو بما رزقه الله من عقل وما أوحى به إليه من رسالات، فإذا أغفل فكره، وأهمل إرادته، واستسلم لشهواته ونقاط ضعفه، استحق أن يواجه نتائج ذلك أمام الله عز وجل.

المطلب الرابع

الحوار بين الأتباع والمتبوعين (استكبار وندامة)

(1) فضل الله، **الحوار في القرآن**، ص(358)، (مرجع سابق).

"إنّ الحوار بين الأتباع والمتبوعين يكون يوم القيامة، وتسجّل آيات من سورة سبأ مناظر الحوار بين الأتباع والمتبوعين وسط جهنم، ومواقف التلاوم والندامة هناك" [260].

قال تعالى: ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ {31} قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ {32} وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {33})) [261].

المعنى العام لهذه الآيات الكريمة:

"يخبرنا الله – تعالى – عن تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن الكريم وبما أخبر به من أمر المعاد. كما قال تعالى: ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ)) من التوراة والأنجيل والزبور. قال الله – عز وجل – مهدداً لهم ومتوعداً ومخبراً عن مواقفهم الذليلة بين يديه في حال تخاصمهم وتحاورهم: (يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا) وهم الأتباع (للذين استكبروا) وهم قادتهم وسادتهم (لولا أنتم لكنا مؤمنين) أي: لولا أنتم تصدونا لكنا اتبعنا الرسل وآمنا بما جاءوا به، فقال لهم السادة (أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟) أي: نحن ما فعلنا بكم أكثر من أنّا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان، وخالفتم الأدلة والحجج التي جاءت بها الرسل لشهوتكم، ثم قال المتبوعون: بل كنتم تمكرون بنا ليلاً ونهاراً وتغروننا وتخبروننا بأننا على

([260]) الخالدي، **الأتباع والمتبوعون**، ص(128)، بتصرف، (مرجع سابق).

([261]) { سبأ: 31 – 33 }.

هدى ونور، فإذا بنا نرى أن جميع ذلك باطل وكذب. وهكذا يُسِرّ الأتباع والمتبوعون الندامة على ما سلف منهم ويجازى كل منهم بحسب عمله" [262].

موقف الأتباع في هذا الحوار:

اتهم الأتباع أسيادهم المستكبرين وحمّلوهم مسؤولية ضلالهم، فقالوا لهم: (لولا أنتم لكنا مؤمنين) [263]، "فها هم يلقون على الذين استكبروا تبعة الوقفة المرهوبة المهينة، وما يتوقعون بعدها من البلاء! يقولون لهم هذه القولة اليوم، ولم يكونوا في الدنيا بقادرين على مواجهتهم هذه المواجهة. كان يمنعهم الذل والضعف والاستسلام، والكرامة التي منحها الله إياهم، أما اليوم وقد سقطت القيم الزائفة، وواجهوا العذاب الأليم، فهم يقولونها غير خائفين ولا مترددين!" [264].

ردّ السادة على أتباعهم:

لا يقبل المتبوعون المستكبرون الاتهام، فيرجعون القول للأتباع، ويحمّلوهم مسؤولية ما جرى لهم، ويقولون لهم: ((أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ)) [265]، أي:" إنكم دخلتم في الكفر ببصائركم، وأجرمتم بنظر منكم، ودعوتنا لم تكن ملزمة لكم، لأنا دعوناكم بغير حجّة ولا برهان" [266]. "فمنعكم إيثاركم الكفر بالله على الإيمان به – سبحانه – واتّباع الهدى" [267]. "فهو التخلّي عن التبعة، والإقرار بالهدى، لقد كانوا في الدنيا لا يقيمون وزناً للمستضعفين ولا يأخذون منهم رأياً، ولا يعتبرون لهم وجوداً، ولا يقبلون منهم مخالفة ولا مناقشة ! أما اليوم – وأمام العذاب – فهم يسألونهم في إنكار: (أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟) بل كنتم مجرمين من ذات أنفسكم لا تهتدون ! ولو كانوا

([262]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص(540)، (مرجع سابق).

([263]) { سبأ: 31 }.

([264]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص(2909)، (مرجع سابق).

([265]) { سبأ: 32 }.

([266]) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج4، ص(421)، (مرجع سابق).

([267]) الطبري، **جامع البيان**، ج22، ص(67)، (مرجع سابق).

في الدنيا لقبع المستضعفون لا ينبسون ببنت شفة. ولكنهم في الآخرة حيث تسقط الهالات الكاذبة والقيم الزائفة، وتتفتح العيون المغلقة وتظهر الحقائق المستورة. ومن ثم لا يسكت الأتباع بل يواجهون السادة بما كانوا يفعلون. ويمكرون ليلاً ونهاراً للصدّ عن الهدى، والتمكين للباطل، ولاستخدام النفوذ والسلطان في التضليل والإغواء " [268]. ويتواصل الحوار بين الأتباع والمتبوعين، ويردّ الأتباع على سادتهم مرة أخرى بعد أن لم يقتنعوا بما قاله السادة الكبراء.

فيقولون لهم ((بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [269]. أي:" أنتم لستم صادقين في قولكم لنا: إنكم لم تصدونا عن اتباع الهدى بعد إذ جاءنا، بل إن مكركم بنا في الليل والنهار وإغراءكم لنا بالبقاء على الكفر، وتهديدكم إيانا بالقتل أو التعذيب إذا ما خالفناكم، وأمركم لنا بأن نكفر بالله – تعالى – ونجعل له أنداداً، أي شركاء في العبادة والطاعة !. كل ذلك هو الذي حال بيننا وبين اتّباع الحق الذي جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم – " [270]. " يالها من حجة عند هؤلاء الأتباع ! ويا له من كشف لوسائل المستكبرين الطواغيت وأساليبهم ومكائدهم ومؤامراتهم ! ويا لها من جرأة ! وبهذا ينتهي الحوار بين الأتباع والمتبوعين، بعد أن كشف كل فريق ما عند الآخر، وبيّن لنا سبب انحرافه، وأطلعنا على حقيقة الصلة بينهما " [271]. وفي نهاية هذا الحوار يظهر الندم والحسرة على الفريقين، قال تعالى: ((وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [272] أي:" أضمر الفريقان الندامة، المتبوعون لأنهم ضلّوا وأضلّوا. والأتباع لأنهم اتّبعوا المستكبرين. وحاول كل فريق إخفاء

([268]) قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص(2909)، (مرجع سابق).

([269]) { سبأ: 33 }.

([270]) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(390)، (مرجع سابق).

([271]) الخالدي، **الأتباع والمتبوعون**، ص(138)، (مرجع سابق).

([272]) { سبأ: 33 }.

الندامة عن الآخر مخافة الشماتة، وسيقوا إلى العذاب والأغلال في أعناقهم لزيادة الحسرة في نفوسهم" [273]. هذه هي النهاية المخزية للاستضعاف المرذول أمام الاستكبار المقيت!.

([273]) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، تحقيق: هشام البخاري وخضر عكاري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، (1418هـ - 1997م)، ج4، ص(407،408)، بتصرف.

المبحث الخامس

الحوار بين الخير والشر في قتل النفس

"من صور المحاورات التي حدثت بين الأخيار والأشرار، ما قصه القرآن الكـريم علينا في قصة ابني آدم – عليه السلام – في إطار الحوار. فقد استخدم القرآن العظيم الحوار لتصوير شخصـيتين في وضعين متقابلين. وذلك بأن تقف الشخصيتان فـي حادثـة معينـة مـوقفين متباينين. ثم ينطلق الحوار ليعبّر عن المعـاني التي تجيش في نفس كل منهمـا "[274]. قـال تعـالى: ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ {27} لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ {28} إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ {29} فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ {30} فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ {31})) [275].

المعنى العام لهذه الآيات الكريمة:

"يأمر الله –عز وجل – نبيّه محمداً – صلى الله عليه وسلم – أن يتلو على بني إسرائيل خبر ابني آدم – عليه السلام –، وكان هابيل صاحب غنم فنظر إلى خير كثير فتقرب إلـى الله تعالى، ونظر قابيل إلى شر قمحه فتقرب به إلى الله تعالى، فقبل الله تعالى قربان هابيل ولم يقبل قربان قابيل. فحسد قابيل هابيل وهمّ بقتله، لكنّ هابيل قال لأخيه: لئن بدأتني بالقتل فما أنا بالذي أبدؤك بالقتل، لأنني أريد أن ترجع بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يتقبّل قربانك.

([274]) فضل الله، **الحوار في القرآن**، ص(331)، (مرجع سابق).

([275]) { المائدة: 27–31}.

وشجعته نفســه على قتــل أخيه وزينّت له القتل ففعل، فخســر الدنيا والآخــرة. فبعث الله – عز وجل – غراباً يثير التراب من الأرض ليعلّم قابيل كيف يســتر جيفة أخيــه، وهكــذا شعــر بالندم على فعــلته النكراء " [276].

مقارنة بين نموذجين:

قال تعالى: ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِين)) [277]." في هذه الآية الكريمــة يبدأ الحوار بين الأخوين، ونلاحظ أن الأخ الظالم قد توعّد أخاه بالقتل، دون أن يقــيم للأخـــوة التي بينهما وزناً، ودون أن يهتم بحرمة الدماء وحق غيره في الحياة، والذي حمله علــى ذلــك الحسد له على مزية قبول قربانه عند الله – عز وجل –. وقد أكّد تصميمه على قتله لأخيه بالقسم المطوى في الكلام"[278]. وهنا يردّ الأخ المظلوم بقوله: ((إنما يتقبل الله من المتقين)) أي: "لِــمَ تقتلني وأنا لم أجن شيئاً، ولا ذنب لي في قبول الله – تعالى – قرباني ؟ وأنت أتيت مــن قبــل نفســك لانسلاخها من لباس التقوى، لا من قبلي، فلم تقتلني ؟ وما لك لا تعــاقب نفســك، ولا تحملها على تقوى الله – تعالى – التي هي السبب في القبول !. وفي هذا جــواب حكيم جــامع لعدة معان، وفيه دليل على أن الله تعالى لا يقبل طــاعة إلا من مؤمن تقيّ " [279]. ثم انتقل الأخ التقي من وعظ أخيه بتطهير قلبه، إلى تذكيره بحقوق الأخوة وما تقتضيه من بر وتسامح فقال – كما حكى القرآن عنه: ((لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ {28}))[280] أي:" إن مددت يدك لتقتلني فما أنا بالمجازي لك علــى السيئة بسيئة مثلها، فذاك لا يتفق مع صفاتي وشمائلي، ولست ممن يتصف بهذه الصفة المنكــرة

([276]) النيسابوري، أبو الحســن علي بن أحمد، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عادل أحمد وآخرين، دار الكتب العلمــية، بيروت، ط1، (1415هــ – 1994م)، ج2، ص(176–178)، بتصرف يسير.

([277]) { المائدة: 27 }.

([278]) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(349)، (مرجع سابق).

([279]) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج3، ص(476)، (مرجع سابق).

([280]) { المائدة: 28 }.

التي تنافي تقوى الله والخوف من عذابه. لأنني أخاف الله – عز وجل – وأخشى أن يراني باسطاً يدي إلى الإجرام وسفك الدماء بغير حق، وهو ربّ العالمين الذي أمر بالمحافظة على النفوس البشرية وحرّم الاعتداء عليها. ثم قفّى على عظمته البالغة، ونصائحه النافعة بالتذكير بعذاب الآخرة " [281]، فقال: ((إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ {29})) [282].

أي: "إني أريد أن ترجع من صفقة قتلي بأن تحمل إثم تلك الفعلة وتنال عقوبتها، وكذلك تحمل الإثم الذي كان من أجله أنك أردت أن تقتلني، لأنك تمرّدت على المنهج، حين لم يتقبّل ربنا – عزوجل – قربانك. فقد أثمت مرتين: الأولى: عند رفضك وعدم قبولك حكم الله ومنهجه، وهو الذي من أجله لم يقبل الله –تعالى – قربانك، والثانية: هو قتلي وأنا لا دخل لي في هذه المسألة، لأن الظالم لا بدّ أن يأخذ جزاءه " [283]. والأخ المظلوم لا يحبّ أن يعصي الله– تعالى – ولا يحبّ أن يعصي أخوه الظالم ربّ العالمين أيضاً." وقد جاء قوله: ((إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك)) في معرض الحوار الذي دار بينهما، عندما غلب على ظنه أن أخاه يريد قتله، وكان ذلك قبل إقدام القاتل على إيقاع القتل به، وكأنه لما وعظه ونصحه حاوره قائلاً: إن كنت لا تنزجر عن هذه الكبيرة بسبب هذه النصيحة، فلا بد وأن تترصّد قتلي في وقت أكون غافلاً عنك وعاجزاً عن دفعك، فحينئذٍ لا يمكنني أن أدفعك عن قتلي إلا إذا قتلتك ابتداء بمجرّد الظن والحسبان، وهذا مني معصية كبيرة، وإذا دار الأمر بين أن يكون فاعل هذه المعصية أنا وبين أن يكون أنت، فأنا أحبّ أن تحصل هذه الكبيرة منك وليس مني.ومن المعلوم أن إرادة صدور الذنب من الغير في هذه الحالة وعلى هذا الشرط لا يكون حراماً.ويجوز أن يكون المراد: إني أريد أن تبوء بعقوبة قتلي. ولا شك أنه يجوز للمظلوم أن يريد من الله عقاب ظالمه"[284]. فقد سلك الأخ المظلوم في حواره وعظته للأخ الظالم مسالك عدة منها: أنه تبرّأ من

([281]) المراغي، **تفسير المراغي**، ج6، ص(99)، (مرجع سابق).

([282]) { المائدة: 29}.

([283]) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج5، ص(3076)، (مرجع سابق).

([284]) الرازي، **التفسير الكبير**، ج11، ص (207)، بتصرف، (مرجع سابق).

كـــونه سبباً في حـــرمانه من تقبّل القـــربان، لأن ســـبب التقبل عند الله – تعالى – هو التقوى، وأرشده إلى أنه لا يمنعه من بسط يده إليه إلا الخوف من ربّ العالمين، وذكّره بحقوق الأخـــوة وما يترتب عليها من تسامح، وبيّن له أن المعتدي يحمل إثم نفسه وإثم من اعتدى عليه، ثم إلـــى تذكيره بعذاب النار لأنها مثوى الظالمين [285].

نتيجة الحوار بين الأخوين:

"حينما وجد المظلوم نفسه بين أمرين لا ثالث لهما، فإمـــا أن يغضـــب الله – تعـــالى – فيرتكب أبشع جريمة، وإما أن يموت مظلوماً، آثر أقربهما إلى الله، فاستسلم للموت" [286].

بينما مضى أخوه الظالم فأنفذ عزمه، وقتل أخاه، قال تعالى: ((فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ {30})) [287] أي: "سوّلت وســهّلت نفســه لــه الأمــر، وشجـــعته وصورت له أن قتل أخيه طوع سهل" [288]. "وأصبح من الخاسرين في دنياه، لأنـــه قتل أخاه، والأخ سند وعون له، لما بينهما من رحم قوية ورابطة متينة. وأصبح من الخاســـرين في الآخرة، لأنه ارتكب جريمة من أكبر الجرائم وأشنعها، وقد وعـــد الله مرتكبهـــا بالغضـــب واللعنة والعذاب العظيم" [289]. "وفي قوله تعالى: ((فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَه)) بيـــان بأن الإنسان إذا تصوّر القتل العمد وكونه من أعظم الكبائر فهذا الاعتقاد يصير صارفاً له عـــن فعله، فيكون هذا الفعل كالشيء العاصي المتمرد عليه الذي لا يطيعه بوجه ألبتـــة. فـــإذا أوردت النفس أنواع وساوسها، صار هذا الفعل سهلاً عليه، فكأن النفس جعلت بوساوسها العجيبة هـــذا الفعل كالمطيع له، بعد أن كان كالعاصي المتمرد عليه" [290]. وهنا لابـــدّ أن تهـــبط رحمـــة الله

([285]) المراغي، **تفسير المراغي**، ج6، ص(100)، بتصرف، (مرجع سابق).

([286]) حفني، **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، ص(112)، (مرجع سابق).

([287]) { المائدة: 30 }.

([288]) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مج6، ص(138)، (مرجع سابق).

([289]) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص (352)، (مرجع سابق).

([290]) الرازي، **التفسير الكبير**، ج11، ص(208)، (مرجع سابق).

رعاية لحق تلك الجثة الطاهرة، وإبقاء على كرامة آدم – عليه السلام – وولديه، وهنا لا بـدّ أن يكون درساً يتلقّاه ذلك الظالم المغرور، ولا بد أن يكون تلميذاً للغراب ! يتضاءل فهمه أمام حنكة ذلك الحيوان الأسود الضعيف، وتفنى شخصيته بعد ذلك الدرس المـؤلم الـذي يتلقّـاه ذلـيلاً، صغير النفس، معذب الفؤاد " [291]. قال تعالى مصوّراً نهايـة الحـوار: ((فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُـرَابِ فَـأُوَارِيَ سَـوْءةَ أَخِـي فَأَصْـبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ {31})) [292]، أي:" أنه – تعالى – بعث غراباً إلى ذلك المكان الذي هـو فيـه، فحفر برجليه يفتش عن شيء كالطعام ونحوه، فأحدث حفرة في الأرض فلما رآها القـاتل زالت الحـيرة لديه، واهتدى إلى دفن أخيه المقتول في حفـرة مثلها " [293].

ثم ظهرت حسرته واضـحة جليـة بقولـه: ((يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ))[294] أي: "أن القاتل يتمنى الهلاك بعد قتل أخيه، وبعد أن رأى عملية الغراب في كيفية الدفن، فكأنه لم يعرف شيئاً، فها هـي ذي مسـألة يفعلها غراب ولا تفعلها أنت يا قابيل، لقد امتلكت قدرة لتقتل بها أخاك، لكنك عاجز أن تفعـل مثل هذا الغـراب، فقابيل – القاتـل – لا يقولها إلا بعد أن مرّ بمعنى نفسـي شديد قاس علـى وجدانه" [295]. ((فأصبح من النادمين)) "على قتل أخيه لما لحقه من عصيان وإسـخاط أبويـه وتبشيره أنه من أصحاب النار"[296].

قيم تربوية من هذا الحوار:

([291]) المولى، **قصص القرآن**، ص(13، 14)، (مرجع سابق).

([292]) { المائدة: 31 }.

([293]) المراغي، **تفسير المراغي**، ج6، ص(101)، (مرجع سابق).

([294]) { المائدة: 31 }.

([295]) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج5، ص(3084)، (مرجع سابق).

([296]) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج3، ص(481)، (مرجع سابق).

"إن هذه القصة القصيرة التي رواها القرآن العظيم لنا، في إطار من الحوار، تجسّد لنا الصورة الحية لشخصية الإنسان الشرير، مقابل شخصية الإنسان الصالح، لتربطنا بفكرة الخير وتبعدنا عن فكرة الشر، في موقف يوحي للناظر والمستمع بفظاعة موقف الشرير إزاء روعة موقف الصالح، حيث نرى الجريمة خالية من كل مبرّراتها التي تجعل منها عملاً عادلاً، لأنها نشأت من حالة نفسيّة معقدة بالحسد. فليس للضحية فيها أي ذنب، ولعل قيمة هذه القصة، تتمثّل فيما تخلّفه في نفس القارىء أو المستمع من تأثير نفسي ضد الجريمة والمجرم، وتعاطف روحي مع الضحية، مما يترك آثاره على السلوك الإنساني العام " [297].

([297]) فضل الله، **الحوار في القرآن**، ص(334)، (مرجع سابق).

الفصل الثاني

قواعد الحوار والإقناع

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاحترام المتبادل.

المبحث الثاني: البحث عن الحقيقة والسعي إليها.

المبحث الثالث: الرفق واللين في الحوار.

قواعد الحوار والإقناع

تمهيد:

"إن الغرض من الحوار هو البحث عن الحق ليتضح، فالحق مطلوب والتعاون على النظر فيه مفيد ومؤثر، هكذا عادة السلف الصالح –رضي الله عنهم– في تحاورهم، فقد تدعو الحاجة إلى البحث المشترك للتوصّل إلى الحق، مثلما حدث بين الصحابة –رضي الله عنهم– في حوارهم في مسألة الجدّة، وحدّ شرب الخمرة " [298]. وحتى نميز الحوار عن الجدل المذموم أو السفسطة أو المراء البعيد عن نشدان الحقيقة، وحتى لا يتحول الحوار إلى مشاحنات أنانية ومشاغبات ومغالطات، ونحو ذلك مما يفسد القلوب، ويهيج النفوس ويورث التعصب ولا يوصل إلى الحق [299]، وحتى لا يصبح الأمر انتصاراً وإعجاباً لكل ذي رأي برأيه[300]، فلا بدّ من وضع قواعد للحوار الهادف بلوغاً إلى الصواب.

([298]) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، إحياء **علوم الدين**، دار الوثائق، القاهرة، ط1، (1420هـ – 2000م)، مج1، ص(54).

* تنبيه: ورد في حوار الصحابة – رضي الله عنهم – في ميراث الجدة: قال قبيصة بن ذؤيب: جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها، فقال لها أبو بكر: ما لكِ في كتاب الله شيء. وما علمت لك في سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شيئاً. فارجعي حتى أسأل الناس. فسأل الناس،قال المغيرة ابن شعبة: حضرت رسول الله –صلى الله عليه وسلم – أعطاها السدس. فقال أبو بكر: هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري، فقال مثل ما قال المغيرة. فأنفذه لها أبو بكر الصديق.

انظر: الأصبحي، مالك بن أنس، **الموطأ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الفرائض، باب ميراث الجدة، رقم (4)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1406هـ–1985م)، ج2، ص(513).

وورد في حوار الصحابة – رضي الله عنهم – بشأن حد شرب الخمرة: عن أنس بن مالك: جلد أبو بكر – رضي الله عنه – في شرب الخمرة أربعين، فلما ولي عمر دعا الناس فقال لهم: إن الناس قد دنوا من الريف، فما ترون في حدّ الخمر؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف: نرى أن تجعله كأخف الحدود، فجلد فيه ثمانين.

أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، كتاب الحدود، باب الحد في شرب الخمر، رقم (4479)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)، ج4، ص(163).

([299]) الألمعي، زاهر عواض، **مناهج الجدل في القرآن الكريم**، مطبعة الفرزدق، (د. ط)، (د. ت)، ص(431)، بتصرف.

([300]) جريشة، علي، **أدب الحوار والمناظرة**، دار الوفاء، المنصورة، ط1، (1410هـ–1989م)، ص(67)، بتصرف.

المبحث الأول

الاحترام المتبادل

بيّن القرآن الكريم لأتباعه المسلمين أن هناك طريقتين للحوار الفكري، أو للصراع في جميع مجالاته، فهناك طريقة العنف التي تعتمد مواجهة الخصم بأشدّ الكلمات والأساليب وأقساها، بحيث يتركز الاختيار على كل ما يساهم في إيلامه وإهانته وإهدار كرامته، فلا مجال لمراعاة مشاعره وعواطفه، ودراسة واقع حياته، والإحاطة بظروفه من أجل المحافظة على الانسجام معها، بل ربما يكون الأمر تحدّياً للمشاعر في كل المجالات.

وهناك طريقة اللاعنف، أو الطريقة السلمية التي تعتمد اللين والمحبة أساساً للصراع، انطلاقاً من القاعدة الإسلامية التي تعتبر موضوع الصراع، بمختلف مستوياته ومجالاته، وسيلة من وسائل الحركة المنفتحة للوصول إلى الهدف، وهو الإيمان بالحق والوقوف معه، والعمل على حشد أكبرعدد ممكن من الناس للارتباط بالهدف والانسجام معه، ولا بد لهذه الطريقة من استخدام الكلمات والأساليب الطيبة المرنة التي تفتح القلوب على الحق، وتقرب الناس إلى المفاهيم، بعيداً عن كل المعاني الشريرة القاسية [301].

"والداعية الناجح هو الذي يحترم الأطراف الأخرى التي يحاورها، مسلمة كانت أو غير مسلمة، ويمنحها حقها المتوجب لها من التقدير والتوقير، ونحن مأمورون أن ننزل الناس منازلهم" [302]، فالمحاور يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه، فينصت لحديثهم ويتواضع لهم، ويشعرهم بتقديره لهم [303].

([301]) فضل الله، **الحوار في القرآن**، ص(82، 83)، بتصرف، (مرجع سابق).

([302]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(65)، (مرجع سابق).

([303]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(123)، بتصرف، (مرجع سابق).

ومن المظاهر التي ينبغي مراعاتها في الاحترام المتبادل في أثناء الحوار:

1. الإنصاف:

وهذا يعني أن يذكر كل محاور حسنات زميله، وأن يقدّر جوانب الخير التي يتحلّى بها، وأن يعذره إن أخطأ، "وليس معنى الإعذار تصويب ما لدى الطرف الآخر من سلوك وأفكار، فالحق لا يتعدد، وإنما المطلوب تفهّم الوضعية العامة للمحاور، ومحاولة حلّ مشكلاته إن أمكن"[304].

2. عدم الاستعجال بالرد على الخصم:

ينبغي على المناظر أن ينتظر خصمه حتى يفرغ من حجته، فيجيبه بما قلّ ودّل، فيصمت بحلم مهما أغضبه خصمه. فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال صلى الله عليه وسلم: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب "[305]. وينبغي كذلك أن يتكلم بعلم. قال تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ {8}))[306]، " فإن لم يعرف بما يجيب لقصور علمه، فيجب أن يقول لا أعلم أو الله أعلم، اقتداء بالملائكة المقربين والصحابة الأكرمين والعلماء الورعين "[307].

3. المحاورة بأفضل الأسماء والألقاب وأجمل ألوان الخطاب:

" إن مناداة الطرف الآخر باسمه وبأحب الأسماء إليه دليل على الاحترام والتقدير لشخصه، فليس ثمة شيء أجمل وأحب إليه من اسمه. فحفظ الأسماء لا بدّ منه لمن يحبّ التآلف

([304]) بكّار، عبد الكريم، **مقدّمات للنهوض بالعمل الدعوي**، دار القلم، دمشق، ط1، (1420هـ–1999م)، ص(133).

([305]) البخاري، **صحيح البخاري، كتاب الأدب**، باب الحد من الغضب، رقم الحديث (6114)، ج8، ص(34)، (مرجع سابق).

([306]) الحج: { 8 }.

([307]) حلمي، أمين، **الحوار الفكري في القرآن الكريم (المناظرة والجدال والمحاجة)**، دار النهضة الإسلامية، ط1، (1997 م)، ص(43).

مع الناس، ودعوتهم إلى الله ومشاركتهم ومخالطتهم، وكسب ودّهم " [308]. فها هو ذا خليل الله إبراهيم – عليه السلام – يتذلّل لأبيه ويخاطبه قائلاً: (يا أبت). وفي محاورة الأب لابنه، ينبغي للمحاور أن يستفيد من نصح لقمان (عليه السلام) لابنه، إذ كان يخاطبه بشفقة الأب ورحمته وحنانه. ((وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ {13})) [309].

وفي محاورته لصديقه ورفيقه ينبغي أن يستفيد من دعوة يوسف – عليه السلام – لصاحبيه في السجن، في قوله لهما: ((يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ{39})) [310]. وفي دعوته الأهل والعشيرة ينبغي أن يستفيد من سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهله وعشيرته الأقربين [311].

ومن ألوان النداء التي ينبغي على المحاور أن يلتزم بها، النداء لجماعة المؤمنين بحيث يخاطبهم بما خاطبهم الله تعالى به حين قال: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ)) [312]. ففي مخاطبة الله تعالى للمؤمنين بـ " يا أيها الذين آمنوا " تأكيد لهم بأنهم أهل الإيمان والتقوى، وفي الوقت نفسه استثارة لهم بأن يستجيبوا لدعوة الحق، لما في هذه الاستجابة من مقومات البقاء والحياة. وفي النداء لأهل الكتاب يقول الله تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ {64}))[313]."
فالله تعالى يأمر نبيه –عليه الصلاة والسلام– بأن يخاطب اليهود والنصارى بـ " يا أهل الكتاب

([308]) الحاشدي، **فن الحوار**، ص(125)، (مرجع سابق).

([309]) لقمان: { 13 }.

([310]) يوسف: { 39 }.

([311]) الميداني، **فقه الدعوة إلى الله**، ج1، ص(268،269)، بتصرف،(مرجع سابق).

([312]) الأنفال: { 24 }.

([313]) آل عمران: { 64 }.

" لتذكيرهم بأنهم من أهل الكتاب الأول, وأن ما جاء في كتبهم متفق تماماً مع ما جاء في القرآن الكريم، من أصول التوحيد وأركان الإيمان. ولا يخفى ما في ذلك من استثارة لهم وتشويق في استجابتهم لدعوة الحق، ودخولهم في دين الإسلام " [314].

4. الهدوء في أثناء الحوار:

لا شك أن الهدوء والغضّ من الصوت فيه أدب مع الله ومع الناس، وثقة بالنفس، واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته. ومن هنا كان توجيه (لقمان) لابنه بغض الصوت وتقصيره، كما قال تعالى على لسانه: ((وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)) [315]. وجاء في تفسير هذه الآية: ((وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ))، أي: " لا تبالغ في الكلام، ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه "، ولهذا قال: " إن أنكر الأصوات لصوت الحمير "، قال مجاهد وغيره: " إن أقبح الأصوات لصوت الحمير، أي غاية من رفع صوته أن يشبّه بالحمير في علوّه ورفعه، ومع هذا فهو بغيض إلى الله، وهذا التشبيه بالحمير يقتضي تحريمه، وذمّه غاية الذمّ " [316].

فالمحاور يقبل بوجهه إلى من يحدثه، ويوضح الألفاظ بصوت مناسب، لا هو بالخافت الذي لا يكاد يسمع ولا بالمرتفع المؤذي، مع تجنب العبارات والألفاظ المؤذية أو غير اللائقة، فضلاً عن الغيبة والنميمة. وعلى السامع أن يقبل بوجهه لمحاوره، وأن يوليه انتباهه وإنصاته، وألا يقاطعه حتى يتم حديثه، وأن يحرص كل منهما ألا يتطور الحوار إلى جدال ومراء، بل يكون حرص كل منهما على الوصول للحق والخير، مع افتراض كل منهما الخطأ في رأيه كما يفترض فيه الصواب [317]. " وليس معنى الهدوء وخفض الصوت أن يخفضه

([314]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(132)، (مرجع سابق).

([315]) لقمان: { 19 }.

([316]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص(430)، (مرجع سابق).

([317]) مشهور، مصطفى، **من فقه الدعوة**، دار التوزيع، (1415هـ-1995م)، ج1، ص(535،536)، (بتصرف).

لدرجة يعجز معها المستمع عن متابعة الحديث، وإنما لا بدّ من التوسط والاعتدال. وقد وجد بالخبرة والتجربة أن الصوت المعتدل الهادئ المتأني من غير صراخ أو صياح ومن غير إسرار وإخفات، هو الأدخل إلى النفوس والأنفذ إلى الأعماق والأحفظ لجلال الكلمة ووقار المتكلم. ومن الأفضل ألا يجعل المحاور درجات صوته على وتيرة واحدة، لأن ذلك قد يجلب النوم للمستمعين، ولكن يلزم خفض الصوت ورفعه انفعالاً مع الحديث، فإن لقوة الصوت وخفضه دوراً في تجديد الانتباه " [318].

5. بسط الوجه:

إن من أخلاق المحاور النبيل ذي المروءة والأدب: التودّد والتلطّف وبسط الوجه لمن يحاوره، وذلك في غاية نبل النفس، وصفاء المعدن. قال تعالى ((وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاس))[319]، فقد روى أبو ذر الغفاري– رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْق " [320]. فالمحاور الناجح هو الذي يقبل على محاوره بوجه باشّ، ومن كانت هذه صفته كان على التفكير، واختيار الكلمة المناسبة لمقتضى الحال، أكثر قدرة وينظر له محاوره بشيء من الثقة والاطمئنان [321].

6. التركيز على الرأي لا على صاحبه:

"في أغلب المناقشات يحسن تناول الفكرة بالبحث والتحليل، أو بالنقد والنقض بعيداً عن صاحبها أو قائلها، وذلك حتى لا يتحول الحوار إلى مبارزة كلامية، طابعها الطعن والتجريح، والعدول من مناقشة القضايا والأفكار إلى مناقشة التصرفات والأشخاص " [322]." وقد ينشأ

([318]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(94)، (مرجع سابق).

([319]) لقمان: { 18 }.

([320]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب البر والصلة**، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، رقم الحديث (2626)، مج4، ص(2026)، (مرجع سابق).

([321]) الحاشدي، **فن الحوار**، ص(187)، (مرجع سابق).

([322]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(70)، (مرجع سابق).

صراع في أثناء الحوار، ولكن على المتحاورين إدراك أن هذا الصراع والتوتر هو بين الأفكار وليس بين الأشخاص، وبمجرد أن يرى الناس أن المشاركة بين أفكارهم عملية طبيعية، سيفصلون أنفسهم عن مبادئهم، وسيتخذون موقفاً أكثر نشاطاً وأقل سلبية نحو أفكارهم " [323].

وفي حالات قليلة يستحب الخروج عن هذه القاعدة، وذلك عندما تقتضي مصلحة الحق – لا النوازع الشخصية – تعرية الطرف الآخر وبيان ما فيه، ومع ذلك فيجب أن يتم هذا وفق الأدب الإسلامي وعلى ضوء النصوص الواضحة، كما في قوله تعالى ((وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ)) [324]. ومما يجعل الفكرة أكثر قبولاً أن يكون صاحبها مقتنعاً بها، حريصاً على نشرها، ممثلاً لها في كل حركاته وسكناته، متقيداً بمثلها العليا في كل أوقاته وتصرفاته. إن صاحب الفكرة لا يستطيع أن يواجه بها المؤيدين والمعارضين إلا إذا كانت واضحة المعالم في ذهنه، عميقة الجذور في فؤاده، ومع هذا الفهم والوعي فلا ينبغي أن تستخفه المواقف، بل عليه أن يتحدّث بروح الناصح الأمين، وأن يبتعد عن معاني الاستعلاء والترفع المشين. وصدق الله القائل: ((وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {215})) [325]-، كذلك ينبغي أن يعبرعن مراده بإخلاص وتجرّد،وأن يحادث المستمعين كأنه واحد منهم [326]. إن الأصل في النقاش والحوار أن يكون للرأي أو للقضية، وعرض ذلك على ميزان الشرع، ثم العقل، بغض النظرعن القائل، سواء أكان الحوار مشافهة أو كتابة،أم غيرهما، وسواء أكان القائل حاضراً أم غائباً [327].

([323]) هلال، محمد عبد الغني حسن، **مهارات إدارة الحوار والمناقشات**، مركز تطوير الأداء، مصر، ط1، (1999-2000)، ص(18، 19).

([324]) الحجرات: { 11 }.

([325]) الشعراء: { 215 }.

([326]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص (71)، (مرجع سابق).

([327]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(218)، (مرجع سابق).

ومأخذ هذا الأصل من القواعد الشرعية الآتية:

1. إن الهدف الأسمى من المحاورات والمناظرات والردود ونحوها هو التوصل إلى الحق، وكشف الزيغ والانحراف. وذلك يتحقق في الغالب من دون ذكر الأسماء لأن الستر مطلب شرعي في حق المسلم الذي يظهر منه الصلاح، ولم يجاهر بالمعصية. ففي الحديث الشريف الذي يرويه سالم عن أبيه، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته. ومن فرّج عن مسلم كربة، فرّج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة.ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة " [328]. وإن الأصل تحريم أعراض المسلمين وعدم التعرض لها بنقد أو جرح، سواء أكان غيبة أم سخرية [329]. قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {11} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ {12})) [330]. وعلّمنا رسولنا – صلى الله عليه وسلم – كذلك كيف نتعامل مع المخالفات والمحاذير، فقد كان – عليه الصلاة والسلام – إذا أراد التنبيه على بعض المخالفات التي تقع في المجتمع المدني يقول: ما بال أقوام – أو رجال – يفعلون كذا وكذا [331].

([328]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب البر والصلة**، باب تحريم الظلم، رقم الحديث(2580)، مج4، ص(1996)، (مرجع سابق).

([329]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(219)، (مرجع سابق).

([330]) الحجرات: { 11، 12 }.

([331]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب الفضائل**، باب: علمه – صلى الله عليه وسلم – بالله تعالى وشدة خشيته، رقم الحديث(2356)، مج4، ص(1829)، (مرجع سابق).

2. يجب أن يحترز المحاور عن الاختصار المخل في الكلام، وعن إطالة الكلام بلا فائـــدة ترجى من ذلك. وأن يتجنب الألفاظ الغريبة، والألفاظ المجملة التي تحتمل عدة معـــان، من غير ترجيح أحدها الذي هو المراد،وألا يتعرض أحدهما لكلام خصمه قبل أن يفهـــم مراده تماماً، وأن يقبل كل منهما الحق الذي هداه إليه محاوره، أو يعترف بأن قوة دليله تقدّم ترجيحاً لوجهة نظره [332].

([332]) الميداني، عبد الرحمـــن حسن حبنكة، **ضوابط المعـــرفة وأصـــول الاســـتدلال والمناظرة**، دار القلم، دمشـــق، ط4 (1414هـــ- 1993م)، ص(373).

المبحث الثاني

البحث عن الحقيقة والسعي إليها

تمهـــيد:

قضت مشيئة الله تعالى خلق الناس بعقول ومدارك متباينة، إلى جانب اختلاف الألسنة والألوان والتصوّرات والأفكار، وكل تلك الأمور تفضي إلى تعدّد الآراء والأحكام، وتختلف باختلاف قائليها، وإذا كان اختلاف ألسنتنا ومظاهر خلقنا آية من آيات الله تعالى، فإن اختلاف مداركنا وعقولنا وما تثمره تلك المدارك والعقول آية من آيات الله تعالى كذلك ؛ ((وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ {118} إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)) [333].

وهناك خلاف مذموم أملاه الهوى، والهوى لايأتي بخير، فهو مطية الشيطان إلى الكفر، قال تعالى: ((فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا)) [334] وقال أيضاً ((وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ)) [335]. وهناك خلاف أملاه الحق قد يقع دون أن يكون للنفس فيه حظ أو للهوى عليه سلطان، فهذا خلاف دفع إليه العلم، واقتضاه العقل، وفرضه الإيمان، فمخالفة أهل الإيمان لأهل الكفر والنفاق خلاف واجب لايمكن لمؤمن أن يتخلّى عنه، أو يدعو لإزالته لأنه خلاف سداه الإيمان ولحمته الحق [336].

وبالرّغم من حقيقة وجود هذا التباين بين الناس، في عقولهم ومدركاتهم وقابليتهم للاختلاف، إلا أن الله وضع على الحق معالم بارزة، وجعل على الصراط المستقيم منارات هادية. فالغاية من الحوارهي إقامة الحجة، ودفع الشبهات وكل فاسد من الأقوال والآراء، وهو

([333]) هود: { 118، 119 }.
([334]) النساء: { 135 }.
([335]) ص: { 26 }.
([336]) العلواني، طه جابر فياض، **أدب الاختلاف في الإسلام**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط3 (1407هـ-1987م)، ص(2، 28)، بتصرف.

تعاون من المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، ليكشف كل طـــرف مـــاخفي علـــى صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق [337].

([337]) ابن حميد، **معالم في منهج الدعوة**، ص(213، 216)، بتصرف. (مرجع سابق).

المطلب الأول

التزام الموضوعية والبعد عن التعصّب

إن التزام الموضوعية والعدل والإنصاف يقود الحوار إلى طريق مستقيم لاعوج فيه، ويحول دون الانسياق إلى الهوى، فعلى المتحاورين أن يتجنّبا التعصب، ويعلنا الاستعداد التام للبحث عن الحقيقة، والأخذ بها عند ظهورها، سواء كانت هي وجهة نظرالمحاور، أو وجهة نظر من يحاوره، أو وجهة نظر أخرى.

وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى الأخذ بهذه القاعدة، إذ علّم الرسول- صلى الله عليه وسلم- والمسلمين أن يقولوا في حوارهم ((وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)) [338].

وفي هذا غاية التخلي عن التعصب لأمر سابق، وفيه كمال إعلان الرغبة بنشدان الحقيقة أنّى كانت. ولما كان موضوع المناظرة الذي وردت هذه الآية بصدده هو توحيد الخالق أو الإشراك به، وهما أمران على طرفي نقيض، لا لقاء بينهما بحال من الأحوال، وهما يدوران حول أصل عظيم من أصول العقيدة، كان من الأمور البدهية أن الهداية في أحدهما إذ هو الحق، وأن الضلال المبين في الآخر إذ هو الباطل، ومن أجل ذلك كانت عبارة إعلان التخلي عن التعصب لأمر سابق، تتضمن الاعتراف بهذه الحقيقة [339].

فالحقّ ضالّة المؤمن ينشده حتى ولو كان على نفسه، فذلك العقل بعينه والتحرر من تبعية الهوى. أما الكبر فهو داء نفسي خطير يتهدّد الإيمان بأنه ردّ الحق وإنكاره، وعدم قبوله، فعن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول – صلى الله

([338]) سبأ: { 24 }.

([339]) الميداني، **ضوابط المعرفة**، ص(363، 364)، بتصرف، (مرجع سابق).

عليه وسلم-: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر" فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، قال: " إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق[340]، وغمط الناس [341] " [342].

والحق يقال: إن التسليم بالخطأ صعب على المحاور الذي لم يعتد عليه، وبخاصة إذا أخطأ أمام الناس، فإنه يشعر بالحرج من خطئه، والتسليم بالخطأ يحتاج إلى شجاعة أدبية وقوة نفسية، ولكن المحاور متى اعتاده وجد له حلاوة تقارب حلاوة الفوز والنصر [343].

لقد مدح الله –عزوجل – الذين لايصرّون على خطئهم بقوله: ((وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ {135} أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ {136})) [344].

كما ذمّ الله – عزوجل – الذين يصرّون على خطئهم وعصيانهم فقال: ((وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ {7} يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ {8}))[345]. إن التسليم بالخطأ – على عكس ما يظن المخطىء أول وهلة – يكسب صاحبه احترام الناس وتقديرهم، على عكس الإصرار على الخطأ الذي يفقده احترام الناس له، كما يفقده احترامه لنفسه [346]. إن التعصّب آفة كثير من الناس، بل هو بلاء عمّ وطمّ، بلاء متجدّد عبر العصور والدهور، يلبس أثواباً متعددة متلونة، ولكنه في النهاية شيء

([340]) بطر الحق: التكبر عنه والتعالي عليه. ابن الأثير، **النهاية**، ج1، ص(135)، (مرجع سابق).

([341]) غمط الناس: الاستهانة بهم واحتقارهم. **المرجع السابق**، ج3، ص(387).

([342]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب الإيمان**، باب: تحريم الكبر وبيانه، رقم الحديث(147)، مج1، ص(93)، (مرجع سابق).

([343]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(145، 149)، بتصرف، (مرجع سابق).

([344]) آل عمران: { 135، 136 }.

([345]) الجاثية: { 7، 8 }.

([346]) **المرجع السابق**، ص(149، 150).

واحـــد، ألا وهوالتعصب الذي يصم آذان صاحبه ويعمي بصره وبصيرته إلا من شيء واحد هو المذهب أوالطائفة ! فالمتعصب لايتبع الدليل، وإنما يتبع ما تعصب له، وإن بدا لـــه أن الحـــق خـــلاف مذهبه أو رأي جماعته، إنه خلل في الإيمان والإخلاص والتجرّد لله تبارك وتعالى.

لقد أمرنا الله- تعالى- أن نطيعه ونطيع رسوله – صلى الله عليه وسلم – ولم يأمرنا أن نطيع أونتعصب لغيرهما، فقال تعالى: ((قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ {32})) [347]. إنّ هذا الخلل في الفهم أدى بكثير من المتحاورين إلى التمسّك بآرائهم وتصوّراتهم على حساب الحق أحياناً [348]. " فالمحاور النـــاجح شخصـــية ســـوية لـــذلك فهـــو لايتعصّب لرأي، وإنما يبحث عن الحـــق ويدعو إليه ويتمسّـــك به، فإن استجاب محاوره فبهـــا ونعمت، وإلا أعلن ما وجّهنا إليه ربنا سبحانه وتعالى في قولـــه: ((وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ))[349]. فالمحاور الناجح شخص متزن لا يتعصب ولا يتعـــالى على محاوره "[350].

ومن المظاهر الدالة على التزام الموضوعية في الحوار: عدم الخروج عن الموضـــوع الذي هو محل النزاع أو الخلاف، فإن آفة كثير من الناس أنهم إذا ناقشوا غيرهم في موضـــوع معين، تعمدوا أن يسلكوا ما يسمّى في هذه الأيام بخلط الأوراق، بحيث لايدري المستمعون فـــي أي شيء هم مختلفون مع غيرهم، وتتوه الحقيقة في خضم هذه الفروع التي لا تكاد تعرف لهـــا أصلاً. إن في القـــرآن الكـــريم كثيـــراً من المحـــاورات والخـــلافات التي دارت بين الرســـل – عليهم السلام – وبين أقوامهم، وكان جواب الرسل –عليهم السلام- عـــن أســـئلة مخـــالفيهم

([347]) آل عمران: { 32 }.

([348]) الحمادي،علي، **منهجية التعامل مع الشبهات وقواعد دحضها**، دار ابن حزم، بيروت، ط1، (1420هـــ-1999م)، ص (78، 79)، بتصرف.

([349]) الكهف: { 29 }.

([350]) عبيد، منصور الرفاعي، **الحوار** "**آدابه وأهدافه**"، مركز الكتـــاب للنشـــر، مصـــر، ط1، (1424هـــــ- 2004م)، ص(30).

منتزعاً من أقوال هؤلاء المخالفين، دون أي خروج عن موضوع النزاع. فهاهو ذا نوح – عليه السلام–ردّ على قومه قائلاً: ((يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {61} أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)) [351] وأعداء الحق جادلوا النبي–صلى الله عليه وسلم – في كثير من القضايا، وساق القرآن شبهاتهم بأمانة، ثم لُقّن النبي –عليه الصلاة والسلام – الجواب الذي يقطع دابر هذه الشبهات، وكان هذا الجواب منتزعاً من واقع كلامهم، دون أي خروج عن موضوع الخلاف بينه وبينهم.

لقد حكى القرآن الكريم جانباً من هذه الشبهات وردّ عليها بما يزهقها، قال تعالى: ((وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ {28} قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ {29})) [352] وقال أيضاً: ((وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً {77} أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ)) [353] فهذه الآيات على سبيل المثال، فيها الإجابة على شبهات الضالين، وفيها الردّ الحاسم، والقول الفصل، دون خلط للأوراق، ودون خروج عن موضوع الخلاف [354]." فالتعصب هو عدم قبول الحق عند ظهور الدليل، والمحاور المسلم طالب حق لا يتعصب لشخص معين، ولا لفئة معينة، ولا لرأي معين، فإذا حاورت أو ناظرت، فلا تتعصب ودر مع الحق حيث دار" [355].

([351]) الأعراف: { 61، 62 }.

([352]) الأعراف: { 28، 29 }.

([353]) النساء: { 77، 78 }.

([354]) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(23، 25)، بتصرف، (مرجع سابق).

([355]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(62)، (مرجع سابق).

المطلب الثاني

إبراز الحقائق الثابتة في الحوار

"أوجب الإسلام على الأطراف المشاركة في الحوار توخي الصدق والتثبت من صحة ما يقال، وهي مسؤولية مشتركة بين المتحدث من جانب والمتلقّي من جانب آخر، أما مسؤولية المتحدث فهي: أن يتحرى الصدق فيما يقول، وألاّ يتحدث بما لا يملك دليلاً على صدقه، وأن يستقي معلوماته من مصادر موثوق بها. وأما مسؤولية المتلقّي فهي: ألاّ يأخذ كل ما يقال له مأخذ التسليم، وإنما يقوّمه في ضوء مجموعة من المعايير منها: شخصية المتحدث، وأخلاقه، وسيرته بين الناس، وعلمه، ومدى توافق الأفكار المطروحة مع الحقائق الثابتة والموثوق بها، ومدى قوة الحجج والبراهين التي تدعم ما يقال " [356].

قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ {6}}) [357]. وقال أيضاً: ((قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِين)) [358]. "إن أسلوب مقارعة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان من الأساليب الإقناعية القديمة، جاء استخدامها في القرآن الكريم ضد الكفار والمشركين، وعلى لسان الأنبياء –عليهم السلام–، وحينما نمعن النظر في الحوار القرآني نجد أنه بعد ثبات الاقتناع المرتكز على الحجج والبراهين، لا يجعل ذلك الاقتناع سدّاً منيعاً في وجه الخصوم، بل يعطيهم فرصة أخرى لطرح أفكارهم القائمة على حجج أخرى وأدلة جديدة " [359]. قال تعالى ((وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءاً إِلاَّ أَن

([356]) اللبودي، **الحوار " فنياته واستراتيجياته"**، ص(33)، (مرجع سابق).

([357]) الحجرات: { 6 }.

([358]) البقرة: { 111 }.

([359]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(152)، (مرجع سابق).

يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {25})) [360] وأجاب يوسف –عليه السلام –يرد عن نفسه التهمة الباطلة قائلاً: ((هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَفْسِي)) [361] "وحضر عدد من أقرباء الزوجة ورأوا قميصه ممزقاً، وهو الدليل الذي أرادت أن تتذرّع به، حيث زعمت أنها مزقته دفاعاً عن نفسها، لكن أحد أقربائها شهد بالحق، قال تعالى: ((وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ {26} وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ {27})) [362] وأقبل العزيز يتفحّص قميص يوسف – عليه السلام –.

((فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ {28})) [363].

وهكذا قيض الله ليوسف حجة ودليلاً قاطعاً على براءته " [364]. إن العقلاء دائماً عندما تتضح لهم الحجة، ويظهر لهم البرهان، ويرون الدليل الساطع على صحة المسألة، يقتنعون بذلك ويعترفون بالحق، أما السفهاء والجهلاء فإنهم يصرون على باطلهم، ويجحدون الحق عن علم به، لسوء نواياهم وضعف عقولهم وهذا ما حكاه القرآن العظيم في الحوار بين موسى – عليه السلام – وسحرة فرعون، فقد قبلوا التحدي من موسى – عليه السلام– أول الأمر ((يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى {65} قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى {66} فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى {67} قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى {68} وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى {69})) [365]. وألقى موسى – عليه السلام – عصاه، فابتلعت سحرهم وأيقن السحرة أن ما فعله موسى –عليه السلام – إنما هو معجزة وليس سحراً، وأنه

([360]) يوسف: { 25 }.

([361]) يوسف: { 26 }.

([362]) يوسف: { 26، 27 }.

([363]) يوسف: { 28 }.

([364]) النحلاوي، عبد الرحمن، **التربية بالحوار**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، (1421هـ–2000م)، ص(43).

([365]) طه: { 65 – 69 }.

رسول من ربّ العالمين، وأن حجته هي الأعلى، فما كان منهم بعد أن اقتنعوا بالحق إلا أن قالوا بكل شجاعة وإخلاص: ((آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى))[366] وردّوا على فرعون الذي هدّدهم بأن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ((إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى {73})) [367]. "وهكذا ضرب سحرة فرعون أروع الأمثلة في الإخلاص والشجاعة والخضوع للحق بعد قيام الأدلة الساطعة على أن موسى – عليه السلام – على الحق " [368]. فلا بد من الاعتماد على الأدلة البرهانية التي تقوم على الحقائق التي تدركها العقول السليمة وتذعن لها القلوب المستعدّة للاعتراف بالحق، وهي القلوب التي لم تطمس بصيرتها الأهواء والشهوات، ونوازغ الجحود والإنكار، وعوامل الاستعلاء والاستكبار، فعلى المحاور الناجح أن يبحث عن الأدلة البرهانية والحجج الصحيحة التي هي حقائق في ذاتها، ثم يستدل بها لإقناع من يدعوه إلى دين الله – عز وجل –، وعليه أن يختار منها ما يلائم مدارك من يدعوه، ومستواه العلمي وحالته النفسية. فإذا احتاج إلى تبسيط الأدلة وتيسيرها، بسّطها له ويسّرها، وتسلسل معه فيها وفق النظام العقلي الذي فطر الله عقول الناس عليه.

وإذا رأى أن لدى فكرمن يدعوه أغشية لا تسمح له برؤية الحقيقة حاول إزالتها برفق، حتى تتجلي بصيرة فكره. وإذا وجد لديه مسلّمات يراها حقائق،وهي تناقض ما يريد إقناعه به حاول برفق أن يكشف له بطلان هذه المسلّمات بالحجج الصحيحة التي يقبلها. وبعد أن يزلزل اعتقاده بمسلّماته يقدّم له الأدلة الدامغة التي تنتهي مراحلها بإثبات القضية التي يريد أن يدعوه إليها فلا يجوز للمحاورأن يحتج بأدلة خرافيةأو واهية لإثبات القضية التي يدعوإليها [369].

([366]) طـه: { 70 }.
([367]) طـه: { 73 }.
([368]) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(27)، (مرجع سابق).
([369]) الميداني، **فقه الدعوة إلى** الله، ج1، ص(303)، بتصرف، (مرجع سابق).

" لقد حاربت شريعة الإسلام الإشاعات الكاذبة التي ينشرها المتحاورون مع غيرهم عن سوء نية، بوسائل متعددة وأساليب مختلفة. حاربتها بتغليب حسن الظن على سوء الظن، قال تعالى: ((لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ {12})) [370]. حاربتها عن طريق ردّ الأمور إلى مصادرها الأصلية، وسؤال أهل الذكر عما يخفى فهمه، امتثالاً لقوله سبحانه: ((وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ {7})) [371]، وقوله سبحانه: ((وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً {83})) [372].

حاربتها بالمنطق السليم، وبالحجة القاطعة، وبالدليل العملي الناصع، فعندما أشاع المنافقون في غزوة أحد، أن الذين قتلوا في هذه الغزوة لو أنهم بقوا في بيوتهم لما قتلوا، ردّ القرآن الكريم عليهم بما يخرس ألسنتهم: ((قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ))[373]. إن الحوار الذي يقوم على الحقائق الثابتة والمعلومات الصادقة والأخبار الصحيحة يباركه الله – عز وجل –، ويثيب أصحابه ببركة تعاونهم على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان" (5). أما الحوار الذي يبنى على الإشاعات والأراجيف الباطلة، فإن نتيجته الخيبة والخسران، لأن سنة الله اقتضت أنه لا يصح في النهاية إلا الصحيح." لذا يجمل بالمناقش أن يعزو الأفكار إلى مصادرها، وأن يستعينبذكر الإحصائيات التي تخدم رأيه، والمراجع التي اعتمد عليها، فسوق الحقائق المجرّدة أقل تأثيراً في النفوس من سوقها مدعمة بالشواهد المعتمدة

([370]) النور: { 12 }.

([371]) الأنبياء: { 7 }.

([372]) النساء: { 83 }.

([373]) آل عمران: { 154 }.

(5) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(52، 53)، (مرجع سابق).

سواء من الكتاب والسنة، وأقوال العلماء إذا كانت مما لـــه صـــلة بهـــا، أم مـــن أقـــوال أهـــل الاختصاص المعتمدين الموثوقين، كالنقل عن أساطين الطب في مسائل الطب، أو تدعيم الكـــلام بذكر مرجعه من أمهات الكتب.

ويحسن بالمحاور أن يترك النقول الضعيفة، والحجج الواهية، فدليلان قويـــان لا يمكـــن الرد عليهما أفضل من سوقهما مع ثلاثة أدلة أخرى يمكن الأخذ والرد فيها، إذ ربمـــا يســـتغلها الطرف الآخر لإضعاف الفكرة. إن خير وسيلة لكسب الطرف المقابل ألاّ تقرره بالحقيقة ابتداء، بل عرضها عليه، ثم الاستدلال لها، تجدالمحاور الآخر في النهاية يقرّ بها من تلقاء نفسه " [374].

([374]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(157، 158)، (مرجع سابق).

المبحث الثالث

الرفق واللين في الحوار

تمهيد:

"إن إظهار الحق وإيصاله للآخرين وإقناعهم به ودحض شبهاتهم وأباطيلهم يحتاج إلى معرفة طبيعة النفس البشرية، وما يصلح لها وما يسوؤها. ومن أهم سمات النفوس أنها تميل إلى اللين والملاطفة والتعامل بالحسنى، وتنفر من الشدة والإذلال والإفحام، إذ إن لها كبرياء، فمن أكرمها فأنه يستطيع أن يقودها وأن يسيّرها كيفما شاء، ومن خدش كبرياءها، فلن يظفر منها بطاعة ولا تصديق ولا انقياد، ولا يلومنّ بعد ذلك إلا نفسه !

لذا فمن أراد أن يمسح الشبهات من عقول الناس، أو أراد أن يدحضها، فعليه أن يلج إلى ذلك بالحسنى، وأن يتجنّب العنف والشدة والتحدي" [375].

ولا شك أن القلوب تميل إلى من يلين ويرفق بها، وتنفر الطبائع البشرية من الفظّ الغليظ حتى لو كان خير الناس! كما قال الله –عزوجل –: ((وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ))[376]. والمحاور الناجح في أمسّ الحاجة إلى التفاف الناس حوله، وتحلّيه بالرفق واللين يساعد في تحقيق ذلك. إلى جانب ذلك، فقد ينشأ عند كثير من الناس نفور تجاه المحاور بسبب دعوته، وذلك إذا خالف رغبات كثير منهم أوعارض شهواتهم، لكنّ اتصافه بالرفق يساهم – بعون الله تعالى – في إزالة أو تقليل هذا النفور.

هذا وقد جاء في القرآن الكريم والسنة المطهّرة ما يبين ضرورة تحلّي المحاور الداعية بالرفق، وقدّم إمام الدعاة محمد – صلى الله عليه وسلم – نموذجاً مثالياً لاستخدام الرفق في الحوار، وأكّد كثير من علماء الأمة على ضرورة اتصاف المحاور بالرفق واللين [377].

([375]) الحمادي، **منهجية التعامل مع الشبهات**، ج2، ص(14)، (مرجع سابق).

(376) آل عمران: { 159 }.

(377) إلهي، فضل، **من صفات الداعية "اللين والرفق"**، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، (1411هـ – 1991م)، ص(3)، بتصرف.

المطلب الأول

أهمية الجدال بالتي هي أحسن في المحاورة

أمر الله – عزوجل – نبيّه – عليه الصلاة والسلام – أن يجادل الآخرين بالتي هي أحسن حيث قال: ((ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) [378]. والمجادلة بالتي هي أحسن: "هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف" [379].

ويقول جلّ ذكره مخاطباً موسى وهارون –عليهما السلام– ((اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى {43} فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى {44}))[380]، " فإذا كان موسى وهارون –عليهما السلام – أمرا بأن يقولا لفرعون قولاً ليّناً، فمن دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه، وأمره بالمعروف في كلامه " [381]، " وفي تليين القول ما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة " [382]، فهذا محمد –صلى الله عليه وسلم– أمره ربه أن يجادل المعاندين بالحسنى، مع أنهم أساؤوا إليه وكذبوه وآذوه !

إن المحاور المنصف يناقش باللطف والأناة والهدوء، ومن الأشياء التي تفتح مغاليق النفوس، ألاّ تسفّه آراء محاورك، وأن تظهر له الاحترام ولو كان على غير رأيك [383].

قال تعالى: ((وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ))[384]. فعلى المسلم أن لا يسلك مع خصومه، مسالك الشتم أو الطعن أو الفحش.

([378]) النحل: { 125 }.
([379]) الزمخشري، **الكشاف**، ج2، ص(435)، (مرجع سابق).
([380]) طه: { 43، 44 }.
([381]) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج11، ص(200)، (مرجع سابق).
([382]) أبو السعود، **تفسير أبي السعود**، ج3، ص(362)، (مرجع سابق).
([383]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(72)، بتصرف، (مرجع سابق).
([384]) الأنعام: { 108 }.

والمحاور الناجح هو الذي يتمثّل قوله تعالى: ((وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً)) [385] "وفي هذا حث على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله ليناً، ووجهه منبسطاً طلقاً مع البر والفاجروالسنّيّ والمبتدع من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم بكلام يظن أنه يرضي مذهبه" [386]. "فالمحاور مطالب أن يشعر من يدعوه بأنه لا يتعالى عليه أو يتميز دونه، بل هو حريص عليه يتمنى له كل الخير، لأن حرص المحاور مفتاح من مفاتيح القلوب التي يفتح الله بها قلب من يحب من عباده، ولنا في رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الأسوة الحسنة فقد كان ينفطر على حال المشركين بعد محاورتهم" [387]: ((فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً {6})) [388]، ومن مظاهر الرفق واللين في الحوار عدم مقابلة الخطأ والزلل بمثله قال تعالى: ((وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ {34})) [389]. "فالواجب على المحاور العاقل: توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة، إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان، ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشدّ من الاستعمال بمثلها " [390]، فالإسلام يعتبر الكلمة الطيبة صدقة كما في الحديث الشريف الذي يرويه أبو هريرة – رضي الله عنه: "الكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة"[391]، "فالقول الحسن محمود على كل حال،في الرضا والغضب، ومع

([385]) البقرة: { 83 }.

([386]) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج2، ص(86)، (مرجع سابق).

([387]) عبد العزيز، جمعة أمين، **الدعوة (قواعد وأصول)**، دار الدعوة للطباعة، الإسكندرية، ط2، (1409هـ – 1989م)، ص(133).

([388]) الكهف: { 6 }.

([389]) فصلت: { 34 }.

([390]) ابن حبّان، أبو حاتم محمد بن معاذ، **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، (1379هـ –1977م)، ص(166).

([391]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب الزكاة**، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم الحديث (1009) ج2، ص(699)، (مرجع سابق).

العالم والجاهل، ومع المسلم وغير المسلم، ومع التقي والفاجر، ومع الصغير والكبير على حدّ سواء " [392].

وأكّد الرسول –صلى الله عليه وسلم– على أهمية تحلّي المسلم بالرفق، فعن عائشة – رضي الله عنها – قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع عن شيء إلا شانه " [393]. وفي هذا حث على الابتعاد عن التحدي في الحوار والجدال والمناقشة، ولو كان بالحجة الدامغة والدليل المبين، لأن التحدي يجعل صاحبه مبغوضاً للآخرين، فكسب القلوب أهم من كسب المواقف، ثم إن المحاور قد يفحم الخصم، ويعجزه عن الجواب، ولكنه لا يقنعه، لأنه أحرجه، فيرفض التسليم بعاطفته وإن كان مقتنعاً بعقله. أما إذا كان المحاور ليّناً ولطيفاً فإنه سيقنع خصمه إن عاجلاً أو آجلاً، فإذا انتهى مما يريد قوله، وأدلى بدلوه، فإن الطرف الآخر سيقتنع برأيه. فالهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق، وليس إفحام الآخرين وإسكاتهم، لأن ذلك قد يسكن الخصم أو الطرف الآخر،ولكنه لا يقوده إلى الهداية، فضلاً عما يتركه الإفحام –إذا كان أمام الآخرين– في نفسه من حقد وغيظ. فالداعية الحكيم يحاول استلال ما في قلوب الآخرين من غيظ، وأن يقودهم إلى الهداية [394]. وعلى المتحاورين أن يحرصا على تجنّب الألفاظ المستحدثة التي تحتمل حقاً وباطلاً وخطأوصواباً. وعليهما أن يحرصا على استعمال الألفاظ الشرعية المستعملة في القرآن والسنة وعند علماء المسلمين، لأن هذه الألفاظ تكون محدّدة المعنى واضحة المفهوم خالية من أي معنى باطل. قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا[395] وَقُولُواْ انظُرْنَا[396] وَاسْمَعُواْ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ {104})) [397]. ففي كلمة (راعنا) في لسان اليهود معنى باطل كانوا يقصدونه عند مخاطبتهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فأمر الله

([392]) ديماس، **فنون الحوار**، ص(88)، (مرجع سابق).

([393]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب**، باب فضل الرفق، رقم الحديث(2594)، ج4، ص(2004)، (مرجع سابق).

([394]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(73)، بتصرف، (مرجع سابق).

(395) راعنا: استمع منا، حرّف اليهود هذه اللفظة، وقالوا: يا محمد راعنا، وهم يلحدون إلى الرعونة يريدون بها النقيضة والوقيعة.

(396) انظرنا: تمهل كي نفهم ونستوعب جميع الكلام.

* مغنية، محمد جواد، **التفسير الكاشف**، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، (1981م)، مج1، ص(166).

([397]) البقرة: { 104 }.

المسلـــمين أن يتركوهـــا وأن يستعملوا كلمة (انظرنا) بدلاً منها، فإذا اضطر المحاور إلى بعض الألفاظ المستحدثة فعليه أن يبين مقصوده منها، حتى لا تثير الكراهية والحقد بـــين المتحـــاورين [398].

([398]) زيدان، عبد الكريم، **أصول الدعوة**، مؤسسة الرسالة، ط2، (1407هـــ - 1987م)، ص(471،472)، بتصرف.

المطلب الثاني

الرفق في حوار الأنبياء – عليهم السلام – مع أقوامهم

إنّ الرفق سمة واضحة في دعوة الأنبياء –عليهم السلام– لأقوامهم، فما من نبي بعث إلا ودعا قومه وحاورهم بالتي هي أحسن، فهاهو ذا شعيب –عليه السلام–يحاور قومه بكل رفق قائلاً ((يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)) [399]، فهذا تلطف منه في العبارة ودعوة لهم إلى الحق بأبين إشارة. يقول لهم: أرأيتم أيها المكذبون "إن كنت على بينة من ربي "ورزقني النبوة والرسالة، وعمّي عليكم معرفتها، فأي حيلة لي فيكم ؟ ولست آمركم بالأمر إلا وأنا أول فاعل له، وإذا نهيتكم عن الشيء فأنا أول من يتركه [400]. "فهو يتلطّف معهم ليشعرهم أنه على بينة من ربه، وأنه على ثقة مما يقول لهم، وأنه يدعوهم إلى الأمانة في المعاملة،سيتأثر مثلهم بنتائجها،لأنه ذو مال وعلاقات تجارية،فهو لا يبغي كسباً شخصياً من وراء دعوته لهم، فلن ينهاهم عن شيء ثم يفعله لينفرد بالكسب وحده ! إنما هي دعوة الإصلاح للناس أجمعين بكل حكمة وروية ولين" [401].

"وهاهو يوسف –عليه السلام– لم يغفل عن الدعوة لدينه مع أنه في السجن، بل استغل الموقف، وأخذ يشرح في تلطف ولين ورفق دعوته مستغلاً الموقف أحسن استغلال، مدركاً لطبيعة البيئة ومداخل النفوس فيها، وبيّن العلاقة بينه وبين صاحبي السجن وأنه لا يريد إلا مصلحتهما، بعد أن علما سيرته ومبلغ علمه" [402].

([399]) هود: { 88 }.

([400]) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص(246، 247)، بتصرف، (مرجع سابق).

([401]) النحلاوي، **التربية بالحوار**، ص(66)، (مرجع سابق).

([402]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(91)، (مرجع سابق).

قـــال تعـــالى ((يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ {39} مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ {40})) [403].

"لقد رسم يوسف –عليه السلام– بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة كل معـــالم هـــذا الدين وكل مقومات هذه العقيدة، كما هزّ بها كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزّاً شـــديداً عنيفاً ((يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ {39}))[404]، إنـــه يتخذ منهما صاحـــبين ويتحبب إليهما بهذه الصفة المؤنســـة ليدخل من هذا المدخل إلى صـــلب الدعـــوة وحسم العقـــيدة " [405]. ومن صـــور الرفـــق في حـــوار الأنبياء –عليـــهم الســـلام– لأقوامهم تلك التوجيهـــات الســـديدة التي يلقنها القـــرآن الكـــريم للنبي–صلى الله عليه وســـلم– آمراً إياه أن يقولها لقومـــه بكل تواضع وشجـــاعة وحكمـــة فيقول: ((فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ {15})) [406]. ويضيف أيضاً ((قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {24} قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ {25} قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ {26}))[407].

"إن الحوار أو الجدال الذي يدور بين الناس، إذا كان يقوم على التواضع ولين الجانـــب، وعلـــى الأسلوب المهذّب الخالي من كل مالايليق، كانت نتائجه طيبـــة وآثاره حميدة، لأنه يوصل إلـــى الحقيقة المرجوة، وإلى الاتفاق ولو على معظم المسائل التي دار من أجلها الحوار. أما الحوار أو

([403]) يوسف: { 39، 40 }.

([404]) يوسف: { 39 }.

([405]) **المرجع السابق**، ص (93).

([406]) الشورى: { 15 }.

([407]) سبأ: { 24-26}.

الجدال الذي يكون مبعثه الغـــرور والتعالي والتباهي بالأقوال، فمن المستبعد أن يـــأتي بنتيجـــة توصل إلى الحقيقة أو إلى اتفـــاق على ما ينفع، وإنما المتوقع من هـــذا الحـــوار الـــذي ســـداه الغرور، أن تتولد عنه الآثام والشرور" [408]. وهكذا نتيقن أن الرفق يزين الحـــوار ويقوده إلـــى نتائج طيبة وثمـــار ناضجة، أسوتنا في ذلك الرسل الكرام –عليهم الصلاة والسلام–.

([408]) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(30)، (مرجع سابق).

المطلب الثالث

المداراة في الحوار

"المداراة خلق من أخـــلاق النبوة، يُحكِمها الأذكياء، ولا يتعدّى حدودها الفضلاء، وهـــي ترجع إلى حسن اللقاء، وطيب الكلام والتودّد للناس وتجنّب ما يشير بسخَط مـــن غيـــر ثـــلْم للدين"[409]. فعن عائشة–رضي الله عنها– أنه استأذن على النبي– صلى الله عليه وسلم– رجـــل فقال: "ائذنوا له، بئس أخو العشيرة" فلما جلس تطلّق له النبي– صلى الله عليـــه وســـلم – فـــي وجهه، وانبسط إليه، فقلت: " يارسول الله، قلـــت ما قلت، ثم ألنـــت لـــه القـــول ؟! " فقـــال: " ياعائشة، إن شرّ الناس منزلة عند الله من تركه–أو ودعه– الناس اتقاء فحشه " [410].

"فالواجب على العاقل أن يداري الناس مداراة الرجل السابح في المـــاء الجـــــاري،ومن ذهب إلى عشرة الناس من حيث هو كدّر على نفسه عيشه، ولم تصف لـــه مـــــودّته، لأن وداد الناس لا يستجلب إلا بمساعدتهم على ماهم عليه إلا أن يكون مأثماً، فإذا كانت حالة معصية فلا سمع ولا طاعة، والبشر قد ركّب فيهم أهواء مختلفة وطبائع متباينة، فكما يشقّ عليك تـــرك مـــا جبلت عليه، فكذلك يشق على غيرك مجانبة مثله، فليس إلى صفو ودادهم سبيل، إلا بمعاشـــرتهم من حيث هم، والإغضاء عن مخالفتهم في الأوقات. ومن التمس رضا جميع الناس، التمس مـــا لايدرك، ولكن يقصد العاقل رضا من لايجد من معاشرته بداً، وإن دفعه الوقت إلـــى استحســـان أشياء من العـــادات كان يستقبحها، واستقباح أشياء كان يستحسنها، ما لم يكن مأثماً، فـــإن ذلـــك من المداراة، وما أكثر من دارى فلم يسلم، فكيف توجد السلامة لمن لا يـــداري " [411]." ومـــن المداراة إذا حدّث محاورك بكلام غـــريب ألا تبادر إلى تكذيبه، وتفنيد قوله، فهـــذا الصـــنيع لا

([409]) الحاشدي، **فن الحوار**، ص(233)، (مرجع سابق).

([410]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآد1ب**، باب: مداراة من يتقـــى فحشـــه، رقـــم الحـــديث (2591)، ج4، ص(2002)، (مرجع سابق).

([411]) ابن حبان، **روضة العقلاء**، ص(70،71)، (مرجع سابق).

يحسن أبداً، وليس من صفات أكابر الرجال، لأن هؤلاء يتغاضون عن خطأ محاورهم ويتعامون عن زلته، وإذا كان الخطأ كبيراً، فإنهم يبيّنون له الخطأ، ويرشدونه إلى الصواب بأجمل عبارة وألطف إشارة " [412].

وعلى المحاور في هذا المقام أن يميز بين المداراة والمداهنة في مخاطبة الناس، وفي ذكر محامدهم، وإظهار فضائلهم، فلا يظن ظانّ أن الرفق واللين والمداراة في الحوار تعني المداهنة حيث يلقى الفاسق المعلن بفسقه فلا ينكر عليه ولو بقلبه، فالمداهنة في الحوار محرّمة، وهي ما رغب مشركو قريش في وجودها عند النبي –صلى الله عليه وسلم– قال جلّ ثناؤه في معرض ذم أولئك: ((وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ {9})) [413] وبيّن الرسول –صلى الله عليه وسلم– سوء عاقبة المداهن، فقد قال النعمان بن بشير –رضي الله عنه – قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " مثل المدهن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة، فصار بعضهم في أسفلها، وصار بعضهم في أعلاها. فكان الذين في أسفلها يمرّون بالماء على الذين في أعلاها، فتأذّوا به، فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه، فقالوا: مالك ؟ قال: تأذيتم بي ولا بدّ لي من الماء. فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجّوا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم" [414]، فالمقصود من اتصاف المحاور باللين والرفق أن تكون دعوته خالية من العنف والخشونة والشدة والقسوة، بعبارة أخرى أن تكون عنده مداراة [415]. وهذا ما يظهر في قوله تعالى لموسى وهارون –عليهما السلام–عند دعوة فرعون "فقولا له قولاً ليناً" [416] بأن يداريا ويرفقا به [417]. "ومن هنا يظهر الفرق جلياً

([412]) الحاشدي، **فن الحوار**، ص(234)، (مرجع سابق).

([413]) القلم: { 9 }.

([414]) البخاري، **صحيح البخاري**، **كتاب الشهادات**، باب: القرعة في المشكلات، رقم الحديث (2686)، ج3، ص(237)، (مرجع سابق).

([415]) إلهي، **اللين والرفق**، ص(8، 9)، بتصرف، (مرجع سابق).

([416]) طه: { 44 }.

([417]) البغوي، **تفسير البغوي**، ج3، ص(219)، (مرجع سابق).

بين المداراة والمداهنة: فالمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكارعليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألّفه، ونحو ذلك. والمداهنة من الدهان: وهو الذي يظهر على الشيء، ويستر باطنه، وفسّرها العلماء بأنها "معاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه"[418].

وصفوة القول: يجوز للمحاور أن يستعمل في كلماته وخطاباته ما يثير رغبة محدّثه، ويشدّه إلى تقبل الحق، ويدفعه إلى الالتزام به. وذلك بنداءات ليّنة، ومخاطبات تشويقية لها إيحاءاتها المؤثرة على المشاعر، وآثارها المباركة على القلوب. على أن يلتزم المحاور حدود الاعتدال والاتزان في كل ما يطرحه من نداءات واستعطافات، بلا مبالغة ولا شطط ولا مداهنة، إلا ما أباح له الشرع في إطار التقية والمداراة ما استطاع أن يأسر قلب خصمه، وأن يصل إلى ما يريد من إصلاح نفسه وتغذية فكره.

فالواجب على المحاور الناجح أن يحرص عند محاورته مع الآخرين أن يكون المثل الأعلى في الملاطفة والمجاملة ليصل إلى النتيجة المرجوة التي يريد الوصول إليها[419].

([418]) العسقلاني، **فتح الباري**، ج10، ص(528)، (مرجع سابق).

([419]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(137، 138)، بتصرف، (مرجع سابق).

الفصل الثاني

قواعد الحوار والإقناع

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاحترام المتبادل.

المبحث الثاني: البحث عن الحقيقة والسعي إليها.

المبحث الثالث: الرفق واللين في الحوار.

قواعد الحوار والإقناع

تمهيد:

"إن الغرض من الحوار هو البحث عن الحق ليتضح، فالحق مطلوب والتعاون على النظر فيه مفيد ومؤثر، هكذا عادة السلف الصالح –رضي الله عنهم– في تحاورهم، فقد تدعو الحاجة إلى البحث المشترك للتوصّل إلى الحق، مثلما حدث بين الصحابة –رضي الله عنهم– في حوارهم في مسألة الجدّة، وحدّ شرب الخمرة " [420]. وحتى نميز الحوار عن الجدل المذموم أو السفسطة أو المراء البعيد عن نشدان الحقيقة، وحتى لا يتحول الحوار إلى مشاحنات أنانية ومشاغبات ومغالطات، ونحو ذلك مما يفسد القلوب، ويهيج النفوس ويورث التعصب ولا يوصل إلى الحق [421]، وحتى لا يصبح الأمر انتصاراً وإعجاباً لكل ذي رأي برأيه[422]، فلا بدّ من وضع قواعد للحوار الهادف بلوغاً إلى الصواب.

([420]) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، إحياء **علوم الدين**، دار الوثائق، القاهرة، ط1، (1420هـ – 2000م)، مج1، ص(54).

* تنبيه: ورد في حوار الصحابة – رضي الله عنهم – في ميراث الجدة: قال قبيصة بن ذؤيب: جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها، فقال لها أبو بكر: ما لكِ في كتاب الله شيء. وما علمت لك في سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شيئاً. فارجعي حتى أسأل الناس. فسأل الناس،قال المغيرة ابن شعبة: حضرت رسول الله –صلى الله عليه وسلم – أعطاها السدس. فقال أبو بكر: هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري، فقال مثل ما قال المغيرة. فأنفذه لها أبو بكر الصديق.

انظر: الأصبحي، مالك بن أنس، **الموطأ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الفرائض، باب ميراث الجدة، رقم (4)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1406هـ–1985م)، ج2، ص(513).

وورد في حوار الصحابة – رضي الله عنهم – بشأن حد شرب الخمرة: عن أنس بن مالك: جلد أبو بكر – رضي الله عنه – في شرب الخمرة أربعين، فلما ولي عمر دعا الناس فقال لهم: إن الناس قد دنوا من الريف، فما ترون في حدّ الخمر؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف: نرى أن تجعله كأخف الحدود، فجلد فيه ثمانين.

أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، كتاب الحدود، باب الحد في شرب الخمر، رقم (4479)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)، ج4، ص(163).

([421]) الألمعي، زاهر عواض، **مناهج الجدل في القرآن الكريم**، مطبعة الفرزدق، (د. ط)، (د. ت)، ص(431)، بتصرف.

([422]) جريشة، علي، **أدب الحوار والمناظرة**، دار الوفاء، المنصورة، ط1، (1410هـ–1989م)، ص(67)، بتصرف.

المبحث الأول

الاحترام المتبادل

بيّن القرآن الكريم لأتباعه المسلمين أن هناك طريقتين للحوار الفكري، أو للصراع في جميع مجالاته، فهناك طريقة العنف التي تعتمد مواجهة الخصم بأشدّ الكلمات والأساليب وأقساها، بحيث يتركز الاختيار على كل ما يساهم في إيلامه وإهانته وإهدار كرامته، فلا مجال لمراعاة مشاعره وعواطفه، ودراسة واقع حياته، والإحاطة بظروفه من أجل المحافظة على الانسجام معها، بل ربما يكون الأمر تحدّياً للمشاعر في كل المجالات.

وهناك طريقة اللاعنف، أو الطريقة السلمية التي تعتمد اللين والمحبة أساساً للصراع، انطلاقاً من القاعدة الإسلامية التي تعتبر موضوع الصراع، بمختلف مستوياته ومجالاته، وسيلة من وسائل الحركة المنفتحة للوصول إلى الهدف، وهو الإيمان بالحق والوقوف معه، والعمل على حشد أكبرعدد ممكن من الناس للارتباط بالهدف والانسجام معه، ولا بد لهذه الطريقة من استخدام الكلمات والأساليب الطيبة المرنة التي تفتح القلوب على الحق، وتقرب الناس إلى المفاهيم، بعيداً عن كل المعاني الشريرة القاسية [423].

"والداعية الناجح هو الذي يحترم الأطراف الأخرى التي يحاورها، مسلمة كانت أو غير مسلمة، ويمنحها حقها المتوجب لها من التقدير والتوقير، ونحن مأمورون أن ننزل الناس منازلهم" [424]، فالمحاور يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه، فينصت لحديثهم ويتواضع لهم، ويشعرهم بتقديره لهم [425].

([423]) فضل الله، **الحوار في القرآن**، ص(82، 83)، بتصرف، (مرجع سابق).

([424]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(65)، (مرجع سابق).

([425]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(123)، بتصرف، (مرجع سابق).

ومن المظاهر التي ينبغي مراعاتها في الاحترام المتبادل في أثناء الحوار:

1. الإنصاف:

وهذا يعني أن يذكر كل محاور حسنات زميله، وأن يقدّر جوانب الخير التي يتحلّى بها، وأن يعذره إن أخطأ، "وليس معنى الإعذار تصويب ما لدى الطرف الآخر من سلوك وأفكار، فالحق لا يتعدد، وإنما المطلوب تفهّم الوضعية العامة للمحاور، ومحاولة حلّ مشكلاته إن أمكن"[426].

2. عدم الاستعجال بالرد على الخصم:

ينبغي على المناظر أن ينتظر خصمه حتى يفرغ من حجته، فيجيبه بما قلّ ودّل، فيصمت بحلم مهما أغضبه خصمه. فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال صلى الله عليه وسلم: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب "[427]. وينبغي كذلك أن يتكلم بعلم. قال تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ {8}))[428]، " فإن لم يعرف بما يجيب لقصور علمه، فيجب أن يقول لا أعلم أو الله أعلم، اقتداء بالملائكة المقربين والصحابة الأكرمين والعلماء الورعين "[429].

3. المحاورة بأفضل الأسماء والألقاب وأجمل ألوان الخطاب:

" إن مناداة الطرف الآخر باسمه وبأحب الأسماء إليه دليل على الاحترام والتقدير لشخصه، فليس ثمة شيء أجمل وأحب إليه من اسمه. فحفظ الأسماء لا بدّ منه لمن يحبّ التآلف

([426]) بكّار، عبد الكريم، **مقدّمات للنهوض بالعمل الدعوي**، دار القلم، دمشق، ط1، (1420هـ–1999م)، ص(133).

([427]) البخاري، **صحيح البخاري، كتاب الأدب**، باب الحد من الغضب، رقم الحديث (6114)، ج8، ص(34)، (مرجع سابق).

([428]) الحج: { 8 }.

([429]) حلمي، أمين، **الحوار الفكري في القرآن الكريم (المناظرة والجدال والمحاجة)**، دار النهضة الإسلامية، ط1، (1997 م)، ص(43).

مع الناس، ودعوتهم إلى الله ومشاركتهم ومخالطتهم، وكسب ودّهم " [430]. فها هو ذا خليل الله إبراهيم – عليه السلام – يتذلّل لأبيه ويخاطبه قائلاً: (يا أبت). وفي محاورة الأب لابنه، ينبغي للمحاور أن يستفيد من نصح لقمان (عليه السلام) لابنه، إذ كان يخاطبه بشفقة الأب ورحمته وحنانه. ((وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ {13})) [431].

وفي محاورته لصديقه ورفيقه ينبغي أن يستفيد من دعوة يوسف – عليه السلام – لصاحبيه في السجن، في قوله لهما: ((يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ{39})) [432]. وفي دعوته الأهل والعشيرة ينبغي أن يستفيد من سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهله وعشيرته الأقربين [433].

ومن ألوان النداء التي ينبغي على المحاور أن يلتزم بها، النداء لجماعة المؤمنين بحيث يخاطبهم بما خاطبهم الله تعالى به حين قال: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ)) [434]. ففي مخاطبة الله تعالى للمؤمنين بـ " يا أيها الذين آمنوا " تأكيد لهم بأنهم أهل الإيمان والتقوى، وفي الوقت نفسه استثارة لهم بأن يستجيبوا لدعوة الحق، لما في هذه الاستجابة من مقومات البقاء والحياة. وفي النداء لأهل الكتاب يقول الله تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ {64}))[435]."
فالله تعالى يأمر نبيه –عليه الصلاة والسلام– بأن يخاطب اليهود والنصارى بـ " يا أهل الكتاب

([430]) الحاشدي، **فن الحوار**، ص(125)، (مرجع سابق).

([431]) لقمان: { 13 }.

([432]) يوسف: { 39 }.

([433]) الميداني، **فقه الدعوة إلى الله**، ج1، ص(268،269)، بتصرف،(مرجع سابق).

([434]) الأنفال: { 24 }.

([435]) آل عمران: { 64 }.

" لتذكيرهم بأنهم من أهل الكتاب الأول, وأن ما جاء في كتبهم متفق تماماً مع ما جاء في القرآن الكريم، من أصول التوحيد وأركان الإيمان. ولا يخفى ما في ذلك من استثارة لهم وتشويق في استجابتهم لدعوة الحق، ودخولهم في دين الإسلام " [436].

4. الهدوء في أثناء الحوار:

لا شك أن الهدوء والغضّ من الصوت فيه أدب مع الله ومع الناس، وثقة بالنفس، واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته. ومن هنا كان توجيه (لقمان) لابنه بغض الصوت وتقصيره، كما قال تعالى على لسانه: ((وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)) [437]. وجاء في تفسير هذه الآية: ((وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ))، أي: " لا تبالغ في الكلام، ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه "، ولهذا قال: " إن أنكر الأصوات لصوت الحمير "، قال مجاهد وغيره: " إن أقبح الأصوات لصوت الحمير، أي غاية من رفع صوته أن يشبّه بالحمير في علوّه ورفعه، ومع هذا فهو بغيض إلى الله، وهذا التشبيه بالحمير يقتضي تحريمه، وذمّه غاية الذمّ " [438].

فالمحاور يقبل بوجهه إلى من يحدثه، ويوضح الألفاظ بصوت مناسب، لا هو بالخافت الذي لا يكاد يسمع ولا بالمرتفع المؤذي، مع تجنب العبارات والألفاظ المؤذية أو غير اللائقة، فضلاً عن الغيبة والنميمة. وعلى السامع أن يقبل بوجهه لمحاوره، وأن يوليه انتباهه وإنصاته، وألا يقاطعه حتى يتم حديثه، وأن يحرص كل منهما ألا يتطور الحوار إلى جدال ومراء، بل يكون حرص كل منهما على الوصول للحق والخير، مع افتراض كل منهما الخطأ في رأيه كما يفترض فيه الصواب [439]. " وليس معنى الهدوء وخفض الصوت أن يخفضه

([436]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(132)، (مرجع سابق).

([437]) لقمان: { 19 }.

([438]) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص(430)، (مرجع سابق).

([439]) مشهور، مصطفى، **من فقه الدعوة**، دار التوزيع، (1415هـ-1995م)، ج1، ص(535،536)، (بتصرف).

لدرجة يعجز معها المستمع عن متابعة الحديث، وإنما لا بدّ من التوسط والاعتدال. وقد وجد بالخبرة والتجربة أن الصوت المعتدل الهادئ المتأني من غير صراخ أو صياح ومن غير إسرار وإخفات، هو الأدخل إلى النفوس والأنفذ إلى الأعماق والأحفظ لجلال الكلمة ووقار المتكلم. ومن الأفضل ألا يجعل المحاور درجات صوته على وتيرة واحدة، لأن ذلك قد يجلب النوم للمستمعين، ولكن يلزم خفض الصوت ورفعه انفعالاً مع الحديث، فإن لقوة الصوت وخفضه دوراً في تجديد الانتباه " [440].

5. بسط الوجه:

إن من أخلاق المحاور النبيل ذي المروءة والأدب: التودّد والتلطّف وبسط الوجه لمن يحاوره، وذلك في غاية نبل النفس، وصفاء المعدن. قال تعالى ((وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاس))[441]، فقد روى أبو ذر الغفاري– رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْق " [442]. فالمحاور الناجح هو الذي يقبل على محاوره بوجه باشّ، ومن كانت هذه صفته كان على التفكير، واختيار الكلمة المناسبة لمقتضى الحال، أكثر قدرة وينظر له محاوره بشيء من الثقة والاطمئنان [443].

6. التركيز على الرأي لا على صاحبه:

"في أغلب المناقشات يحسن تناول الفكرة بالبحث والتحليل، أو بالنقد والنقض بعيداً عن صاحبها أو قائلها، وذلك حتى لا يتحول الحوار إلى مبارزة كلامية، طابعها الطعن والتجريح، والعدول من مناقشة القضايا والأفكار إلى مناقشة التصرفات والأشخاص " [444]." وقد ينشأ

([440]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(94)، (مرجع سابق).

([441]) لقمان: { 18 }.

([442]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب البر والصلة**، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، رقم الحديث (2626)، مج4، ص(2026)، (مرجع سابق).

([443]) الحاشدي، **فن الحوار**، ص(187)، (مرجع سابق).

([444]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(70)، (مرجع سابق).

صراع في أثناء الحوار، ولكن على المتحاورين إدراك أن هذا الصراع والتوتر هو بين الأفكار وليس بين الأشخاص، وبمجرد أن يرى الناس أن المشاركة بين أفكارهم عملية طبيعية، سيفصلون أنفسهم عن مبادئهم، وسيتخذون موقفاً أكثر نشاطاً وأقل سلبية نحو أفكارهم " [445].

وفي حالات قليلة يستحب الخروج عن هذه القاعدة، وذلك عندما تقتضي مصلحة الحق – لا النوازع الشخصية – تعرية الطرف الآخر وبيان ما فيه، ومع ذلك فيجب أن يتم هذا وفق الأدب الإسلامي وعلى ضوء النصوص الواضحة، كما في قوله تعالى ((وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ)) [446]. ومما يجعل الفكرة أكثر قبولاً أن يكون صاحبها مقتنعاً بها، حريصاً على نشرها، ممثلاً لها في كل حركاته وسكناته، متقيداً بمثلها العليا في كل أوقاته وتصرفاته. إن صاحب الفكرة لا يستطيع أن يواجه بها المؤيدين والمعارضين إلا إذا كانت واضحة المعالم في ذهنه، عميقة الجذور في فؤاده، ومع هذا الفهم والوعي فلا ينبغي أن تستخفه المواقف، بل عليه أن يتحدّث بروح الناصح الأمين، وأن يبتعد عن معاني الاستعلاء والترفع المشين. وصدق الله القائل: ((وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {215})) -[447]، كذلك ينبغي أن يعبرعن مراده بإخلاص وتجرّد،وأن يحادث المستمعين كأنه واحد منهم [448]. إن الأصل في النقاش والحوار أن يكون للرأي أو للقضية، وعرض ذلك على ميزان الشرع، ثم العقل، بغض النظرعن القائل، سواء أكان الحوار مشافهة أو كتابة،أم غيرهما، وسواء أكان القائل حاضراً أم غائباً [449].

([445]) هلال، محمد عبد الغني حسن، **مهارات إدارة الحوار والمناقشات**، مركز تطوير الأداء، مصر، ط1، (1999-2000)، ص(18، 19).

([446]) الحجرات: { 11 }.

([447]) الشعراء: { 215 }.

([448]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص (71)، (مرجع سابق).

([449]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(218)، (مرجع سابق).

ومأخذ هذا الأصل من القواعد الشرعية الآتية:

3. إن الهدف الأسمى من المحاورات والمناظرات والردود ونحوها هو التوصل إلى الحق، وكشف الزيغ والانحراف. وذلك يتحقق في الغالب من دون ذكر الأسماء لأن الستر مطلب شرعي في حق المسلم الذي يظهر منه الصلاح، ولم يجاهر بالمعصية. ففي الحديث الشريف الذي يرويه سالم عن أبيه، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته. ومن فرّج عن مسلم كربة، فرّج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة.ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة " [450]. وإن الأصل تحريم أعراض المسلمين وعدم التعرض لها بنقد أو جرح، سواء أكان غيبة أم سخرية [451]. قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {11} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ {12})) [452]. وعلّمنا رسولنا – صلى الله عليه وسلم – كذلك كيف نتعامل مع المخالفات والمحاذير، فقد كان – عليه الصلاة والسلام – إذا أراد التنبيه على بعض

([450]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب البر والصلة**، باب تحريم الظلم، رقم الحديث(2580)، مج4، ص(1996)، (مرجع سابق).

([451]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(219)، (مرجع سابق).

([452]) الحجرات: { 11، 12 }.

المخالفات التي تقع في المجتمع المدني يقول: ما بال أقوام – أو رجال – يفعلــون كــذا وكذا [453].

4. يجب أن يحترز المحاور عن الاختصار المخل في الكلام، وعن إطالة الكلام بلا فائــدة ترجى من ذلك. وأن يتجنب الألفاظ الغريبة، والألفاظ المجملة التي تحتمل عدة معــان، من غير ترجيح أحدها الذي هو المراد،وألا يتعرض أحدهما لكلام خصمه قبل أن يفهــم مراده تماماً، وأن يقبل كل منهما الحق الذي هداه إليه محاوره، أو يعترف بأن قوة دليله تقدّم ترجيحاً لوجهة نظره [454].

([453]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب الفضائل**، باب: علمه – صلى الله عليه وسـلم – بـالله تعـالى وشـدة خشـيته، رقـم الحديث(2356)، مج4، ص(1829)، (مرجع سابق).

([454]) الميداني، عبد الرحمــن حسن حبنكة، **ضوابط المعــرفة وأصــول الاســتدلال والمناظرة**، دار القلم، دمشــق، ط4 (1414هـــ– 1993م)، ص(373).

المبحث الثاني

البحث عن الحقيقة والسعي إليها

تمهـــيد:

قضت مشيئة الله تعالى خلق الناس بعقول ومدارك متباينة، إلى جانب اختلاف الألسنة والألوان والتصوّرات والأفكار، وكل تلك الأمور تفضي إلى تعدّد الآراء والأحكام، وتختلف باختلاف قائليها، وإذا كان اختلاف ألسنتنا ومظاهر خلقنا آية من آيات الله تعالى، فإن اختلاف مداركنا وعقولنا وما تثمره تلك المدارك والعقول آية من آيات الله تعالى كذلك ؛ ((وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ {118} إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)) [455].

وهناك خلاف مذموم أملاه الهوى، والهوى لايأتي بخير، فهو مطية الشيطان إلى الكفر، قال تعالى: ((فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا)) [456] وقال أيضاً ((وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ)) [457]. وهناك خلاف أملاه الحق قد يقع دون أن يكون للنفس فيه حظ أو للهوى عليه سلطان، فهذا خلاف دفع إليه العلم، واقتضاه العقل، وفرضه الإيمان، فمخالفة أهل الإيمان لأهل الكفر والنفاق خلاف واجب لايمكن لمؤمن أن يتخلّى عنه، أو يدعو لإزالته لأنه خلاف سداه الإيمان ولحمته الحق [458].

وبالرّغم من حقيقة وجود هذا التباين بين الناس، في عقولهم ومدركاتهم وقابليتهم للاختلاف، إلا أن الله وضع على الحق معالم بارزة، وجعل على الصراط المستقيم منارات هادية. فالغاية من الحوارهي إقامة الحجة، ودفع الشبهات وكل فاسد من الأقوال والآراء، وهو

([455]) هود: { 118، 119 }.
([456]) النساء: { 135 }.
([457]) ص: { 26 }.
([458]) العلواني، طه جابر فياض، **أدب الاختلاف في الإسلام**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط3 (1407هـ-1987م)، ص(2، 28)، بتصرف.

تعاون من المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، ليكشف كل طـــرف مـــاخفي علـــى صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق [459].

([459]) ابن حميد، **معالم في منهج الدعوة**، ص(213، 216)، بتصرف. (مرجع سابق).

المطلب الأول

التزام الموضوعية والبعد عن التعصّب

إن التزام الموضوعية والعدل والإنصاف يقود الحوار إلى طريق مستقيم لاعوج فيه، ويحول دون الانسياق إلى الهوى، فعلى المتحاورين أن يتجنّبا التعصب، ويعلنا الاستعداد التام للبحث عن الحقيقة، والأخذ بها عند ظهورها، سواء كانت هي وجهة نظرالمحاور، أو وجهة نظر من يحاوره، أو وجهة نظر أخرى.

وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى الأخذ بهذه القاعدة، إذ علّم الرسول- صلى الله عليه وسلم- والمسلمين أن يقولوا في حوارهم ((وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)) [460].

وفي هذا غاية التخلي عن التعصب لأمر سابق، وفيه كمال إعلان الرغبة بنشدان الحقيقة أنّى كانت. ولما كان موضوع المناظرة الذي وردت هذه الآية بصدده هو توحيد الخالق أو الإشراك به، وهما أمران على طرفي نقيض، لا لقاء بينهما بحال من الأحوال، وهما يدوران حول أصل عظيم من أصول العقيدة، كان من الأمور البدهية أن الهداية في أحدهما إذ هو الحق، وأن الضلال المبين في الآخر إذ هو الباطل، ومن أجل ذلك كانت عبارة إعلان التخلي عن التعصب لأمر سابق، تتضمن الاعتراف بهذه الحقيقة [461].

فالحقّ ضالّة المؤمن ينشده حتى ولو كان على نفسه، فذلك العقل بعينه والتحرر من تبعية الهوى. أما الكبر فهو داء نفسي خطير يتهدّد الإيمان بأنه ردّ الحق وإنكاره، وعدم قبوله، فعن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول – صلى الله

([460]) سبأ: { 24 }.

([461]) الميداني، **ضوابط المعرفة**، ص(363، 364)، بتصرف، (مرجع سابق).

عليه وسلم-: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر" فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، قال: " إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق[462]، وغمط الناس [463] " [464].

والحق يقال: إن التسليم بالخطأ صعب على المحاور الذي لم يعتد عليه، وبخاصة إذا أخطأ أمام الناس، فإنه يشعر بالحرج من خطئه، والتسليم بالخطأ يحتاج إلى شجاعة أدبية وقوة نفسية، ولكن المحاور متى اعتاده وجد له حلاوة تقارب حلاوة الفوز والنصر [465].

لقد مدح الله –عزوجل – الذين لايصرّون على خطئهم بقوله: ((وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ {135} أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ {136})) [466].

كما ذمّ الله – عزوجل – الذين يصرّون على خطئهم وعصيانهم فقال: ((وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ {7} يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ {8}))[467]. إن التسليم بالخطأ – على عكس ما يظن المخطىء أول وهلة – يكسب صاحبه احترام الناس وتقديرهم، على عكس الإصرار على الخطأ الذي يفقده احترام الناس له، كما يفقده احترامه لنفسه [468]. إن التعصّب آفة كثير من الناس، بل هو بلاء عمّ وطمّ، بلاء متجدّد عبر العصور والدهور، يلبس أثواباً متعددة متلونة، ولكنه في النهاية شيء

([462]) بطر الحق: التكبر عنه والتعالي عليه. ابن الأثير، **النهاية**، ج1، ص(135)، (مرجع سابق).

([463]) غمط الناس: الاستهانة بهم واحتقارهم. **المرجع السابق**، ج3، ص(387).

([464]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب الإيمان**، باب: تحريم الكبر وبيانه، رقم الحديث(147)، مج1، ص(93)، (مرجع سابق).

([465]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(145، 149)، بتصرف، (مرجع سابق).

([466]) آل عمران: { 135، 136 }.

([467]) الجاثية: { 7، 8 }.

([468]) **المرجع السابق**، ص(149، 150).

واحـــد، ألا وهوالتعصب الذي يصم آذان صاحبه ويعمي بصره وبصيرته إلا من شيء واحد هو المذهب أوالطائفة ! فالمتعصب لايتبع الدليل، وإنما يتبع ما تعصب له، وإن بدا لـــه أن الحـــق خـــلاف مذهبه أو رأي جماعته، إنه خلل في الإيمان والإخلاص والتجرّد لله تبارك وتعالى.

لقد أمرنا الله- تعالى- أن نطيعه ونطيع رسوله – صلى الله عليه وسلم – ولم يأمرنا أن نطيع أونتعصب لغيرهما، فقال تعالى: ((قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ {32})) [469]. إنّ هذا الخلل في الفهم أدى بكثير من المتحاورين إلى التمسّك بآرائهم وتصوّراتهم على حساب الحق أحياناً [470]. " فالمحاور النـــاجح شخصـــية ســـوية لـــذلك فهـــو لايتعصّب لرأي، وإنما يبحث عن الحـــق ويدعو إليه ويتمسّـــك به، فإن استجاب محاوره فبهـــا ونعمت، وإلا أعلن ما وجّهنا إليه ربنا سبحانه وتعالى في قولـــه: ((وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ))[471]. فالمحاور الناجح شخص متزن لا يتعصب ولا يتعـــالى على محاوره "[472].

ومن المظاهر الدالة على التزام الموضوعية في الحوار: عدم الخروج عن الموضـــوع الذي هو محل النزاع أو الخلاف، فإن آفة كثير من الناس أنهم إذا ناقشوا غيرهم في موضـــوع معين، تعمدوا أن يسلكوا ما يسمّى في هذه الأيام بخلط الأوراق، بحيث لايدري المستمعون فـــي أي شيء هم مختلفون مع غيرهم، وتتوه الحقيقة في خضم هذه الفروع التي لا تكاد تعرف لهـــا أصلاً. إن في القـــرآن الكـــريم كثيـــراً من المحـــاورات والخـــلافات التي دارت بين الرســـل – عليهم السلام – وبين أقوامهم، وكان جواب الرسل –عليهم السلام- عـــن أســـئلة مخـــالفيهم

([469]) آل عمران: { 32 }.

([470]) الحمادي،علي، **منهجية التعامل مع الشبهات وقواعد دحضها**، دار ابن حزم، بيروت، ط1، (1420هـــ-1999م)، ص (78، 79)، بتصرف.

([471]) الكهف: { 29 }.

([472]) عبيد، منصور الرفاعي، **الحوار** "**آدابه وأهدافه**"، مركز الكتـــاب للنشـــر، مصـــر، ط1، (1424هـــــ- 2004م)، ص(30).

منتزعاً من أقوال هؤلاء المخالفين، دون أي خروج عن موضوع النزاع. فهاهو ذا نوح – عليه السلام–ردّ على قومه قائلاً: ((يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {61} أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)) [473] وأعداء الحق جادلوا النبي–صلى الله عليه وسلم – في كثير من القضايا، وساق القرآن شبهاتهم بأمانة، ثم لُقّن النبي –عليه الصلاة والسلام – الجواب الذي يقطع دابر هذه الشبهات، وكان هذا الجواب منتزعاً من واقع كلامهم، دون أي خروج عن موضوع الخلاف بينه وبينهم.

لقد حكى القرآن الكريم جانباً من هذه الشبهات وردّ عليها بما يزهقها، قال تعالى: ((وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ {28} قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ {29})) [474] وقال أيضاً: ((وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً {77} أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ)) [475] فهذه الآيات على سبيل المثال، فيها الإجابة على شبهات الضالين، وفيها الردّ الحاسم، والقول الفصل، دون خلط للأوراق، ودون خروج عن موضوع الخلاف [476]." فالتعصب هو عدم قبول الحق عند ظهور الدليل، والمحاور المسلم طالب حق لا يتعصب لشخص معين، ولا لفئة معينة، ولا لرأي معين، فإذا حاورت أو ناظرت، فلا تتعصب ودر مع الحق حيث دار" [477].

([473]) الأعراف: { 61، 62 }.

([474]) الأعراف: { 28، 29 }.

([475]) النساء: { 77، 78 }.

([476]) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(23، 25)، بتصرف، (مرجع سابق).

([477]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(62)، (مرجع سابق).

المطلب الثاني

إبراز الحقائق الثابتة في الحوار

"أوجب الإسلام على الأطراف المشاركة في الحوار توخي الصدق والتثبت من صحة ما يقال، وهي مسؤولية مشتركة بين المتحدث من جانب والمتلقّي من جانب آخر، أما مسؤولية المتحدث فهي: أن يتحرى الصدق فيما يقول، وألاّ يتحدث بما لا يملك دليلاً على صدقه، وأن يستقي معلوماته من مصادر موثوق بها. وأما مسؤولية المتلقّي فهي: ألاّ يأخذ كل ما يقال له مأخذ التسليم، وإنما يقوّمه في ضوء مجموعة من المعايير منها: شخصية المتحدث، وأخلاقه، وسيرته بين الناس، وعلمه، ومدى توافق الأفكار المطروحة مع الحقائق الثابتة والموثوق بها، ومدى قوة الحجج والبراهين التي تدعم ما يقال " [478].

قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ {6}}) [479]. وقال أيضاً: ((قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِين)) [480]. "إن أسلوب مقارعة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان من الأساليب الإقناعية القديمة، جاء استخدامها في القرآن الكريم ضد الكفار والمشركين، وعلى لسان الأنبياء –عليهم السلام–، وحينما نمعن النظر في الحوار القرآني نجد أنه بعد ثبات الاقتناع المرتكز على الحجج والبراهين، لا يجعل ذلك الاقتناع سدّاً منيعاً في وجه الخصوم، بل يعطيهم فرصة أخرى لطرح أفكارهم القائمة على حجج أخرى وأدلة جديدة " [481]. قال تعالى ((وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءاً إِلاَّ أَن

([478]) اللبودي، **الحوار " فنياته واستراتيجياته"**، ص(33)، (مرجع سابق).

([479]) الحجرات: { 6 }.

([480]) البقرة: { 111 }.

([481]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(152)، (مرجع سابق).

يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {25})) [482] وأجاب يوسف –عليه السلام –يرد عن نفسه التهمة الباطلة قائلاً: ((هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَفْسِي)) [483] "وحضر عدد من أقرباء الزوجة ورأوا قميصه ممزقاً، وهو الدليل الذي أرادت أن تتذرّع به، حيث زعمت أنها مزقته دفاعاً عن نفسها، لكن أحد أقربائها شهد بالحق، قال تعالى: ((وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ {26} وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ {27})) [484] وأقبل العزيز يتفحّص قميص يوسف – عليه السلام –.

((فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ {28})) [485].

وهكذا قيض الله ليوسف حجة ودليلاً قاطعاً على براءته " [486]. إن العقلاء دائماً عندما تتضح لهم الحجة، ويظهر لهم البرهان، ويرون الدليل الساطع على صحة المسألة، يقتنعون بذلك ويعترفون بالحق، أما السفهاء والجهلاء فإنهم يصرون على باطلهم، ويجحدون الحق عن علم به، لسوء نواياهم وضعف عقولهم وهذا ما حكاه القرآن العظيم في الحوار بين موسى – عليه السلام – وسحرة فرعون، فقد قبلوا التحدي من موسى – عليه السلام– أول الأمر ((يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى {65} قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى {66} فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى {67} قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى {68} وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى {69})) [487]. وألقى موسى – عليه السلام – عصاه، فابتلعت سحرهم وأيقن السحرة أن ما فعله موسى –عليه السلام – إنما هو معجزة وليس سحراً، وأنه

([482]) يوسف: { 25 }.

([483]) يوسف: { 26 }.

([484]) يوسف: { 26، 27 }.

([485]) يوسف: { 28 }.

([486]) النحلاوي، عبد الرحمن، **التربية بالحوار**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، (1421هـ–2000م)، ص(43).

([487]) طـه: { 65 – 69 }.

رسول من ربّ العالمين، وأن حجته هي الأعلى، فما كان منهم بعد أن اقتنعوا بالحق إلا أن قالوا بكل شجاعة وإخلاص: ((آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى))[488] وردّوا على فرعون الذي هدّدهم بأن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ((إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى {73})) [489]. "وهكذا ضرب سحرة فرعون أروع الأمثلة في الإخلاص والشجاعة والخضوع للحق بعد قيام الأدلة الساطعة على أن موسى – عليه السلام – على الحق " [490]. فلا بد من الاعتماد على الأدلة البرهانية التي تقوم على الحقائق التي تدركها العقول السليمة وتذعن لها القلوب المستعدّة للاعتراف بالحق، وهي القلوب التي لم تطمس بصيرتها الأهواء والشهوات، ونوازغ الجحود والإنكار، وعوامل الاستعلاء والاستكبار، فعلى المحاور الناجح أن يبحث عن الأدلة البرهانية والحجج الصحيحة التي هي حقائق في ذاتها، ثم يستدل بها لإقناع من يدعوه إلى دين الله – عز وجل –، وعليه أن يختار منها ما يلائم مدارك من يدعوه، ومستواه العلمي وحالته النفسية. فإذا احتاج إلى تبسيط الأدلة وتيسيرها، بسّطها له ويسّرها، وتسلسل معه فيها وفق النظام العقلي الذي فطر الله عقول الناس عليه.

وإذا رأى أن لدى فكرمن يدعوه أغشية لا تسمح له برؤية الحقيقة حاول إزالتها برفق، حتى تتجلي بصيرة فكره. وإذا وجد لديه مسلّمات يراها حقائق،وهي تناقض ما يريد إقناعه به حاول برفق أن يكشف له بطلان هذه المسلّمات بالحجج الصحيحة التي يقبلها. وبعد أن يزلزل اعتقاده بمسلّماته يقدّم له الأدلة الدامغة التي تنتهي مراحلها بإثبات القضية التي يريد أن يدعوه إليها فلا يجوز للمحاورأن يحتج بأدلة خرافيةأو واهية لإثبات القضية التي يدعوإليها [491].

([488]) طـه: { 70 }.

([489]) طـه: { 73 }.

([490]) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(27)، (مرجع سابق).

([491]) الميداني، **فقه الدعوة إلى** الله، ج1، ص(303)، بتصرف، (مرجع سابق).

" لقد حاربت شريعة الإسلام الإشاعات الكاذبة التي ينشرها المتحاورون مع غيرهم عن سوء نية، بوسائل متعددة وأساليب مختلفة. حاربتها بتغليب حسن الظن على سوء الظن، قال تعالى: ((لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ {12})) [492]. حاربتها عن طريق ردّ الأمور إلى مصادرها الأصلية، وسؤال أهل الذكر عما يخفى فهمه، امتثالاً لقوله سبحانه: ((وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ {7})) [493]، وقوله سبحانه: ((وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً {83})) [494].

حاربتها بالمنطق السليم، وبالحجة القاطعة، وبالدليل العملي الناصع، فعندما أشاع المنافقون في غزوة أحد، أن الذين قتلوا في هذه الغزوة لو أنهم بقوا في بيوتهم لما قتلوا، ردّ القرآن الكريم عليهم بما يخرس ألسنتهم: ((قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ))[495]. إن الحوار الذي يقوم على الحقائق الثابتة والمعلومات الصادقة والأخبار الصحيحة يباركه الله – عز وجل –، ويثيب أصحابه ببركة تعاونهم على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان" (5). أما الحوار الذي يبنى على الإشاعات والأراجيف الباطلة، فإن نتيجته الخيبة والخسران، لأن سنة الله اقتضت أنه لا يصح في النهاية إلا الصحيح." لذا يجمل بالمناقش أن يعزو الأفكار إلى مصادرها، وأن يستعينبذكر الإحصائيات التي تخدم رأيه، والمراجع التي اعتمد عليها، فسوق الحقائق المجرّدة أقل تأثيراً في النفوس من سوقها مدعمة بالشواهد المعتمدة

([492]) النور: { 12 }.

([493]) الأنبياء: { 7 }.

([494]) النساء: { 83 }.

([495]) آل عمران: { 154 }.

(5) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(52، 53)، (مرجع سابق).

سواء من الكتاب والسنة، وأقوال العلماء إذا كانت مما لـــه صـــلة بهـــا، أم مـــن أقـــوال أهـــل الاختصاص المعتمدين الموثوقين، كالنقل عن أساطين الطب في مسائل الطب، أو تدعيم الكـــلام بذكر مرجعه من أمهات الكتب.

ويحسن بالمحاور أن يترك النقول الضعيفة، والحجج الواهية، فدليلان قويـــان لا يمكـــن الرد عليهما أفضل من سوقهما مع ثلاثة أدلة أخرى يمكن الأخذ والرد فيها، إذ ربمـــا يســـتغلها الطرف الآخر لإضعاف الفكرة. إن خير وسيلة لكسب الطرف المقابل ألاّ تقرره بالحقيقة ابتداء، بل عرضها عليه، ثم الاستدلال لها، تجدالمحاور الآخر في النهاية يقرّ بها من تلقاء نفسه " [496].

([496]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(157، 158)، (مرجع سابق).

المبحث الثالث

الرفق واللين في الحوار

تمهيد:

"إن إظهار الحق وإيصاله للآخرين وإقناعهم به ودحض شبهاتهم وأباطيلهم يحتاج إلى معرفة طبيعة النفس البشرية، وما يصلح لها وما يسوؤها. ومن أهم سمات النفوس أنها تميل إلى اللين والملاطفة والتعامل بالحسنى، وتنفر من الشدة والإذلال والإفحام، إذ إن لها كبرياء، فمن أكرمها فأنه يستطيع أن يقودها وأن يسيّرها كيفما شاء، ومن خدش كبرياءها، فلن يظفر منها بطاعة ولا تصديق ولا انقياد، ولا يلومنّ بعد ذلك إلا نفسه !

لذا فمن أراد أن يمسح الشبهات من عقول الناس، أو أراد أن يدحضها، فعليه أن يلج إلى ذلك بالحسنى، وأن يتجنّب العنف والشدة والتحدي" [497].

ولا شك أن القلوب تميل إلى من يلين ويرفق بها، وتنفر الطبائع البشرية من الفظّ الغليظ حتى لو كان خير الناس! كما قال الله –عزوجل –: ((وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ))[498]. والمحاور الناجح في أمسّ الحاجة إلى التفاف الناس حوله، وتحلّيه بالرفق واللين يساعد في تحقيق ذلك. إلى جانب ذلك، فقد ينشأ عند كثير من الناس نفور تجاه المحاور بسبب دعوته، وذلك إذا خالف رغبات كثير منهم أوعارض شهواتهم، لكنّ اتصافه بالرفق يساهم – بعون الله تعالى – في إزالة أو تقليل هذا النفور.

هذا وقد جاء في القرآن الكريم والسنة المطهّرة ما يبين ضرورة تحلّي المحاور الداعية بالرفق، وقدّم إمام الدعاة محمد – صلى الله عليه وسلم – نموذجاً مثالياً لاستخدام الرفق في الحوار، وأكّد كثير من علماء الأمة على ضرورة اتصاف المحاور بالرفق واللين [499].

([497]) الحمادي، **منهجية التعامل مع الشبهات**، ج2، ص(14)، (مرجع سابق).

(498) آل عمران: { 159 }.

(499) إلهي، فضل، **من صفات الداعية "اللين والرفق"**، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، (1411هـ – 1991م)، ص(3)، بتصرف.

المطلب الأول

أهمية الجدال بالتي هي أحسن في المحاورة

أمر الله – عزوجل – نبيّه – عليه الصلاة والسلام – أن يجادل الآخرين بالتي هي أحسن حيث قال: ((ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) [500]. والمجادلة بالتي هي أحسن: "هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف" [501].

ويقول جلّ ذكره مخاطباً موسى وهارون –عليهما السلام– ((اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى {43} فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى {44}))[502]، " فإذا كان موسى وهارون –عليهما السلام – أمرا بأن يقولا لفرعون قولاً ليّناً، فمن دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه، وأمره بالمعروف في كلامه " [503]، " وفي تليين القول ما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة " [504]، فهذا محمد –صلى الله عليه وسلم– أمره ربه أن يجادل المعاندين بالحسنى، مع أنهم أساؤوا إليه وكذبوه وآذوه !

إن المحاور المنصف يناقش باللطف والأناة والهدوء، ومن الأشياء التي تفتح مغاليق النفوس، ألاّ تسفّه آراء محاورك، وأن تظهر له الاحترام ولو كان على غير رأيك [505].

قال تعالى: ((وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ))[506]. فعلى المسلم أن لا يسلك مع خصومه، مسالك الشتم أو الطعن أو الفحش.

([500]) النحل: { 125 }.
([501]) الزمخشري، **الكشاف**، ج2، ص(435)، (مرجع سابق).
([502]) طه: { 43، 44 }.
([503]) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج11، ص(200)، (مرجع سابق).
([504]) أبو السعود، **تفسير أبي السعود**، ج3، ص(362)، (مرجع سابق).
([505]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(72)، بتصرف، (مرجع سابق).
([506]) الأنعام: { 108 }.

والمحاور الناجح هو الذي يتمثّل قوله تعالى: ((وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً)) [507] "وفي هذا حث على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله ليناً، ووجهه منبسطاً طلقاً مع البر والفاجروالسنّيّ والمبتدع من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم بكلام يظن أنه يرضي مذهبه" [508]. "فالمحاور مطالب أن يشعر من يدعوه بأنه لا يتعالى عليه أو يتميز دونه، بل هو حريص عليه يتمنى له كل الخير، لأن حرص المحاور مفتاح من مفاتيح القلوب التي يفتح الله بها قلب من يحب من عباده، ولنا في رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الأسوة الحسنة فقد كان ينفطر على حال المشركين بعد محاورتهم" [509]: ((فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً {6})) [510]، ومن مظاهر الرفق واللين في الحوار عدم مقابلة الخطأ والزلل بمثله قال تعالى: ((وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ {34})) [511]. "فالواجب على المحاور العاقل: توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة، إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان، ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشدّ من الاستعمال بمثلها " [512]، فالإسلام يعتبر الكلمة الطيبة صدقة كما في الحديث الشريف الذي يرويه أبو هريرة – رضي الله عنه: "الكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة"[513]، "فالقول الحسن محمود على كل حال،في الرضا والغضب، ومع

([507]) البقرة: { 83 }.

([508]) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج2، ص(86)، (مرجع سابق).

([509]) عبد العزيز، جمعة أمين، **الدعوة (قواعد وأصول)**، دار الدعوة للطباعة، الإسكندرية، ط2، (1409هـ – 1989م)، ص(133).

([510]) الكهف: { 6 }.

([511]) فصلت: { 34 }.

([512]) ابن حبّان، أبو حاتم محمد بن معاذ، **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، (1379هـ –1977م)، ص(166).

([513]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب الزكاة**، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم الحديث (1009) ج2، ص(699)، (مرجع سابق).

العالم والجاهل، ومع المسلم وغير المسلم، ومع التقي والفاجر، ومع الصغير والكبير على حدّ سواء " [514].

وأكّد الرسول –صلى الله عليه وسلم– على أهمية تحلّي المسلم بالرفق، فعن عائشة – رضي الله عنها – قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع عن شيء إلا شانه " [515]. وفي هذا حث على الابتعاد عن التحدي في الحوار والجدال والمناقشة، ولو كان بالحجة الدامغة والدليل المبين، لأن التحدي يجعل صاحبه مبغوضاً للآخرين، فكسب القلوب أهم من كسب المواقف، ثم إن المحاور قد يفحم الخصم، ويعجزه عن الجواب، ولكنه لا يقنعه، لأنه أحرجه، فيرفض التسليم بعاطفته وإن كان مقتنعاً بعقله. أما إذا كان المحاور ليّناً ولطيفاً فإنه سيقنع خصمه إن عاجلاً أو آجلاً، فإذا انتهى مما يريد قوله، وأدلى بدلوه، فإن الطرف الآخر سيقتنع برأيه. فالهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق، وليس إفحام الآخرين وإسكاتهم، لأن ذلك قد يسكن الخصم أو الطرف الآخر،ولكنه لا يقوده إلى الهداية، فضلاً عما يتركه الإفحام –إذا كان أمام الآخرين– في نفسه من حقد وغيظ. فالداعية الحكيم يحاول استلال ما في قلوب الآخرين من غيظ، وأن يقودهم إلى الهداية [516]. وعلى المتحاورين أن يحرصا على تجنّب الألفاظ المستحدثة التي تحتمل حقاً وباطلاً وخطأوصواباً. وعليهما أن يحرصا على استعمال الألفاظ الشرعية المستعملة في القرآن والسنة وعند علماء المسلمين، لأن هذه الألفاظ تكون محدّدة المعنى واضحة المفهوم خالية من أي معنى باطل. قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا[517] وَقُولُواْ انظُرْنَا[518] وَاسْمَعُواْ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ {104})) [519]. ففي كلمة (راعنا) في لسان اليهود معنى باطل كانوا يقصدونه عند مخاطبتهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فأمر الله

([514]) ديماس، **فنون الحوار**، ص(88)، (مرجع سابق).

([515]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب**، باب فضل الرفق، رقم الحديث(2594)، ج4، ص(2004)، (مرجع سابق).

([516]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(73)، بتصرف، (مرجع سابق).

(517) راعنا: استمع منا، حرّف اليهود هذه اللفظة، وقالوا: يا محمد راعنا، وهم يلحدون إلى الرعونة يريدون بها النقيضة والوقيعة.

(518) انظرنا: تمهل كي نفهم ونستوعب جميع الكلام.

* مغنية، محمد جواد، **التفسير الكاشف**، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، (1981م)، مج1، ص(166).

([519]) البقرة: { 104 }.

المسلـــمين أن يتركوهـــا وأن يستعملوا كلمة (انظرنا) بدلاً منها، فإذا اضطر المحاور إلى بعض الألفاظ المستحدثة فعليه أن يبين مقصوده منها، حتى لا تثير الكراهية والحقد بـــين المتحـــاورين.[520]

([520]) زيدان، عبد الكريم، **أصول الدعوة**، مؤسسة الرسالة، ط2، (1407هـــ - 1987م)، ص(471،472)، بتصرف.

المطلب الثاني

الرفق في حوار الأنبياء – عليهم السلام – مع أقوامهم

إنّ الرفق سمة واضحة في دعوة الأنبياء –عليهم السلام– لأقوامهم، فما من نبي بعث إلا ودعا قومه وحاورهم بالتي هي أحسن، فهاهو ذا شعيب –عليه السلام–يحاور قومه بكل رفق قائلاً ((يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)) [521]، فهذا تلطف منه في العبارة ودعوة لهم إلى الحق بأبين إشارة. يقول لهم: أرأيتم أيها المكذبون "إن كنت على بينة من ربي "ورزقني النبوة والرسالة، وعمّي عليكم معرفتها، فأي حيلة لي فيكم ؟ ولست آمركم بالأمر إلا وأنا أول فاعل له، وإذا نهيتكم عن الشيء فأنا أول من يتركه [522]. "فهو يتلطّف معهم ليشعرهم أنه على بينة من ربه، وأنه على ثقة مما يقول لهم، وأنه يدعوهم إلى الأمانة في المعاملة،سيتأثر مثلهم بنتائجها،لأنه ذو مال وعلاقات تجارية،فهو لا يبغي كسباً شخصياً من وراء دعوته لهم، فلن ينهاهم عن شيء ثم يفعله لينفرد بالكسب وحده ! إنما هي دعوة الإصلاح للناس أجمعين بكل حكمة وروية ولين" [523].

"وهاهو يوسف –عليه السلام– لم يغفل عن الدعوة لدينه مع أنه في السجن، بل استغل الموقف، وأخذ يشرح في تلطف ولين ورفق دعوته مستغلاً الموقف أحسن استغلال، مدركاً لطبيعة البيئة ومداخل النفوس فيها، وبيّن العلاقة بينه وبين صاحبي السجن وأنه لا يريد إلا مصلحتهما، بعد أن علما سيرته ومبلغ علمه" [524].

([521]) هود: { 88 }.

([522]) ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص(246، 247)، بتصرف، (مرجع سابق).

([523]) النحلاوي، **التربية بالحوار**، ص(66)، (مرجع سابق).

([524]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(91)، (مرجع سابق).

قـــال تعـــالى ((يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ {39} مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ {40})) [525].

"لقد رسم يوسف –عليه السلام– بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة كل معـــالم هـــذا الدين وكل مقومات هذه العقيدة، كما هزّ بها كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزّاً شـــديداً عنيفاً ((يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ {39}))[526]، إنـــه يتخذ منهما صاحـــبين ويتحبب إليهما بهذه الصفة المؤنســـة ليدخل من هذا المدخل إلى صـــلب الدعـــوة وحسم العقـــيدة " [527]. ومن صـــور الرفـــق في حـــوار الأنبياء –عليـــهم الســـلام– لأقوامهم تلك التوجيهـــات الســـديدة التي يلقنها القـــرآن الكـــريم للنبي–صلى الله عليه وســـلم– آمراً إياه أن يقولها لقومـــه بكل تواضع وشجـــاعة وحكمـــة فيقول: ((فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ {15})) [528]. ويضيف أيضاً ((قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {24} قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ {25} قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ {26}))[529].

"إن الحوار أو الجدال الذي يدور بين الناس، إذا كان يقوم على التواضع ولين الجانـــب، وعلـــى الأسلوب المهذّب الخالي من كل مالايليق، كانت نتائجه طيبـــة وآثاره حميدة، لأنه يوصل إلـــى الحقيقة المرجوة، وإلى الاتفاق ولو على معظم المسائل التي دار من أجلها الحوار. أما الحوار أو

([525]) يوسف: { 39، 40 }.

([526]) يوسف: { 39 }.

([527]) **المرجع السابق**، ص (93).

([528]) الشورى: { 15 }.

([529]) سبأ: { 24-26}.

الجدال الذي يكون مبعثه الغـــرور والتعالي والتباهي بالأقوال، فمن المستبعد أن يـــأتي بنتيجـــة توصل إلى الحقيقة أو إلى اتفـــاق على ما ينفع، وإنما المتوقع من هـــذا الحـــوار الـــذي ســـداه الغرور، أن تتولد عنه الآثام والشرور" [530]. وهكذا نتيقن أن الرفق يزين الحـــوار ويقوده إلـــى نتائج طيبة وثمـــار ناضجة، أسوتنا في ذلك الرسل الكرام –عليهم الصلاة والسلام–.

([530]) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(30)، (مرجع سابق).

المطلب الثالث

المداراة في الحوار

"المداراة خلق من أخـــلاق النبوة، يُحكِمها الأذكياء، ولا يتعدّى حدودها الفضلاء، وهـــي ترجع إلى حسن اللقاء، وطيب الكلام والتودّد للناس وتجنّب ما يشير بسخَط مـــن غيـــر ثـــلْم للدين"[531]. فعن عائشة–رضي الله عنها– أنه استأذن على النبي– صلى الله عليه وسلم– رجـــل فقال: "ائذنوا له، بئس أخو العشيرة" فلما جلس تطلّق له النبي– صلى الله عليـــه وســـلم – فـــي وجهه، وانبسط إليه، فقلت: " يارسول الله، قلـــت ما قلت، ثم ألنـــت لـــه القـــول ؟! " فقـــال: " ياعائشة، إن شرّ الناس منزلة عند الله من تركه–أو ودعه– الناس اتقاء فحشه " [532].

"فالواجب على العاقل أن يداري الناس مداراة الرجل السابح في المـــاء الجـــــاري،ومن ذهب إلى عشرة الناس من حيث هو كدّر على نفسه عيشه، ولم تصف لـــه مـــــودّته، لأن وداد الناس لا يستجلب إلا بمساعدتهم على ماهم عليه إلا أن يكون مأثماً، فإذا كانت حالة معصية فلا سمع ولا طاعة، والبشر قد ركّب فيهم أهواء مختلفة وطبائع متباينة، فكما يشقّ عليك تـــرك مـــا جبلت عليه، فكذلك يشق على غيرك مجانبة مثله، فليس إلى صفو ودادهم سبيل، إلا بمعاشـــرتهم من حيث هم، والإغضاء عن مخالفتهم في الأوقات. ومن التمس رضا جميع الناس، التمس مـــا لايدرك، ولكن يقصد العاقل رضا من لايجد من معاشرته بداً، وإن دفعه الوقت إلـــى استحســـان أشياء من العـــادات كان يستقبحها، واستقباح أشياء كان يستحسنها، ما لم يكن مأثماً، فـــإن ذلـــك من المداراة، وما أكثر من دارى فلم يسلم، فكيف توجد السلامة لمن لا يـــداري " [533]." ومـــن المداراة إذا حدّث محاورك بكلام غـــريب ألا تبادر إلى تكذيبه، وتفنيد قوله، فهـــذا الصـــنيع لا

([531]) الحاشدي، **فن الحوار**، ص(233)، (مرجع سابق).

([532]) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب**، باب: مداراة من يتقـــى فحشـــه، رقـــم الحـــديث (2591)، ج4، ص(2002)، (مرجع سابق).

([533]) ابن حبان، **روضة العقلاء**، ص(70،71)، (مرجع سابق).

يحسن أبداً، وليس من صفات أكابر الرجال، لأن هؤلاء يتغاضون عن خطأ محاورهم ويتعامون عن زلته، وإذا كان الخطأ كبيراً، فإنهم يبيّنون له الخطأ، ويرشدونه إلى الصواب بأجمل عبارة وألطف إشارة " [534].

وعلى المحاور في هذا المقام أن يميز بين المداراة والمداهنة في مخاطبة الناس، وفي ذكر محامدهم، وإظهار فضائلهم، فلا يظن ظانّ أن الرفق واللين والمداراة في الحوار تعني المداهنة حيث يلقى الفاسق المعلن بفسقه فلا ينكر عليه ولو بقلبه، فالمداهنة في الحوار محرّمة، وهي ما رغب مشركو قريش في وجودها عند النبي –صلى الله عليه وسلم– قال جلّ ثناؤه في معرض ذم أولئك: ((وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ {9})) [535] وبيّن الرسول –صلى الله عليه وسلم– سوء عاقبة المداهن، فقد قال النعمان بن بشير –رضي الله عنه – قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " مثل المدهن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة، فصار بعضهم في أسفلها، وصار بعضهم في أعلاها. فكان الذين في أسفلها يمرّون بالماء على الذين في أعلاها، فتأذّوا به، فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه، فقالوا: مالك ؟ قال: تأذيتم بي ولا بدّ لي من الماء. فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجّوا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم" [536]، فالمقصود من اتصاف المحاور باللين والرفق أن تكون دعوته خالية من العنف والخشونة والشدة والقسوة، بعبارة أخرى أن تكون عنده مداراة [537]. وهذا ما يظهر في قوله تعالى لموسى وهارون –عليهما السلام–عند دعوة فرعون "فقولا له قولاً ليناً" [538] بأن يداريا ويرفقا به [539]. "ومن هنا يظهر الفرق جلياً

([534]) الحاشدي، **فن الحوار**، ص(234)، (مرجع سابق).

([535]) القلم: { 9 }.

([536]) البخاري، **صحيح البخاري، كتاب الشهادات**، باب: القرعة في المشكلات، رقم الحديث (2686)، ج3، ص(237)، (مرجع سابق).

([537]) إلهي، **اللين والرفق**، ص(8، 9)، بتصرف، (مرجع سابق).

([538]) طه: { 44 }.

([539]) البغوي، **تفسير البغوي**، ج3، ص(219)، (مرجع سابق).

بين المداراة والمداهنة: فالمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكارعليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألّفه، ونحو ذلك. والمداهنة من الدهان: وهو الذي يظهر على الشيء، ويستر باطنه، وفسّرها العلماء بأنها "معاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه"[540].

وصفوة القول: يجوز للمحاور أن يستعمل في كلماته وخطاباته ما يثير رغبة محدّثه، ويشدّه إلى تقبل الحق، ويدفعه إلى الالتزام به. وذلك بنداءات ليّنة، ومخاطبات تشويقية لها إيحاءاتها المؤثرة على المشاعر، وآثارها المباركة على القلوب. على أن يلتزم المحاور حدود الاعتدال والاتزان في كل ما يطرحه من نداءات واستعطافات، بلا مبالغة ولا شطط ولا مداهنة، إلا ما أباح له الشرع في إطار التقية والمداراة ما استطاع أن يأسر قلب خصمه، وأن يصل إلى ما يريد من إصلاح نفسه وتغذية فكره.

فالواجب على المحاور الناجح أن يحرص عند محاورته مع الآخرين أن يكون المثل الأعلى في الملاطفة والمجاملة ليصل إلى النتيجة المرجوة التي يريد الوصول إليها[541].

([540]) العسقلاني، **فتح الباري**، ج10، ص(528)، (مرجع سابق).

([541]) ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، ص(137، 138)، بتصرف، (مرجع سابق).

الفصل الرابع

الحوار الحضاري من منظور قرآني

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: حوار الحضارات في ضوء قوله تعالى " وجعلناكم شعوباً..".

المبحث الثاني: منطلقات حوار الحضارات.

المبحث الثالث: أهداف حوار الحضارات.

المبحث الرابع: حوار الحضارات بين التفاعل الحضاري والخصوصية الحضارية.

الحوار الحضاري من منظور قرآني

تمهيد:

الحضارة في اللغة: من الفعل الثلاثي "حضر" بمعنى أتى، والحِضارة الإقامة في الحضر، وكان الأصمعي يقول: الحَضارة بالفتح [542]. والحضَر خلاف البدو[543].

والحضارة عند ابن خلدون: "هي التفنن في الترف واستجادة أحواله والكَلَف بالصنائع التي تؤنّق من سائر فنونه وأصنافه، ومن الصنائع المهيئة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفُرش أو الآنية ولسائر أحوال المنزل... وإذا بلغ التأنق في هذه الأحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات، فتتلوّن النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا تستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها " [544]. وتعرّف الحضارة بأنها:" كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه،عقلاً وخلقاً،ومادة وروحاً،دنيا ودیناً. فهي قصة الإنسان في كل ما أنجزه على اختلاف العصور وتقلب الأزمان. فهي بهذا المعنى أعم من الثقافة التي تطلق على الجانب الروحي أو الفكري من الحضارة، بينما تشمل الحضارة الجانبين الروحي والمادي"[545]. "فهي في إطلاقها وعمومها – قصة الإنسان في كل ما أنجزه على اختلاف العصور وتقلب الأزمان، وهي – في تخصيصها بجماعة من الناس أو أمة من الأمم – تراث هذه الأمة أو الجماعة على وجه الخصوص، الذي يميزها عن غيرها من الجماعات والأمم " [546]. ونقصد بالحوار الحضاري: "طبيعة العلاقة بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات الأخرى بعامة والحضارة الغربية الحديثة بخاصة حواراً وصراعاً " [547].

([542]) الجوهري، **الصحاح**، ج2، ص(632)، مادة (حضر)، (مرجع سابق).
([543]) ابن منظور، **لسان العرب**، ج4، ص(197)، مادة (حضر)، (مرجع سابق).
([544]) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة العلامة ابن خلدون**، دار الفكر، ص(372)، (د. ت).
([545]) حسين، محمد محمد، **الإسلام والحضارة الغربية**، ص(6)، (د. ن)، (د.ت).
([546]) الكروي، إبراهيم سلمان، **المرجع في الحضارة العربية الإسلامية**، مركز الإسكندرية للكتاب، (1999م)، ص(13).
([547]) الإبراهيم، موسى إبراهيم، **حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل**، دار الإعلام، عمان، ط1، (1423هـ – 2003م)، ص(210).

"وقد تحدّث القرآن الكريم عن حضارات قامت وأفلت، وبيّن ما لها وما عليها، ومعلـوم أن الإسلام لايبخس الحضـارات حقها فيما أنجزت من عمران وتشييد وبناء، ولكنه يؤكد على أن الجـانب القيمي والأخلاقي هو الذي يحفظ إنسان الحضارات ويجعل عنده المناعة والرشـد الذي يقيه التدهور" [548].

فالميزان الذي يزن به الإسلام الحضارات هو مدى قربها أو بعدها من عقيدة التوحيـد، ومن قوانين الحق والفطرة، والتزامها بقيم العدل والقسط، وحضها على محاسن الأخلاق وجميل العـادات والآداب، وبعدها عن جرائم الظلم والتسلّط والكبر، ويـرى الإسـلام أن الأسـرة البشرية لحمة واحدة تجمعها آصرة مشـتركة، وأن التعـدد والتنـوع بـين الأمـم والقبائـل والشـعوب غايته التعارف والتعاون لا التنابذ والتخاصم، قال تعـالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً {1})) [549] ويأمر الله تعالى بالتعاون والتآزر بين الناس فيقول: ((وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)) [550].

فالقرآن الكريم يضع البشرية كلها في إطار من التفاهم والدعوة إلى المثل العليا والقـيم الكريمة التي تجمع بين بني الإنسان على كلمة سواء كثيرة ومتعددة [551]. " فالحوار قيمة من قيم الحضارة الإسلامية المستندة أساساً إلى مبادىء الدين الحنيف وتعاليمه السمحاء، وهـو موقـف فكري وحالة وجدانية، وهو تعبير عن أبرز سمات الشخصـية الإسـلامية السوية، وهي سـمة

(548) العسّال، أحمد محمد، **مفاهيم أساسية في فقـه الدعوة والتجديد**، تحقيق: عبد الحميد قطب، دار التوزيع والنشـر الإسـلامية، ط1، (1418هـ - 1997م)، ص(125).

([549]) { النساء: 1 }.

([550]) { المائدة: 2 }.

([551]) **المرجع السابق**، ص(126، 127)، بتصرف.

التسا مح، لا بمعنى التخاذل والضغف بوازع الهـزيمة النفسـية، ولكن بمعنـى الترفـع عـن الصغائر، والتسامي على الضغائن، والتجافي عن الهوى والباطل " [552].

[552] التويجري، عبد العزيز بن عثمان، **الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسـلامي**، مجلـة الإسـراء، فلسـطين، ع20،(1419هـ- 1998م)، ص(75).

المبحث الأول

حوار الحضارات في ضوء قوله تعالى: ((وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا))[553]

لقد حضّ القرآن العظيم على التعارف بين الناس في أي زمان أو مكان وهذا واضح في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ {13})) فالله –عز وجل–يبين أن الناس أصلهم واحد، فالذكر آدم والأنثى حواء، وجعلهم متناسبين، فبعضهم يناسب بعضاً نسباً بعيداً، وبعضهم يناسب بعضاً نسباً قريباً، ليعرف بعضهم بعضاً في قرب القرابة منه وبعده، ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)) أي: "إن أفضلكم عند الله وأشدكم اتقاء له وخشية بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه،لا أعظمكم بيتاً، ولا أكثركم عشيرة، والله عليم بظواهركم وبواطنكم، وبالأتقى منكم والأكرم، لا تخفى عليه خافية " [554].

فحينما يحمل المسلمون رسالة الإسلام الحضارية للناس جميعاً فإنما يحدوهم إلى ذلك ما غرست مبادىء الإسلام في قلوبهم من حبّ الخير للناس جميعاً، والرغبة الملحّة بأن يخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ويدفعوهم إلى معارج المجد الإنساني، ويأخذوا بأيديهم إلى القمم الحضارية الراقية، والرغبة الملحة أيضاً بأن يذوق الناس معهم ما ذاقوه من إيمان منح قلوبهم الطمأنينة والسعادة، وبأن يشاركوهم في اقتباس العلوم الدينية، والمعارف الأخلاقية، وطرق تنظيم الحياة، ليطّبقوها فيسعدوا بها، وبأن يسيروا معهم متعاونين متآزرين لتحقيق أكبر قدر ممكن من التقدّم الحضاري الذي حضّهم الإسلام عليه في مختلف المجالات الإنسانية، والفكرية، والنفسية، والسلوكية، والمادية. فالأخوة التي أعلنها الإسلام بين الناس تستدعي أن يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه، فالحضارة التي أقامها الإسلام تجعل المسلم

([553]) { الحجرات: 13 }.

([554]) القاسمي، **محاسن التأويل**، ج15، ص(135)، (مرجع سابق).

يحاور أصحاب الحضـــارات الأخرى ويتدرج معهم من الدعوة الهادئة، إلى الموعظة الحســـنة، ثم إلى المجادلة بالتي هي أحسن [555].

فالتعارف المذكور في الآية الكريمة يتسع ليشمل التعايش في كـــل ضـــروب العمـــل الإنساني المشترك لما فيه الخـــير والمنفعـــة لبني البشر، وهو هـــدف ســـام مـــن أهـــداف الحـــوار البنّاء. فالحوار الحضاري الذي يريده الإسلام هو الحـــوار المحـــقق للتفاعـــل بـــين الثقافات والحضارات، وهو التعـــارف بالمعنى القرآني السامي، الذي هو الأصل فـــي تعامـــل الأمـــم والشعوب بعضها مع بعض، وفي تعاونها على الخير والعـــدل والحـــق والأمـــن والســـلام. فهذا الضرب من الحـــوار بين الثقافات والحضارات هو الأمـــل المنشـــود، وهـــو الدواء الشافي من الأمـــراض الثقافية والفكـــرية التي تخـــلق الاضطرابات الاجتماعية، وهـــو رســـالة التفاعل الحضاري في عالم سريع التغير مقبل علـــى آفـــاق جديـــدة، ســـيكون علـــى الحضـــارات فيه أن تتقـــارب وأن تتبادل الآراء والأفكار[556]. وبخاصـــة أن الاخـــتلاف بـــين الناس ســـنة من سنن الله – عزوجل – في الكون ((وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ {118} إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ))[557]. "فعلـــى أصـــحاب الحضارات المختلفة أن يحرصوا على الوصول إلى كلمة سواء في مواجهة الطغيان" [558]. قال تعـــالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ))[559]. وبهذا الإعلان عملت الحضـــارة الإســـلامية على نقل المجمـــوعات البشرية والحضـــارات الإنسانـــية من الـــدوائر الضـــيّقة

([555]) الميداني، عبد الرحمـــن حســـن حبنكـــة، **الحضـــارة الإســـلامية (أســـسـها ووسائلها)**، دار القلـــم، دمشـــق، ط1، (1418هـــ – 1998م)، ص(134، 135)، بتصرف.

([556]) التويجري، **الحـــوار والتفـــاعل الحضـــاري**، ص(85)، بتصرف، (مرجع سابق).

([557]) { هود: 118، 119}.

([558]) الدجاني، أحمد صدقي، **آفاق التعاون بين العالم الإسلامي والمجتمعـــات لأخـــرى واستشـــرافها بـــالحوار**، مجلـــة الإســـلام اليوم، قطر، ع12، (1415هـــ – 1994م)، ص(39).

([559]) { آل عمران: 64 }.

العنصرية والقومية والإقليمية إلى أجواء فسيحة مملوءة بالتآخي والتواد والتراحم والتسامح في الحق والتعاون على البر والتقوى، والأخذ على يد الظالم مهما دنت درجة قرابته،أو عظمت مودّته وصداقته،والتعاون على نصرة المظلوم مهما بعدت درجة قرابته أو اشتدت كراهيته وعداوته. وبهذا رسّخ القرآن الكريم الحوار بين الحضارات وفتح الآفاق بين الثقافات لما فيه خير البشرية [560].

مرتكزات تعارف الحضارات:

من خلال دراسة الآية الكريمة الواردة في سورة الحجرات وتحليلها نستنتج عدة مرتكزات أساسية لتعارف الحضارات، منها على سبيل المثال:

أولاً: إن القرآن الكريم خطاب إلى الناس كافة من غير أن يتحيز إلى أمة بعينها، ولا أن يفضّل أمة على أمة أخرى بسبب القوم أو العرق أو اللغة أو غيرها، وإنما التقوى هي مقياس التفاضل، كما أن هذا الخطاب لم يأت للناس في زمن دون زمن آخر، ولا لمكان دون آخر.

ثانياً: وحدة الأصل الإنساني ((إنا خلقناكم من ذكر وأنثى)) وأن الإنسانية بكل تنوعاتها العرقية والقومية والدينية والمذهبية، وبكل مستوياتها في المعايير الاجتماعية والعلمية والاقتصادية إنما ترجع إلى أصل واحد. والقرآن الكريم يريد للناس أن يعوا هذه الحقيقة في تعاملهم ونظرتهم لبعضهم البعض.

ثالثاً: إن القرآن العظيم يريد للناس أن ينظروا لأنفسهم على أنهم أسرة واحدة على هذه الأرض، مهما اختلفوا في اللون واللسان، ومهما تباعدوا في الأوطان، مع كل ما بينهم من فوارق واختلافات، إلا أنهم ينبغي أن يتعاملوا فيما بينهم بمنطق الأسرة الواحدة التي ترجع في

([560]) الميداني، **الحضارة الإسلامية**، ص(137)، بتصرف، (مرجع سابق).

أصلها الإنساني إلى ((إنا خلقناكم من ذكر وأنثى))، وأن يكون هذا سعيهم نحو بناء العالم على أساس الأسرة الواحدة وهذا يعني إزالة كل الأحقاد والعصبيات والعنصريات بين الناس، كما أن هذه النظرة تمثل أعمق المكونات الروحية والأخلاقية في الروابط بين الأمم والشعوب والحضارات. فمن غير تعارف بين الأمم، لن يكون هناك حوار هادف ومثمر. مع الأخذ بعين الاعتبار أن القرآن الكريم لا يلغي مبدأ التفاضل بين الشعوب والقبائل [561].

رابعاً: الاختلاف بين الناس حقيقة إنسانية يقرّها الإسلام، وهذا يشكل ميزة من ميزات الحوار الحضاري الفاعل الذي يؤتي أكله بإذن الله، فمن العبث إلغاء الاختلاف، ومن المستحيل تحويله إلى وفاق مطلق ولكن الحوار الناجح القائم على آداب وقواعد صحيحة يضيق شقة الاختلاف ولا يفسد للود قضية [562].

([561]) الميلاد، زكي، **تعارف الحضارات**، مجلة الكلمة، بيروت، مج4، ع16، (1997م)، ص(23-25)، بتصرف.

([562]) السمّاك، محمد، **مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي**، دار النفائس، بيروت، ط1، (1418هـ - 1998 م)، ص(90)، بتصرف.

المبحث الثاني

منطلقات حوار الحضارات

إنّ الحوار الحضاري السامي لابد له من ضوابط ومنطلقات حتى يؤتي ثماره، ولكي لا يقع المتحاورون في المحذورات التي قد تؤدي بالحوار إلى الفشل أو الخلل. لذا فإنه من الأهمية بمكان أن تذكر أهم ضوابط الحوار الحضاري الناجح والتي تتمثل فيما يلي:

أولاً: الإيمان الصادق والاعتزاز بالحق والتشبث به، فالحضارة الإسلامية تحرص على تربية أبنائها تربية إسلامية، وتحرص كل الحرص على تثقيف الأجيال المسلمة ثقافة إسلامية مركزة، تأمن بتعميقها الزلل والانحراف عن جادة الحق، ولكنها تحث أفرادها على الحوار مع الحضارات الأخرى، فبعد أن يحصل الاطمئنان إلى تركيز الثقافة الإسلامية فإن الدولة المسلمة مستعدة إلى فتح أبوابها لمختلف الثقافات والحضارات، ولكن ينبغي أن يلاحظ في إعطاء هذه الثقافات أن تكون نتائجها متفقة مع وجهة نظر الإسلام، فإذا تناقضت مع نص قطعي الدلالة وقطعي الثبوت فإنها مرفوضة، فمثلاً نظرية داروين في أصل الإنسان لا تقبل لأنها تتعارض مع القرآن العظيم، وبهذا نستطيع أن نجعل الثقافة الإسلامية تؤثر في غيرها[563]. مصداقاً لقوله تعالى: ((وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ))[564]. وقوله: ((وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {139}))[565]." فاستشعار العزة والاستعلاء بها، يحفزان إلى الثبات في مواقف الحق، وعدم الركون إلى الباطل أو الانهزام أمام سطوته، يقوّيان في النفس إرادة البقاء الحر

([563]) الحسن، محمد علي، **العلاقات الدولية في القرآن الكريم والسنة**، مكتبة النهضة الإسلامية، عمان، ط1، (1400هـ - 1980م)، ص(296)، بتصرف.

([564]) { المنافقون: 8 }.

([565]) { آل عمران: 139 }.

الكريم، حيث إن المؤمن دائماً عزيز النفس قوي الجانب، لايقبل الهوان والانكسار والذلة والصغار" [566].

ثانياً: تحديد المصطلحات بدقة، فلا بدّ للحوار الحضاري الذي يرجى منه تحقيق أهدافه من مصطلحات واضحة ومسلّمة بين المتحاورين ليكون الحوار منصبّاً على أمور محدّدة ومتفق عليها، وهذا من أهم خطوات البحث العلمي والحوار الحضاري، وكم من أناس يتحاورون ويمضون أوقاتاً طويلة في البحث والجدل والمناظرة وكل منهم يتكلم باتجاه بعيد عن حقيقة ما يريده الآخر[567]، وينطبق عليهم قوله سبحانه ((وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً {36}))[568]. فتحرير محل النزاع يؤدّي إلى حسن الاقتناع، فالألفاظ متى حدّدت معانيها والقضايا متى وضحت معالمها، سهل الوصول إلى الاتفاق بين المختلفين، وظهر الرأي الذي تؤيده الحجة القويمة، وتطمئن إلى صحته العقول السليمة. إنّ الحضارة الإسلامية منفتحة الحدود تقبل التحاور مع أهل الملل والنحل، وتعطيهم حقوقهم وتمنحهم الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية، وتحافظ على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم من كل عدوان، وتقيم العلاقات بين المسلمين وغيرهم على أساس التسامح والتراحم، ومن الأدلة على ذلك أنها أمرت المسلمين بأن يقيموا علاقاتهم مع غيرهم على البر والقسط، ما داموا لم يسيئوا إليهم[569]. قال تعالى: ((لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {8} إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {9}))[570]، فهاتان الآيتان رسمتا للمسلمين – بكل صراحة

([566]) التويجري، **الحوار والتفاعل الحضاري**، ص(76)، (مرجع سابق).

([567]) الإبراهيم، **حوار الحضارات**، ص(242)، بتصرف، (مرجع سابق).

([568]) { الإسراء: 36 }.

([569]) طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، ص(53، 54)، بتصرف، (مرجع سابق).

([570]) { الممتحنة: 8، 9 }.

ووضوح – كيف يبنون علاقاتهم مع من يخالفوهم في الدين. فلكل فريق عقيدته التي اختارها لذاته، ودينه الذي ارتضاه لنفسه،فالعقائد لا إجبار فيها ((لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {256})) [571]، "فهذه القاعدة تعطي الآخر فرصة ليعمل عقله وفكره على الإيمان بالحقيقة الإلهية، حتى إذا توصل إليها كان الإيمان بالاقتناع والاختيار وليس بالفرض والإجبار" [572].

فهذا التسامح الذي دعا إليه القرآن هو الإخاء الذي جعله الإسلام دعامة حضارية، وهو إخاء يتضافر فيه العدل والرحمة من غير ضعف أو استكانة، إخاء مساواة في الحق والفضل من غير تأثر بالعاجلة من المنافع وبعد تحديد المفاهيم والمصطلحات [573].

ثالثاً: البدء بنقاط الاتفاق، فعلى المتحاورين من أهل الحضارات المختلفة أن يفتتحوا نقاشهم بالمسلمات والبدهيات، فالحديث على هذا النحو من شأنه أن يثري الحوار، ويجعل بداياته هادئة من ناحية، منطقية من ناحية أخرى، وهذا كله مؤشر إيجابي على احتمالات النجاح، ثم إن البدء بنقاط الاتفاق قد يفتح آفاقاً للتلاقي لم تكن واردة بالحسبان، وهذا يقلّل الفجوة، ويوثّق الصلة ويجعل فرص الخير أفضل، واحتمال الشر أقل، أما إذا بدأ الحوار بما هو موضع خلاف أو نزاع، فإن ذلك قد ينسف الحوارمن أوله أو قد يغيّر القلوب ويكدّر الخواطر، ويجعل المتحاورين يفكرون كيف يردّ بعضهم على بعض، أكثر مما يفكرون في صحة الفكرة المطروحة، ويتناقشون في غلبة بعضهم، أكثر مما يتناقشون في خدمة الهدف الذي أقيم من أجله الحوار ابتداءً [574]." لذلك نجد القرآن الكريم عند حوار

([571]) { البقرة: 256 }.

([572]) السماك، **مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي**، ص(89)، (مرجع سابق).

([573]) الطويل، توفيق، **الحضارة الإسلامية والحضارة الأروبية** (دراسة مقارنة)، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ص(95)، بتصرف، (د. ت).

([574]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(56)، (مرجع سابق).

المخالفين في المعتقد يبدأ بعرض البدهيات والمسلمات والدأب على تأكيدها، والتي تلزمهم في النهاية بالإيمان بما أنكروه ابتداءً " [575]. قال تعالى: ((قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {84} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {85} قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ {86} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ {87} قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {88} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ {89})) [576].

رابعاً: "الاعتراف بالآخر واحترامه، لابدّ لنجاح الحوار الحضاري من اعتراف كل المتحاورين بالآخر واحترامه كذلك، أما إذا كان أحد الطرفين لا يعترف بالآخر أصلاً ولا يحترمه حقيقة فلا جدوى من الحوار ولا داعي له، وهو حينئذ ضرب من السخرية والإهانة"[577].

لقد ضرب القرآن الكريم مثلاً أعلى للاعتراف بالآخر ولو كان كافراً، قال: ((وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {24} قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ {25})) [578]. أي إنا لعلى هدى أو في ضلال مبين وإنكم لعلى هدى أو في ضلال مبين، وفي إسناد الجرم إلى المسلمين ونسبة مطلق العمل إلى المخاطبين مع كون أعمال المسلمين من البر الخالص والطاعة المحضة، وأعمال الكفار من المعصية البينة في ذلك من الإنصاف ما لايقدر قدره [579].

خامساً: "معرفة الآخر على حقيقته بواقعية وتجرد، إن معرفة الآخر دون تهوين منه ولا تهويل له هي نصف الطريق إلى الوصول إلى نتيجة ما إيجابية كانت أم سلبية. ثم إن لغة

([575]) الدجاني، **آفاق التعاون**، مجلة الإسلام اليوم، ع12، ص(40)، بتصرف، (مرجع سابق).

([576]) { المؤمنون: 84 – 89 }.

([577]) الإبراهيم، **حوار الحضارات**، ص(239)، (مرجع سابق).

([578]) { سبأ: 24،25 }.

([579]) الشوكاني، **فتح القدير**، ج4، ص(326)، بتصرف، (مرجع سابق).

الحوار قد تختلف من حالة لأخرى ومن حين لآخر، فالحوار مع القوي المعاند غيره مع الضعيف المسالم، والحوار مع المثقف والعالم غيره مع الجاهل المكابر، ولكل من ذلك أسلوبه ولغته ولهجته وخطابه، بل قد يختلف الأسلوب في أول الحوار عن وسطه وآخره، وكل ذلك مرتبط بحال الآخر ومدى تفاعله مع الحوار أو إصراره على التمسك بموقفه، وعلى هذا فلا يليق بحال أن يدخل أحد طرفاً في حوار مع من لا يعرفه على حقيقته، بل من اللازم قبل بدء الحوار أن يكون الآخر واضحاً أمام المحاور، شخصيته وفكره وقدراته وموقعه وإمكانياته المختلفة. إن المسلمين إذا رغبوا أن يحاوروا الحضارات الأخرى يجب عليهم أن يعرفوا طبيعة الحضارة التي يحاورونها معرفة دقيقة بحيث لا يستخفّون بها ولا يهوّلون من شأنها، وهذه بداية الطريق للوصول إلى الهدف، وهو أمر طبيعي بدهي لا يحتاج إلى تدليل أو برهان " [580]. فإذا أردنا أن ننجح في حوارنا مع غيرنا، فلا بدّ من تبادل المعلومات والأفكار والحقائق التي تزيد من معرفة كل فريق بالآخر وتاريخه وحضارته، معرفة تعين على التلاقي على مواطن الاتفاق، ثم العناية بحسن اختيار المحاور بأن يكون متخصصاً في الموضوع ليكون قادراً على التعبير الصحيح [581].

"إنّ الناظر إلى الحضارة الغربية المعاصرة يجد أن بعض رموزها وكتّابها لا يجهل الإسلام فقط، بل إن هناك سوء فهم متعمد لدى الكتّاب الغربيين عن الإسلام، فهم يسيئون فهم الإسلام عن عمد" [582]. وقد ذكر القرآن الكريم هذا المعنى من قبل عن أهل الكتاب فقال سبحانه

([580]) الإبراهيم، **حوار الحضارات**، ص(237، 238)، (مرجع سابق).

([581]) العسّال، **فقه الدعوة والتجديد**، ص(137، 138)، بتصرف، (مرجع سابق).

([582]) العوضي، هشام، **الإسلاميون والحوار مع العلمانية والدولة والغرب**، دار ابن حزم، ط1، (1418هـ - 1997م)، ص(113).

وتعالى: ((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ {146})) [583].

سادساً: "توثيق المعلومات بالأدلة الواضحة الساطعة، لذا يجمل بالمناقش أن يعزو الأفكار إلى مصادرها، وأن يولي الاستشهاد والاقتباس ما يستحقان من عناية، وأن يستعين بذكر الإحصائيات التي تخدم رأيه، والمراجع التي اعتمد عليها، أو التي يمكن الاعتماد عليها في الموضوع محل البحث، فإن الحقائق المجردة أقل تأثيراً في النفوس من سوقها مدعمة بالشواهد المعتمدة، سواء من الكتاب الكريم أو السنة المطهّرة، أو أقوال العلماء والأئمة، إذا كانت مما له صلة بها. ويحسن بالمحاور أن يترك النقول الضعيفة والحجج الواهية التي تضعف الفكرة وتسيء إلى صاحبها، وبخاصة إذا كان في محفل من الناس"[584].

"ومن هنا كان من الضروري عند أي حوار مع الآخر التأكّد والتثبت من صحة أية مقولة تطرح للنقاش والحوار، ويتأكد هذا الأمر أكثر يوم يكون الحوار حضارياً، ويحتمل أن يدخل عامل التضليل والتحريف للحقائق من إحدى الجهات المتحاورة بغرض فرض قيم معينة وأوهام تخدم مصالح مبيّتة وكثيراً ما يحدث هذا، فيوم يكون المحاور المسلم على وعي ويقظة وحذر ودراية بحقائق التاريخ وأصول المنهج العلمي، فلا يمكّن الآخرين من تمرير ما قد يريدون تمريره" [585]. إن هذا الأصل أكّده القرآن العظيم في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ {6})) [586].

([583]) { البقرة: 146 }.

([584]) الندوة العالمية، **في أصول الحوار**، ص(64)، (مرجع سابق).

([585]) الإبراهيم، **حوار الحضارات**، ص(244)، (مرجع سابق).

([586]) { الحجرات: 6 }.

فالآية الكريمة تدل على عدم تصديق الفاسق في خبره، فإن جاء هذا الفاسق بنبأ ممكن معرفة حقيقته، وهل ما قاله فيه حق أو كذب فإنه يجب فيه التثبت. أما مفهوم المخالفة في هذه الآية الكريمة فيدل على أن كل من يأتي بنبأ إن كان غير فاسق فلا يلزم التبين في نبئه. وقوله تعالى: ((أن تصيبوا قوماً)) أي كراهة أن تصيبوا قوماً بجهالة، أي لظنكم النبأ الذي جاء به الفاسق حقاً فتصبحوا على ما فعلتم من أصابتكم للقوم المذكورين نادمين لظهور كذب الفاسق فيما أنبأ به عنهم [587].

([587]) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تحقيق: صلاح الدين العلايلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(د. ط)، (د.ت)، ج5، ص(166)، بتصرف.

المبحث الثالث

أهداف حوار الحضارات

تمهيد:

"لا بد لكل قضية من هدف، ويجب أن يتناسب الهدف مع حجم القضية كماً وكيفاً، وقضية الحوار الحضاري تعدّ من الأمور ذات الخصوصية المتميزة، لأنها تهتم بشأن الأمة وبنائها، فالعيش على رقعة واحدة يفرض التعاون والتآزر من أجل تحقيق سعادة الإنسانية جمعاء، ومبنى هذا الأمر فهم الآخرين على ما هم عليه في حقيقة الأمر، بغرض تيسير التفاهم ومن ثمّ التعاون والتضامن من أجل حقيقة مواجهة الخطر المحدق بالإنسانية قاطبة. وحتى يكون الحوار الحضاري سامياً لابد أن يبحث في العلاقات الحضارية العالمية التي تصل بالأمم إلى إدراك المسارات التي تؤمن لها الحياة السعيدة. ولا بد أن يبحث عن تحقيق أهداف سامية كذلك"[588]. ومن أهم الأهداف التي يسعى الحوار الحضاري لتحقيقها: -

أولاً: "تعزيز القيم والمبادئ الإنسانية التي هي القاسم المشترك بين جميع الحضارات والثقافات، فالحوار الحضاري يسهم بدرجة كبيرة في التقارب بين الشعوب والأمم، وفي إزالة الحواجز المتراكمة من سوء الفهم المتبادل ومن الأفكار المسبّقة القائمة على أساس غير صحيح " [589]. قال تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ)) [590].

([588]) جيدل، عمار، **حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني**، دار الحامد، عمان، ط1، (2003م)، ص(49).

([589]) السماك، محمد، **المنتديات العربية وحوار الحضارات**، مجلة الاجتهاد، بيروت، ع52، (1422هـ - 2002م)، ص(9).

([590]) { آل عمران: 64 }.

فهذا النداء يشكل أساساً لتعزيز عقيدة التوحيد في مقابل الشرك وفي تعزيز القيم الإيجابية والإنسانية التي تقوم عليها الحضارات.

ثانياً: "تصحيح معلومة خاطئة، فبعض الباحثين يتداول أحياناً أفكاراً مغلوطة عن حضارتنا الإسلامية، سواء في وضعها الاجتماعي أو خلفيتها الفكرية المؤسسة للاهتمامات الاجتماعية، وتصحيح هذه الأخطاء يفرض علينا تبني الحوار كمسلك أساسي في التصحيح" [591]. قال تعالى: ((ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) [592].

فالآية الكريمة تحدّد أمرين، أولهما: هدف الحوار هو الدعوة إلى سبيل الله، أي الطريق المؤدي إلى إقامة المنهج الرباني على الأرض.

وثانيهما: أسلوب الحوار ينبغي أن يكون بالحكمة مما يعني أن يكون الحوار الحضاري هادفاً وموضوعياً يسعى إلى تحقيق غاية شريفة يلتقي عليها المتحاورون [593].

ثالثاً: إظهار سماحة الإسلام وتقبله للرأي الآخر، فمن أهم أهداف الحوار الحضاري الإسلامي إظهار عظمة هذا الدين الرباني، فالإسلام رغم كونه دين الله –تبارك وتعالى– وقد قامت على صحته وسلامته من العوج البراهين والمعجزات الخارقات، وخضعت له العقول السليمة والأفكار المتجردة عبر قرون متتالية، لا يريد هذا الدين أن يفرض نفسه بالقوة والإكراه بل يدعو إلى الحوار والاختيار على أساس الاقتناع [594]،قال تعالى: ((لاَ

([591]) جيدل، **حوار الحضارات**، ص(50)، (مرجع سابق).

([592]) { النحل: 125 }.

([593]) بو طالب، عبد الهادي، **عالمية الإسلام، مجلة الاجتهاد**، بيروت، ع52، (1422هـ - 2002م)، ص(52)، بتصرف.

([594]) الإبراهيم، **حوار الحضارات**، ص(215)، بتصرف، (مرجع سابق).

إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)) [595]، وقال أيضاً: ((وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ)) [596]. وهذا لا يعني بأي حال حرية الكفر والإلحاد.

رابعاً: تحقيق التواصل والتضامن، فقد عاشت البشرية وما زالت ويلات الحروب ومضاعفاتها على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لذلك فإن البشرية تحتاج إلى الحوار الحضاري لتحقيق التكاتف والتآزر بين أفرادها للتغلب على ويلات الحروب والفساد في الأرض، فإذا تحقق الحوار الحضاري فإن الثمار والنتائج الطيبة سيذوق طعمها أبناء الحضارات المختلفة [597].

خامساً: "دعوة الإنسانية إلى قيم الحق العليا، فالمسلم يملك المنهج الرباني الذي تقوم عليه الحياة الفاضلة، وهو أيضاً حامل أمانة ورسالة لا يسعه بحال أن ينام عنها أو يحجبها عن الخلق، وليس هذا بملكه ولا باختياره. وهكذا كان حال مؤمن آل فرعون مع قومه وحواره إياهم الحوار الذي يظهر الحرص العميق على هدايتهم لقيم الحق العليا في هذه الحياة " [598]، قال تعالى: ((وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ {28} يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ {29} وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ {30} مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ {31} وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ

([595]) { البقرة: 256 }.

([596]) { الكهف: 29 }.

([597]) جيدل، **حوار الحضارات**، ص(54)، بتصرف، (مرجع سابق).

([598]) الإبراهيم، **حوار الحضارات**، ص(213)، (مرجع سابق).

عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ {32} يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ {33}))[599].

إنه المؤمن المحاور الذي لا يكتفي بأن يستقر الإيمان في قلبه، بل يحرص على حـــوار هادف مخلص يرتبط بخلاص الآخرين في نطاق الهدف الواحد الكبير وهو رفع قيم الحق العليا في ظل شريعة الله تعالى[600]. فالحوار الحضاري هو النمط الأرقى من الحوارات التي تجـــري بين الفئات المثقفة من البشر،وهو لا يرتبط بشكل محدّد،ولا بصيغة معينة، ولا بمكان أو زمان. فلا بد أن يكون للعالم الإسلامي مشاركة فاعلة في أنماط الحوار الحضاري من موقـــع التميـــز الحضاري لهذه الأمة ذات الرسالة الإسلامية السامية [601].

([599]) { غافر: 28 – 33 }.

([600]) فضل الله، **الحوار في القرآن**، ص(375)، بتصرف، (مرجع سابق).

([601]) التويجري، **الحوار والتفاعل الحضاري**، ص(86)، بتصرف، (مرجع سابق).

المبحث الرابع

حوار الحضارات بين التفاعل الحضاري والخصوصية الحضارية

لقد قامت الحضارة الإسلامية على أساس التفاعل الحضاري، فهي لهذه الخاصية ثقافة حوار في المقام الأول، فقد أخذت عن الحضارات السابقة، واقتبست من ثقافات الأمم والشعوب التي احتكت بها، وصهرت حصيلة هذا كلّه في بوتقة التفاعل الحضاري، فكانت حضارة الإسلام، ولا تزال، مثالاً نادراً للتفاعل بين الحضارات. ولقد كان لحيوية الحضارة الإسلامية وقوتها الذاتية الدافعة لها إلى التطور والتقدّم والإبداع، الأثر القوي في نقل روح المدنية إلى العالم الغربي، ولا نغالي إذا أكّدنا على أن الإسلام، وهو دعوة الله إلى الناس كافة، ورسالته – سبحانه – إلى العالمين، هو الدين الذي يدعو إلى التفاعل الحضاري دعوة صريحة قوية، ويحثّ عليه بشدة، على اعتبار أن الحوار الذي نادى به الإسلام، هو في طبيعته وجوهره ورسالته تفاعل حضاري [602]." وهذا التفاعل الحضاري في الإسلام يقوم على منهج متميز، فهو يفرق بين ما هو مشترك إنساني عام مما يتعلق بأمور الحياة المدنية والمعارف الطبيعية الكونية، وبين ما له علاقة بالعقيدة والأخلاق والحياة الاجتماعية والمناهج التربوية التي ترعى المجتمع وتحدّد وجهته السلوكية في الحياة. فما كان مشتركاً فلا مانع من التعاون وتبادل المصالح والمنافع فيه مع الآخرين، بل قد يكون ذلك مطلوباً بحسب ظروف الأمة واحتياجاتها وإمكانياتها. وأما ما كان من قبيل الخصوصية الحضارية التي تختص بها كل أمة بحسب دينها وثوابتها وهويتها الفكرية والأخلاقية والتربوية، فالأصل أن تحافظ الأمة فيه على خصوصيتها وهويتها وتميزها واستقلالها. ويوم نرى عند الآخرين ما قد يستفاد منه، فلا بأس أن نأخذ الحكمة أيّاً كان مصدرها شريطة التمحيص والتدقيق والتصفية وعرض ذلك على موازين الحق وضوابط شريعتنا وثوابتها، فما كان مقبولاً أخذناه، وما كان يعارض قيمنا رفضناه " [603].

([602]) التويجري، **الحوار والتفاعل الحضاري**، ص(82، 83)، بتصرف، (مرجع سابق).

([603]) الإبراهيم، **حوار الحضارات**، ص(218، 219)، (مرجع سابق).

جاء في حديث ضعيف: ((الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها، فهو أحق بها))[604]." إن كثيراً من الباحثين في حوار الحضارات يتوهمون أن أئمة المسلمين اقتبسوا حضارتهم، أو كثيراً من أصولها، من الفلسفة والمعارف اليونانية، أو من أصول الحضارات التي كانت سائدة من حولهم وهذا خطأ واضح ! حيث إن ما فعله علماء المسلمين في إقبالهم على أصول الحضارات المجاورة، كان ترجمة ودراسة و نقداً ليس أكثر مما فعله الغربيون، عندما اتصلوا بأصول الحضارة الإسلامية في أعقاب الحملات الصليبية " [605]. لقد أثبتت التجارب التاريخية في حوار الحضارات أن هناك تجربتين:-

الأولى: تجربة المجتمع الإسلامي في القرنين الأول والثاني، وهي عندما كان المجتمع الإسلامي قوياً ومليئاً بالحيوية، وكانت بإزائه الحضارتان القديمتان العظيمتان، إحداهما: الحضارة الرومانية واليونانية في الغرب، والثانية: الحضارة الفارسية في الشرق، وكانت الحضارتان غنيتين في العلوم والصناعة والثقافة، والمجتمع الإسلامي الذي كان حافلاً بالثقة، اقتطف من هذه الذخائر ما يلائمه وينسجم مع عقيدته وفكره، دون أن يصاب بالرق الفكري والخضوع الزائد، فأخذ جميع ما يناسبه ويجدر به، والذي رآه غير جدير به صاغه في قالبه أولاً ثم وضعه في مكانه المناسب .

الثانية: هي التي مرّ بها المجتمع الإسلامي في القرن السابع عندما استولى التتار على قلب العالم الإسلامي ومركزه، وأصبح المسلمون خاضعين للتتار، وواجه المجتمع الإسلامي في ذلك الحين فاتحاً كان فقيراً قليل البضاعة في الحضارة والعلم والصناعة، ولم تكن لديه فلسفة للحياة، لذلك بدأ التتار ينقلون عن المسلمين الحضارة والعلوم والآداب والأفكار

([604]) ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجة**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الزهد، باب: الحكمة، رقم الحديث (4169)، دار البيان للتراث، (1373هـ - 1954م)، ج2، ص(1395).

([605]) البوطي، محمد سعيد رمضان، **حوار حول مشكلات حضارية**، الدار المتحدة للطباعة، دمشق، ط3، (1410هـ - 1990م)، ص(75).

النبيلة، وأخيراً اعتنق التتار دين الأمة الإسلامية وحضارتها، وصاروا بعد إسلامهم حماة للإسلام، مدافعين عنه، ورافعين رايته [606].

"لقد أقبل المسلمون على التفاعل الحضاري بسرعة يمتصون من حضارات الأمم السابقة كالفرس واليونان، وما كان لدى مختلف الأمم التي التقت مع المسلمين لقاء مودة أو خصام. وقاموا كذلك بتحرير هذه العلوم وتنقيتها من الشوائب وتنميتها وصقلها وإصلاح فاسدها، مسترشدين بالمنهج العلمي العام الذي رسمه للمسلمين مصدرا التشريع الإسلامي العظيمان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كل ذلك فيما لم يكن من خصائص الشريعة بيانه وتحديد أصوله وفروعه كأصول الاعتقاد وأحكام العبادات والمعاملات ونظم الحياة الفردية والاجتماعية"[607]. فلم يكن المسلمون مجرد نقلة، وإنما حلّلوا وأضافوا وابتكروا لأنهم كانوا ينظرون بعين إلى الثقافة اليونانية، وبالعين الآخرى إلى التعاليم الإسلامية [608].

([606]) الندوي، أبو الحسن علي الحسني، **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية**، دار القلم، الكويت، (1400هـ -1980م)، ص(36، 37)، بتصرف.

([607]) الميداني، **الحضارة الإسلامية**، ص(125)، (مرجع سابق).

([608]) الطويل، **الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية**، ص(151)، بتصرف، (مرجع سابق).

الخاتمة

أهم النتائج التي توصّل إليها الباحث

وفي ختام رحلة بحثي عبر الصفحات الماضية، فإنني أضع أهم النتائج التي وقفت عليها من خلال هذا البحث، وهي:

1. الحوار هو نوع من الحديث بين شخصين أو أكثر، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة.

2. الحوار أوسع مدلولاً من الجدال: لأن الجدال يتضمن معنى الصراع، بينما الحوار يتسع له ولغيره.

3. في الحوار الذي دار بين الرسل – عليهم السلام – مع أقوامهم، دلالات كثيرة منها:

أ. القرآن يهتم اهتماماً بالغاً بالحوار، ويحرص على استخلاصه من الشوائب.

ب. أهداف الحوار وغاياته متعددة، فهو يستهدف الحقائق ويقيم عليها البراهين والحجج الدالة على الإيمان.

ج. إن الحوار في القرآن الكريم قد شمل أقوم الطرق وأفضل المناهج، وهو قادر على إقناع الناس جميعاً إذا احتكموا إليه.

د. إن الحوار القرآني يربّي العقل على سعة الأفق، وحب الاطّلاع، والاستدلال لمعرفة الحق، فقد تبيّن من خلال البحث أنه رتبّ النتائج على مقدمات جعلت الخصم يستسلم، لوضوحها للعيان، وقوتها في البرهان.

هـ. إن الحوار في القرآن ركّز على أركان الإيمان، وذلك عن طريق إقامة الحجة والبرهان على البعث والنشور والجزاء.

و. حاور الأنبياء – عليهم السلام – أقوامهم في عباداتهم للأصنام، ولفتوا أنظارهم إلى التأمل والتدبر، ودعَوْهم إلى الاعتبار بالأمم السابقة.

ز. إن الحوار في القرآن يدل على أن الأنبياء – عليهم السلام – جاؤوا بكلمة واحدة هي: لا إله إلا الله، وقضية واحدة وهي: عبادة الله وحده.

4. في الحوار بين موسى – عليه السلام – والعبد الصالح دلالات هامة منها: استحباب الرحلة في طلب العلم، والأدب مع العلماء، والحث على التواضع في طلب العلم، وحسن الأدب مع الله – تعالى – في كل الأحوال.

5. في الحوار القرآني تحذير من الاغترار بالثروة، لأن فيه هلاكاً للمغرور، كما جاء في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف.

6. بيّن الحوار الذي جرى بين الأتباع والمتبوعين أن هناك أسباباً للتبعية منها: الخوف على الأعمار والأموال، والفسق والانحراف، والرغبة في الدنيا ونسيان الآخرة، والذل والهوان لدى الأتباع.

7. أهم أسباب استكبار المتبوعين وإذلالهم لأتباعهم هي: الاستكبار والاستعلاء، واستحواذ الشيطان عليهم، وكفرهم بالله، وتعبيد الأتباع لهم من دون الله.

8. أهم ألوان اتباع الأتباع للمتبوعين هي: متابعة الآباء والأجداد فيما كانوا عليه من باطل وكفر، واتباع أخلاقي يتمثل في الاقتداء بالمتبوعين في انغماسهم في الملذات، واتباع فكري بإلغاء الأتباع عقولهم وأفكارهم والتلقّي عن ساداتهم.

9. سبيل التخلّص من التبعية – كما يظهر من الحوار – يتمثل فيما يلي: الاهتداء إلى الحق، والإقبال على الله – تعالى –، وفهم مقاصد القرآن الكريم وتدبّر نصوصه، وتذكّر المصير البائس للمتبوعين والأتباع في الدنيا والآخرة.

10. إن الواجب على من يتصدّى للحوار، أن يكون على بينة من الموضوع الذي يحاور فيه والقضية التي يجري النقاش فيها، حتى لا يكون بعيداً عن قواعد الحوار وضوابطه، كما أنه ينبغي عليه أن يتزود بالثقافة العامة التي تجعله قوياً في حجته أمام خصومه، ليسهل عليه الوقوف على نقاط القوة والضعف عند خصمه.

11. إن عملية الحوار تتطلب جملة من القواعد والضوابط، ومن أهم هذه القواعد الاحترام المتبادل بين المتحاورين، وعدم الاستعجال بالرد على الخصم، والمحاورة بأفضل الأسماء والألقاب، والهدوء في الحوار، والتركيز على الرأي لا على صاحبه، والبعد عن التعصّب، وإبراز الحقائق الثابتة في الحوار، والرفق واللين، والمداراة والبعد عن المداهنة.

12. إذا أردنا للحوار أن يبقى عذباً رقيقاً، بعيداً عن المهاترة، فلا بد أن يرتبط بمجموعة من الآداب الفاضلة والأخلاق النبيلة، من أجل أن يبقى الفكر متّقداً والعطاء موصولاً، وأبرز تلك الأداب: حسن الصمت والإصغاء، وحسن البيان في الكلام، وضرب الأمثلة الملائمة.

13. من أدق مراحل الحوار، مرحلة إنهائه وختامه، فلا بد للمحاور الناجح أن يحرص على نهاية ملائمة للمحاورة، كإجمال لنتائج الحوار، أو استشارة مختص يقول كلمة الفصل في القضية التي تناولها الحوار، أو غير ذلك.

14. ضرورة توفر الحرية الفكرية عند إجراء الحوار، فإذا أردنا أن ينتهي الحوار إلى نتيجة منطقية، فلا بدّ من حرية الحركة الفكرية، وتجنّب همينة الهزيمة النفسية.

15. لا يمكن للحوار أن ينجح إن لم يحرّر محل النزاع والبحث، فلا بد من تحديد معاني الألفاظ والقضايا التي يجري النقاش حولها، ليسهل الوصول إلى النتائج.

16. التجرّد في الحوار وإخلاص النية لله – تعالى – أساس مهم للمحاور المسلم، حتى ينال رضا الله ويكسب الأجر والثواب.

17. من الأهمية بمكان، أن يبدأ الحوار بداية صحيحة، فبعد تحديد الهدف منه، يفضّل البدء بنقاط الاتفاق بين المتحاورين.

18. أباح الإسلام الحوار والجدال بالتي هي أحسن مع غير المسلمين، باعتباره وسيلة ناجحة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى.

19. إن المسلمين على مدى تاريخهم القديم والمعاصر، أثبتوا أنهم دعاة حوار وتفاهم، وهم يصدرون في ذلك عن مبادىء دينهم وقيمهم الحضارية، وهو أمر يشهد به غير المسلمين في أكثر من مناسبة، ذلك أن الانفتاح على الحضارات والثقافات والحوار معها من المقومات الأساسية للمجتمعات الإسلامية.

20. إن الحوار الذي يراد منه أن تتخلى الأمة عن هويتها وتصوراتها الفكرية، لا يمكن أن يكون تفاعلاً إيجابياً وناجحاً، لأنه بذلك يكون نوعاً من أنواع التبعية الثقافية والفكرية.

21. إن الحوار الذي يدعو إليه الإسلام، لا يعني إلغاء الطرف الآخر، بل إن الهدف منه تمهيد الطريق للتعاون بين بني البشر، دون أن يفرض طرف ثقافته وحضارته على الطرف الآخر، فهو بذلك حوار يحفظ للشعوب هويتها وخصوصيتها الثقافية.

توصيات مقترحة

أوصي في ختام هذا البحث بالدعوة إلى إقامة الندوات والمؤتمرات العلمية لنشر وعـــي إسلامي حول أدب الحوار والخلاف وشروطه وضوابطه.

وأدعو – كذلك – كل داعية غيور إلى الإسهام بقلمه، أو بلسانه، لنشر ثقافة الحوار بين المسلمين، لتضييق الفجوة بينهم، وبث روح الأخوة والمودة بينهم، والعمل والتعاون على القواسم المشتركة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الآيات الكريمة

الرقم	الآية الكريمة	رقمها	السورة	الصفحة
1	وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً	83	البقرة	122
2	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ	104	البقرة	123
3	قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِين	111	البقرة	115
4	الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ	146	البقرة	158
5	وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً	165	البقرة	80
6	إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ	166	البقرة	80
7	وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ	204	البقرة	146
8	لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ	256	البقرة	156، 161
9	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ	258	البقرة	18، 52
10	رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ	258	البقرة	53
11	**قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ**	258	البقرة	53
12	قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ	32	آل عمران	113
13	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى	64	آل عمران	104، 151، 160
14	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ	65	آل عمران	18
15	وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ	135	آل عمران	112
16	وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ	139	آل عمران	154
17	قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ	154	آل عمران	118
18	وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ	159	آل عمران	120
19	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي	1	النساء	1، 149
20	وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال	77	النساء	114
21	أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ	78	النساء	114
22	وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ	83	النساء	118
23	لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ	114	النساء	144
24	يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ	120	النساء	87
25	فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أن تَعْدِلُوا	135	النساء	110
26	وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى	2	المائدة	149

27	وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا	27	المائدة	94، 95
28	لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ	28	المائدة	94، 95
29	إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ	29	المائدة	94، 96
30	فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ	30	المائدة	94، 97
31	فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ	31	المائدة	94
32	يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ	31	المائدة	98
33	وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أَنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ	83	المائدة	137
34	وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ	68	الأنعام	139
35	فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى	76	الأنعام	51
36	لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ	77	الأنعام	50، 51
37	فَلَمَّا رَأى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ	78	الأنعام	51، 140
38	إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي	79	الأنعام	51، 140
39	وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ	108	الأنعام	121
40	فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين	70	الأعراف	40
41	وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا	28	الأعراف	114
42	فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً	37	الأعراف	83
43	قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم	38	الأعراف	84
44	وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ	39	الأعراف	84
45	لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه	59	الأعراف	29، 30
46	قَالَ الْمَلأ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ	60	الأعراف	31
47	أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ	62	الأعراف	114
48	إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وإِنَّا	66	الأعراف	42
49	قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ	67	الأعراف	41، 42
50	قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ	70	الأعراف	40، 41
51	وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ	71	الأعراف	42
52	قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً	188	الأعراف	140
53	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ	24	الأنفال	104
54	إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء	24	يونس	24

55	بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا	39	يونس	142
56	فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ	71	يونس	40
57	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي	25	هود	29
58	أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ	26	هود	29
59	ومَانَراك اتّبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي	27	هود	32، 34
60	وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا	29	هود	33
61	وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ	29	هود	33
62	وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ	30	هود	34
63	وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ	31	هود	34
64	قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا	32	هود	35
65	وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ	34	هود	35
66	أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ	35	هود	139
67	وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ	42	هود	37
68	قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي	43	هود	37
69	إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ	45	هود	37
70	وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ	52	هود	38
71	قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ	53	هود	39
72	إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ	54	هود	39، 40، 41
73	مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ	55	هود	39، 41
74	إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم	56	هود	39
75	فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ	57	هود	39
76	فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً	66	هود	136
77	وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ	67	هود	136
78	كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ	68	هود	136
79	فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ	74	هود	16
80	إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ	75	هود	16
81	قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ	81	هود	137

82	فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا	82	هود	137
83	مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ	83	هود	137
84	وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً	84	هود	55
85	**وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ**	84	هود	55، 56
86	وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ	85	هود	55، 56
87	بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ	86	هود	55، 56
88	يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ	87	هود	57
89	يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ	88	هود	59، 124
90	وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم	89	هود	60
91	وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي	90	هود	60
92	يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ	91	هود	61
93	يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزَّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ	92	هود	61
94	وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ	93	هود	61
95	وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ	94	هود	62
96	كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ	95	هود	62
97	وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً	118	هود	110، 151
98	إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ	119	هود	110، 151
99	وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ	25	يوسف	115
100	وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا	26	يوسف	116
101	وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ	27	يوسف	116
102	فَلَمَّا رَأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ	28	يوسف	116
103	يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ	39	يوسف	104، 125
104	وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاء	21	إبراهيم	86
105	وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ	22	إبراهيم	87
106	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً	24	إبراهيم	25
107	كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ	12	الحجر	138
108	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً	36	النحل	28
109	وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً	112	النحل	85

110	ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ	125	النحل	16، 121، 161
111	وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ	36	الإسراء	155
112	فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ	6	الكهف	122
113	وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء	29	الكهف	113، 161
114	وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا	32	الكهف	74
115	فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ	34	الكهف	10
116	قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ	37	الكهف	10، 75
117	وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ	39	الكهف	76
118	وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ	42	الكهف	77
119	هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ	44	الكهف	77
120	فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ	65	الكهف	66
121	فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ	71	الكهف	68
122	فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غلاماً	74	الكهف	69
123	فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ	77	الكهف	70
124	وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ	41	مريم	47، 48
125	إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ	42	مريم	47، 48
126	يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ	43	مريم	47، 48
127	يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ	44	مريم	47، 49
128	قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ	47	مريم	47، 48
129	اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى	43	طه	121
130	يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ	65	طه	116
131	إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا	73	طه	117
132	وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً	7	الأنبياء	118
133	وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ	25	الأنبياء	28
134	وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ	8	الحج	103، 141
135	أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ	46	الحج	135
136	إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ	25	المؤمنون	36

137	قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا	84	المؤمنون	145، 157
138	لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ	12	النور	117
139	قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ	118	الشعراء	36
140	وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ	215	الشعراء	107
141	وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي	34	القصص	22
142	وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ	55	القصص	138
143	وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ	43	العنكبوت	24
144	إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ	45	العنكبوت	58
145	ولا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إلا	46	العنكبوت	16، 17
146	فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ	52	الروم	139
147	وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا	58	الروم	24
148	وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ	13	لقمان	104
149	ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاس	18	لقمان	106
150	وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ	19	لقمان	105
151	قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ	24	سبأ	157
152	وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى	24	سبأ	17، 111، 125
153	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ	31	سبأ	90، 91
154	وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَ خلا فِيهَا نَذِيرٌ	24	فاطر	29
155	وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ	26	ص	110
156	وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِين	86	ص	22
157	فَاعْبُدِ اللّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ	2	الزمر	143
158	الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ	18	الزمر	135
159	ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَّجُلاً	29	الزمر	26
160	وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ	28	غافر	162
161	حم {1} تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	1	فصلت	133
162	ولا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا	34	فصلت	122
163	فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ	15	الشورى	125
164	وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ	7	الجاثية	112

165	أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ	23	الجاثية	143
166	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ	6	الحجرات	115، 159
167	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوالايَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ	11	الحجرات	108
168	وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا	11	الحجرات	107، 108
169	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم	13	الحجرات	150
170	كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ	20	القمر	40
171	قَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ	1	المجادلة	10، 16
172	يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ	18	المجادلة	88
173	لا يَنْهَاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ	8	الممتحنة	155
174	إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِينَ	9	الممتحنة	155
175	وَلِلّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ	8	المنافقون	154
176	لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً	2	الملك	144
177	وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ	9	القلم	128
178	اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً	10	نوح	30
179	يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً	11	نوح	30
180	وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ	12	نوح	30
181	وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين	5	البينة	143

فهرس الأحاديث الشريفة

الرقم	طرف الحديث الشريف	رقم الصفحة
1-	إن الرفق لا يكون في شيء إلا	123
2-	إنك منا حيث قد علمت من السطة	133
3-	إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء	144
4-	إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليّ	21
5-	إنما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يحدّث حديثاً	22
6-	إن نوفاً البكالي يزعم أن موسى صاحب	64
7-	ائذنوا له بئس أخو العشيرة	127
8-	بينما نحن جلوس عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذات يوم	11
9-	الكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة	122
10-	لا تحقرن من المعروف شيئاً	106
11-	ليس الشديد بالصرعة، إنما	103
12-	لا يدخل الجنة من كان في قلبه	111
13-	ما بال أقوام أو – رجال – يفعلون	108
14-	مثل المدهن في حدود الله والواقع	128
15-	من ستر مسلماً ستره الله	108
16-	هل لك من إبل ؟ قال: نعم.	12
17-	يا رسول الله: ائذن لي في الزنا ! فصاح به الناس	145
18-	يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا	12

التعريف بالأعلام

*** مرتبين حسب حروف المعجم:**

1. أبي بن كعب – رضي الله عنه –:

أبو المنذر أبي بن كعب بن قيس بن عمرو بن مالك بن النجار، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وكان يكتب في الجاهلية قبل الإسلام، وكان يكتب في الإسلام الوحي لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –. شهد – رضي الله عنه – بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – . كان يقرأ القرآن في ثماني ليالٍ. توفي – رضي الله عنه – في خلافة عثمان بن عفان – رضي الله عنه – سنة ثلاثين للهجرة [609].

2. جندب بن جنادة – رضي الله عنه –:

أبو ذر جندب بن جنادة بن كُعيب الغفاري، من السابقين إلى الإسلام [610]. كان أبو ذر – رضي الله عنه – للرسول – عليه الصلاة والسلام – ملازماً وجليساً، سأله عن الأصول والفروع، وعن الإيمان والإحسان، وسأله عن رؤية الله تعالى، وعن ليلة القدر وغيرها. كان يكثر من المواعظ التي تحث على القناعة والزهد، ومن أقواله: يكفي من الدعاء مع البر، ما يكفي الملح من الطعام [611].

([609]) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، **الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت، (د. ت)، ج3، ص(498 – 502).

([610]) **المرجع السابق**، ج4، ص (219).

([611]) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، (1400هـ – 1980م)، ج1، ص(164).

3. سعد بن عبادة – رضي الله عنه –:

أبو ثابت سعد بن عبادة بن دُليم بن حارثة الخزرجي، كان سيّد الخزرج وأحد الأمراء الأشراف في الجاهلية والإسلام، وكان يعرف في الجاهلية بالكامل لأنه يحسن العوم والرمي وكتابة العربية. شهد أحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم–[612]. وكان مشهوراً بالجود والكرم. مات بحوران سنة خمس عشرة للهجرة [613].

4. سعيد بن جبير:

أبو عبد الله سعيد بن جبير الأسدي، تابعي أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر – رضي الله عنهما –، كان تقياً ورعاً كثير البكاء في الليل، وكان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء ؟ قال الإمام أحمد بن حنبل: لقد مات سعيد بن جبير وما على الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه [614].

5. صدي بن عجلان – رضي الله عنه –:

أبو أمامة الباهلي صدي بن عجلان صحابي جليل، سكن حمص، وقدم دمشق، وكان كثير الصيام والعبادة. كان يقول دائماً: عليكم بالصبر فيما أحببتم وكرهتم فنعم الخصلة هي الصبر. وكان آخر من بقي من الصحابة بالشام. توفي سنة ست وثمانين بحمص [615].

6.عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما (أم المؤمنين):

([612]) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج3، ص(613 – 616)، (مرجع سابق).

([613]) العسقلاني، أحمد بن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، (1328هـ)، ج2، ص(30).

([614]) الأصبهاني، **حلية الأولياء**، ج4، ص(272–274)، (مرجع سابق).

([615]) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، **تهذيب تاريخ دمشق الكبير**، تحقيق: عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، ط2، (1399هـ –1979م)، ج6، ص(419–421).

أم عبد الله عائشة بنت أبي بكر الصديق، كبيرة محدثات عصرها ونابغته في الذكاء والفصاحة، ولدت بمكة في السنة الثانية قبل الهجرة، تزوجها النبي – صلى الله عليه وسلم – في السنة الثانية بعد الهجرة، كانت لها مكانة خاصة عند النبي– عليه الصلاة والسلام –.

كانت – رضي الله عنها – تحمل لواء العلم فبرعت في الفرائض والحديث والفقه والشعر والأنساب، واتصفت بشدة الحياء وكثرة العبادة والصدقات والمبرات. توفيت عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – بالمدينة المنورة سنة ثمانية وخمسين للهجرة [616].

7. عبد الرحمن بن صخر الدوسي – رضي الله عنه –:

أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي، اسمه في الجاهلية عبد شمس واسمه في الإسلام عبد الرحمن، كان أكثر الصحابة رواية للحديث، أسلم أبو هريرة عام خيبر مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم، استعمله عمر – رضي الله عنه – على البحرين ثم عزله. توفي سنة سبعة وخمسين للهجرة [617].

8. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون:

أبو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون وليّ الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر. الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحّاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولّى أعمالاً، واعترضته دسائس، وعاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها. وولي فيها قضاء المالكية، كان فصيحاً، عاقلاً، صادق اللهجة، طامحاً للمراتب العليا. ولما رحل إلى الأندلس اهتزّ له سلطانها، وأجلسه مجلسه. اشتهر بكتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر" في سبعة مجلّدات،أولها "المقدمة" وهي تعد من أصول علم الاجتماع. ومن كتبه أيضاً: "شرح البردة"،

([616]) كحّالة، عمر رضا، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، (1402هـ – 1982 م)، ج3، ص(9، 105، 135).

([617]) العسقلاني، **الإصابة**، ج4، ص(202 – 204)، (مرجع سابق).

وكتاب في "الحساب"، ورسالة في "المنطق" وغيرها.توفي ابن خلدون – رحمه الله – في القاهرة سنة (808) هـ [618].

9. عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –:

أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي الصحابي الجليل، حبر الأمة وترجمان القرآن. ولد بمكة ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وروى عنه الأحاديث الصحيحة.وشهد مع علي– رضي الله عنه – الجمل وصفين. كان الناس يأتونه لتعلّم الفقه والشعر والأنساب والمغازي. توفي – رحمه الله – سنة ثمانية وستين للهجرة [619] .

10. عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه –:

أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، من طبقة السابقين المهاجرين، المعروفين بالنسك من المعمرين، القارىء المتقن، والغلام المعلم، والفقيه المفهم. وأول من جهر بقراءة القرآن الكريم بمكة. ومن وصاياه: إنكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة والموت يأتي بغتة. فمن يزرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة، ومن يزرع شراً يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، فمن أعطى خيراً فالله تعالى أعطاه، ومن وقى شراً فالله تعالى وقاه، المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة [620]. ولّي بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – بيت مال الكوفة. ثم قدم المدينة في

([618]) الزركلي، خير الدين، **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال)**، دار العلم للملايين، ط5، (1980 م)، مج3، ص(330).

([619]) **المرجع السابق**، ج4، ص(95).

([620]) الأصبهاني، **حلية الأولياء**، ج1، ص(124–134)، (مرجع سابق).

خـــلافة عثمـــان – رضي الله عنه – فتوفي فيها عن نحو ستين عاماً. وكـــانت وفـــــاته ســـنة اثنتين وثلاثين للهجرة [621].

11. عبد الملك بن قُريب:

أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، الشـــهير بالأصمعي، راويـــة الغرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جدّه أصمع. ومولـــده ووفاتـــه فـــي البصرة. كان كثير الطـــواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفـــاء، فيكافأ عليها بالعطايا الزاهرة الوافرة. قال الأخفش: ما رأينا أحداً أعلم بالشعر مـــن الأصـــمعي. كان أتقن القوم للشعر واللغـــة وأحضرهم حفظـــاً. ومن تصـــــانيفه: "المتـــرادف"، و"الفـــرق"، و"الخيل"، وغيرها. توفي – رحمه الله – سنة ســـت عشرة ومائتين للهجرة[622].

12. عتبة بن ربيعة:

أبو الوليد عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهليـــة. كـــان موصوفاً بالرأي والحلم والفضل، خطيباً، نافذ القول. أدرك الإسلام وطغـــى فشـــهد بـــدراً مـــع المشركين، وقاتل قتالاً شديداً، فأحاط به علي بن أبي طالب وحمزة وعبيدة بن الحارث – رضي الله عنهم – فقتلوه [623].

13. علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –:

أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أمير المؤمنين ورابـــع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم النبي– صـــلى الله عليـــه وســـلم – وصهـــره. وأول الناس إســـلاماً بعد خـــديجة. ولـــد بمكـــة وربّـــي في حجـــر النبي –صـــلى

([621]) الزركلي، **الأعلام**، مج4، ص(137)، (مرجع سابق).
([622])الزركلي، **الأعلام**، مج4، ص(162). (مرجع سابق)
([623]) **المرجع السابق**، ج4، ص(200) .

الله عليه وسلم – ولم يفارقه. وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد. كان بليغاً وفصيحاً ومحباً للعلم، توفي سنة أربعين للهجرة [624].

14. عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –:

أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، أسلم وهو ابن ست وعشرين سنة، شهد بدراً وأحداً والغزوات كلها، وهو أول خليفة دعي بأمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ للمسلمين وأول من جمع القرآن في المصحف، وفتح الفتوح ووضع الخراج ودوّن الديوان، كان زاهداً ومتواضعاً وورعاً شجاعاً وحازماً، وهو أحد العمرين اللذين كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يدعو ربه أن يعز الإسلام بأحدهما. توفي سنة ثلاث وعشرين للهجرة وكان ابن ثلاث وستين[625].

15. الفضيل بن عياض:

أبو علي فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي. روى عن الأعمش ويحيى بن سعيد الأنصاري، وروى عنه سفيان الثوري وسفيان بن عيينه وعبد الله بن المبارك وغيرهم. وهو ثقة حجة عرف بالصلاح والورع. سكن مكة إلى أن مات فيها. توفي سنة سبع وثمانين ومائة [626].

16. مجاهد بن جبر:

أبو الحجّاج المكي مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، شيخ المفسّرين والقرّاء، روى عن ابن عباس – رضي الله عنهما – وأخذ عنه التفسير والفقه، سكن الكوفة وكان كثير

([624]) **المرجع السابق**، ج4، ص(295) .

([625]) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، **صفة الصفوة**، تحقيق: محمود فاخوري ومحمد روّاس، دار المعرفة، بيروت، ط3، (1405هـ – 1985م)، ج1، ص(268 – 290).

([626]) العسقلاني، أحمد بن حجر، **تهذيب التهذيب**، دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، (1327هـ)، ج8، ص(294،295).

الأسفار والتنقل وكان فقيهاً ورعاً عابداً ومتقناً، وقد اختلف في سنة وفاته فقيل: توفي سنة ثنتين ومئة، وقيل سنة ثلاث ومئة [627].

17. محمود بن عمر الزمخشري:

أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي (الزمخشري)، ولد بزمخشر من قرى خوارزم، وقدم بغداد، وسمع الحديث وتفقه، ورحل إلى مكة فجاور بها وسمي جار الله[628]، كان إماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل معتزلي المذهب. وله كثير من التصانيف منها: الكشاف في التفسير، الفائق في غريب الحديث، المفصّل في النحو، جواهر اللغة وغيرها كثير. توفي – رحمه الله – سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة [629].

18. النعمان بن بشير – رضي الله عنه –:

أبو عبد الله النعمان بن بشير بن ثعلبة بن سعد الأنصاري الخزرجي، وأمه عمره بنت رواحة، أخت عبد الله بن رواحة – رضي الله عنه –. ولد قبل وفاة الرسول

– صلى الله عليه وسلم – بثماني سنوات، وهو أول مولود للأنصار بعد الهجرة. روى عنه ابناه محمد وبشير، والشعبي، وعبد الملك بن عمير، وغيرهم.استعمله معاوية – رضي الله عنه – على حمص، ثم على الكوفة. واستعمله عليها بعده ابنه يزيد بن معاوية، وكان هواه مع معاوية وميله إليه وإلى ابنه يزيد، فلما مات معاوية بن يزيد دعا الناس إلى بيعة عبد

([627]) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط2، (1402هـ – 1982م)، ص (449–451).

([628]) كحّالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1376هـ – 1957م)، ج6، ص(186).

([629]) الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، دار الفكر، ط3، (1400هـ – 1980م)، ج19، ص(126، 127).

الله بن الزبير بالشام، فخالفه أهل حمص، فخرج منها، فاتبعوه وقتلوه، توفي سنة أربع وستين في ذي الحجة [630].

19. نوف البكالي:

أبو يزيد نوف بن فضالة الحميري البكالي، وهو ابن امرأة كعب الأحبار وكان إماماً لأهل دمشق، وقع ذكره في الصحيحين في حديث سعيد ابن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب في قصة موسى والخضر – عليهما السلام – وكان راوياً للقصص [631].

20. هند بنت أمية – رضي الله عنها –:

أم سلمة هند بنت أمية زوج رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، هاجرت إلى الحبشة مع زوجها أبي سلمة الهجرتين. قالت أم سلمة: لما أصبت بأبي سلمة قلت: اللهم عندك أحتسب مصيبتي هذه، فلما انقضت عدتها أرسل إليها أبو بكر يطلبها فأبت، ثم أرسل إليها عمر فأبت. ثم أرسل إليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت: مرحباً برسول الله – صلى الله عليه وسلم –. توفيت أم سلمة سنة تسع وخمسين، وقبرت بالبقيع وهي ابنة أربع وثمانين سنة – رضي الله عنها – [632].

([630]) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزريّ، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: محمد إبراهيم ومحمد عاشور، دار الشعب، (د. ت)، مج5، ص (326 – 328).

([631]) العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، ج10، ص(490)، (مرجع سابق).

([632]) ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ج2، ص(40 – 42)، (مرجع سابق).

فهرس الأعلام

الرقم	العلم	الصفحة
1-	أبي بن كعب	64
2-	جندب بن جنادة "أبو ذر الغفاري"	106
3-	سعد بن عبادة	12
4-	سعيد بن جبير	64
5-	صدي بن عجلان "أبو أمامة الباهلي"	145
6-	عائشة بنت أبي بكر الصديق	22، 123، 127
7-	عبد الرحمن بن صخر الدوسي "أبو هريرة "	103، 122
8-	عبد الرحمن بن محمد بن خلدون	148
9-	عبد الله بن عباس	64
10-	عبد الله بن مسعود	111
11-	عبد الملك بن قريب "الأصمعي"	148
12-	عتبة بن ربيعة	133
13-	علي بن أبي طالب	23
14-	عمر بن الخطاب	11، 144
15-	الفضيل بن عياض	144
16-	مجاهد بن جبر	105
17-	محمود بن عمر الزمخشري	80
18-	النعمان بن بشير	128
19-	نوف البكالي	64
20-	هند بنت أمية "أم سلمة"	21

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: تفسير القرآن الكريم.

الألوسي، أبوالفصل شهاب الدين السيد محمود, **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**, ط3، 10مج , دار الفكر، بيروت، (1431 هـ - 1983م).

البغوي، أبومحمد حسين بن مسعود الفراء, تفسير البغوي **المسمى معالم التنزيل**، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، ط1، 4مج, دار المعرفة، بيروت، (1406هـ - 1986م).

البقاعي، أبو الحسن ابراهيم بن عمر, **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط1، 22مج , دار المعارف العثمانية، (1395هـ-1975م).

الثعالبي، سيدي عبد الرحمن بن محمد , **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: أبو محمد الغماري، ط13، مج, دار الكتب العلمية، بيروت، (1416هـ-1996م).

الجزائري، أبوبكر جابر, **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ط2، 4مج , راسم للدعاية والاعلان، جدة، (1407هـ-1987م).

ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي , **زاد المسير في علم التفسير**، ط1، 9مج , المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، (1385هـ-1965م).

حجازي، محمد محمود, **التفسير الواضح**، 3مج , دار التفسير للطباعة، الزقازيق، (1957م).

حسن خان, صدّيق, **فتح البيان في مقاصد القرآن**، 10مج , دار الفكر العربي، (1289هـ)، (د. ط).

الحنبلي، عمر بن علي بن عادل, **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، ط1، 20مج, دار الكتب العلمية، بيروت، (1419هـ-1998م).

حوّى، سعيد, **الأســـاس في التفسير**، ط1، 11مج, دار الســـلام، القاهرة، (1405هـــ-1985م).

أبو حيان، محمد بن يوسف, **البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد وعلي معــوض، ط1، 7 مـــج , دار الكتب العلمية، بيروت، (1413هـــ-1993).

الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، **التفسير الكبير**, 8مج , دار الفكر، بيروت، (1398هـــــ - 1993م)، (د، ط).

رضا، محمد رشيد , **تفسير المنار**, ط، 7مج , الهيئة المصـــرية العـــامة للكتب، (1972م).

الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمـــنهج**, ط1، 16مـــج , دار الفكـــر، بيروت، (1411 هـــ - 1991م).

الزمخشري، أبوالقاسم محمود بن عمر, **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجـــوه التأويل**, 4مج , دار المعرفة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

أبو السعود، محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، **تفسير أبي السعود أوإرشادالعقل الســـليم إلـــى مزايا الكتاب الكريم**, ط1، 5مج , دار الفكر، بيروت، (1401هـــ-1981م).

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد، **تفسير الســمـــــرقندي المســـمى "بحرالعلـــوم"**، تحقيق: علي معوّض وآخرين، ط1، 3مج , دار الكتب العلمية، بيـــروت، (1413هـــــ-1993م).

الشعـــراوي، محمد متولي, **تفسير الشعـــراوي**, 9مج , أخـــبار اليوم، (1411هـــــ-1991م)، (د، ط).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تحقيـــق: صلاح الدين العلايلي, 10مج, دار احياء التراث العربي، (د. ط)، (د. ت).

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد, **فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علـــم التفســـير**، تحقيق: هشام البخاري وخضر عكاري, 5مج, المكتبة العصرية، بيروت، (1418هـــــ-1997م)، (د، ط).

الشيرازي، ناصر مكارم, **الأمثل في تفسير كتاب الله المنـــزل**, ط1، 20مج , مؤسســـة البعثـــة، بيروت، (1413هـــ-1992م).

الصابوني: محمد علي, **قبس من نور القرآن الكريم**, ط1، 8مج , دار الســـلام، (1418هـــــ-1997م).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير, **جامع البيان عن تأويل أي القرآن (مختصـــر وتهـــذيب)**، تحـــقيق: صلاح الخـــالدي, ط1، 7مج , دار القلم، دمشـــق، (1418هـــ-1997م).

ابن عاشور, محمد الطاهر, **التحرير والتنوير**, 15مج، دار سحنون، تونس، (د. ط)، (د.ت).

ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب, **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيـــز**, تحقيق: عبد السلام عبد الشافي, ط1، 5مج, دار الكتب العلميـــة, بيـــروت، (1413هـــــ ـــ1494م).

القاسمي، محمد جمال الدين , **تفسير القاسمي** "**المسمى محاسن التأويل**", تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, ط3، 10 مج, دار الفكر، بيروت، (1385هـــ ـــ1965م).

القرطبي، أبـــو عبد الله محمد بن أحمد الأنصـــاري, **الجامع لأحكام القرآن**, 20 مـــج، (د. ط)، (د. ت).

قطب، سيد، **في ظلال القران**، ط9، 6مج , دار الشروق, (1400هـــ -1980م).

ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر, **تفسير القران العظيم**, ط، 4مج، دار الفكـــر، بيروت, (1401هـــ- 1981م).

مخلـــوف، حســـنين محمد، **صفوة البيان لمعاني القران**, 2مج، دار الفكر، بيروت, (د. ط)، (د. ت).

المراغي، أحمد مصطفى , **تفسير المراغي**, ط5، 10 مج، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (1394هـــ - 1974م).

مغنية، محمد جواد, **التفسير الكاشف**, ط3، 7مج , دار العلم للملايين، بيروت، (1981م).

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، **تفسير النسفي المسمى "بمدارك التنزيل وحقائق التأويل"**, 2مج , دار الفكر، بيروت،(د، ط)، (د. ت).

النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد, **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عادل أحمد وآخرين, ط1، 4مج , دار الكتب العلمية، بيروت، (1415هـ-1994م) .

ثالثاً: القصص القرآني وعلوم القرآن

الخالدي، صلاح الدين عبد الفتاح, **القصص القرآني "عرض وقائع وتحليل أحداث"**, ط1، 4مج , دار القلم، دمشق، (1419هـ- 1998م).

الخطيب, عبد الكريم, **القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور**, 1مج, مؤسسة الرسالة، (1404هـ - 1984م)، (د، ط).

السيوطي, جلال الدين عبد الرحمن، **الإتقان في علوم القرآن**, ط4، 1مج, مطبعة مصطفى البابي، مصر، (1398هـ- 1978م).

السيوطي, جلال الدين عبد الرحمن, **لباب النقول في أسباب النزول**, تحقيق: ياسر عزّب, 1مج, المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د، ط)، (د. ت).

الشعراوي، محمد متولي, **قصص الأنبياء**, 4مج, مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، (1416هـ-1996م)، (د، ط).

طبّارة، عفيف عبد الفتاح, **مع الأنبياء في القرآن الكريم**, ط11، دار العلم للملايين، بيروت، (1982م).

العارف، هشام فهمي، **سيرة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في القرآن المجيد والأحاديث الصحيحة**, ط1، دار البشائر الإسلامية، (1417هـ-1996م) .

عباس، فضل حسن, **القصص القرآني "إيحاؤه ونفحاته"**, ط1، دار الفرقان، عمّان، (1407هـ-1987م).

الفقيهي، علي بن محمد ناصر, **منهج القرآن في الدعوة الى الإيمان**، ط1 (1405هـ-1984م).

ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر, **قصص الأنبيـــاء**, ط1، 1مـــج, دار الفكـــر، بيروت، (1403هـــ- 1983م) .

المولى، محمد أحمد جاد وآخرون, **قصص القرآن**, ط1، 1مج , دار الفكر، بيروت (1389هـــ-1969م) .

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة, **نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيـــد**، ط1، 1مـــج, دار القلم، دمشق، (1410هـــ- 1990م).

النجار، عبد الوهاب, **قصص الأنبياء**, ط2، 1مج , دار الفكر، بيروت، (د. ت).

النشرتي، حمزة وآخرون, **موسوعة القصص القرآني**, 10مج, المكتبة القيمة، القـــاهرة، (د، ط) (د. ت).

رابعاً: الحديث الشريف والسيرة النبوية

ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد, **النهاية في غريب الحديث**, تحقيـــق: طـــاهر الـــزاوي ومحمود محمد, 5مج, المكتبة الإسلامية، (1383هـــ- 1963م)، (د، ط).

الأصبحي، مالك بن أنس, **الموطأ**, تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, 2مـــج , دار إحيـــاء التـــراث العربي، بيروت، (1406هـــ-1985م)، (د، ط).

البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم، **صحيح البخاري**، 3مج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، **دلائل النبوة ومعـــرفة أحـــوال صـــاحب الشـــريعة**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط1، 7مج، دار الكـــتب العلمية، بيروت، (1405هـــ - 1985م).

أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، 4مج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد، **جامع العلوم والحكم فـــي شـــرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، 1مج، المكتبة التوفيقية، (د. ط)، (د. ت).

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي عبد المجيد، ط2، 10مج، مكتبة التوعية الإسلامية، (1405هـ - 1985م).

العسقلاني، أحمد بن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، 14مج، دار الفكر، بيروت، (1379هـ)، (د، ط).

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجة**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، 2مج، دار البيان للتراث، (1373هـ - 1954م)، (د، ط).

مسلم، أبو الحسين محمد بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، 5مج، دار الفكر، بيروت، (1403هـ - 1983م)، (د، ط).

النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف، **صحيح مسلم بشرح النووي**، ط2، 9مج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1392هـ - 1972م).

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، **سيرة النبي صلى الله عليه وسلم**، 4مج، دار الفكر، بيروت، (1401هـ 1981م)، (د، ط).

خامساً:- الدعوة والتزكية والأدب والفكر

إسماعيل، طالب بن محمد، **أساليب المحاورة في القرآن الكريم**، 1مج، دار زهران، (د.ط)، (د.ت).

الألمعي، زاهر عواض، **مناهج الجدل في القرآن الكريم**،1مج، مطبعة الفرزدق، (د. ط)، (د. ت).

إلهي، فضل، **من صفات الداعية (اللين والرفق)**، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، (1411هـ - 1991م).

بكّار، عبد الكريم، **مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي**، ط1،1مج، دار القلم، دمشق، (1420هـ- 1999م).

البيانوني، محمد أبو الفتح، **المدخل إلى علم الدعوة**، ط3،1مج، مؤسسة الرسالة، (1415هـ- 1995م).

ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، **العبودية في الإسلام**، تفسير قول الله تعالى: "يا أيها الناس اعبدوا ربكم"، ط3، المطبعة السلفية، القاهرة، (1398هـ).

جريشة، علي، **مناهج الدعوة وأساليبها**، ط1، دار الوفاء، (1407 هـ - 1986م).

جريشة، علي، **أدب الحوار والمناظرة**، ط1، دار الوفاء، المنصورة، (1410هـ - 1989م).

الحاشدي، أبو عبدالله فيصل بن عبده، **فن الحوار" أصوله، آدابه، صفات المحاور**"، امج، دار الإيمان، الإسكندرية، (د. ط)، (د. ت).

ابن حبان، أبو حاتم محمد بن معاذ، **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، 1مج، دار الكتب العلمية، بيروت، (1379 هـ- 1977م)، (د، ط).

الحبيب، طارق بن علي، **كيف تحاور؟ "دليل علمي للحوار**"، ط1، دار البيت العتيق، (1422هـ- 2002م).

حفني، عبد الحليم، **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1985م).

حلمي، أمين، **الحوار الفكري في القرآن الكريم "المناظرة، والجدال والمحاجة**"، ط1، دار النهضة الإسلامية، (1997م).

الحمادي، علي، **منهجية التعامل مع الشبهات وقواعد دحضها**، 3ج، دار ابن حزم، بيروت، (1420هـ - 1999م)، (د، ط).

ابن حميد، صالح بن عبد الله، **معالم في منهج الدعوة**، ط1،1مج، دار الأندلس الخضراء، جدة، (1420هـ - 1999م).

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **الأتباع والمتبوعون في القرآن**، ط1، دار المنار، عمان، (1417هـ - 1996م).

ديماس، محمد راشد، **فنون الحوار والإقناع**، ط1، دار ابن حزم، (1420هـ - 1999م).

الرحيلي، عبد الله بن ضيف الله، **قواعد ومنطلقات في أصول الحوار وردّ الشبهات**، ط1، دار المسلم، الرياض، (1414هـ- 1994م).

أبو الروس، أيمن، **كيف تكون محدثاً لبقاً وتؤثر في الناس ؟**، مكتبة ابن سيناء، القاهرة، (1417هـ- 1996م)، (د، ط).

زيدان، عبد الكريم، **أصول الدعوة**، ط2، 1مج، مؤسسة الرسالة، (1407هـ - 1987م).

الشيخلي، عبد القادر، **أخلاقيات الحوار**، دار الشروق، عمان، (1993م)، (د، ط).

الطريقي، عبد الله بن إبراهيم، **فقه التعامل مع المخالف**، ط1، دار الوطن، الرياض، (1415هـ).

طنطاوي، محمد سيد، **أدب الحوار في الإسلام**، 1مج، دار نهضة مصر، (1417 هـ - 1996م)، (د، ط).

عبد العزيز، جمعة أمين، **الدعوة "قواعد وأصول"**، ط2، دار الدعوة للطباعة الإسكندرية، (1409هـ - 1989م).

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، **العقد الفريد**، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، ط1، 4 مج، المكتبة العصرية، بيروت، (1419هـ - 1998م).

عبيد، منصور الرفاعي، **الحوار "آدابه وأهدافه"**، ط1، مركز الكتاب للنشر، مصر، (1424هـ - 2004م).

عثمان، أكرم مصباح، **الأسرار العجيبة للاستماع والإنصات**، ط1، دار ابن حزم، بيروت، (1421هـ - 2000م).

العثمان،حمد بن إبراهيم، **أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة**, ط1، 1مج، مكتبة ابن القيم، (1422هـ - 2001 م).

العسال، أحمد محمد، **مفاهيم أساسية في فقه الدعوة والتجديد**، تحقيق: عبد الحميد قطب، دار التوزيع والنشر الإسلامية، (1418هـ - 1997م)، (د، ط).

العلواني، طه جابر فياض، **أدب الاختلاف في الإسلام**، ط3، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (1407هـ - 1987م).

عمارة، محمود محمد، **من أجل حوار لا يفسد للود قضية**، ط1، 1مج، مكتبة الإيمان، المنصورة، (1421هـ - 2000م).

العوضي، هشام، **الإسلاميون والحوار مع العلمانية والدولة والغرب**، ط1، دار ابن حزم، بيروت، (1418هـ - 1997م).

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، ط1، 5 مج، دار الوثائق، القاهرة، (1420 هـ - 2001 م).

فضل الله، محمد حسين، **في آفاق الحوار الإسلامي – المسيحي**، ط2، 1 مج، دار الملاك، بيروت، (1418هـ - 1998م).

فضل الله، محمد حسين، **الحوار في القرآن "قواعده، أساليبه، معطياته"**، ط6، 1 مج، دار الملاك، بيروت، (1421هـ - 2001 م).

كارنيجي، دايل، **كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس؟**، المكتبة الثقافية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

اللبّودي، منى إبراهيم، **الحوار "فنياته واستراتيجياته وأساليب تعلمه"**، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، (1413هـ - 2003م).

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، **أدب الدنيا والدين**، تحقيق: مصطفى السقا، 1مج، دار الكتب العلمية، بيروت، (1398هـ - 1978م)، (د، ط).

مشهور، مصطفى، **من فقه الدعوة**، 2 مج، دار التوزيع، (1415هـ - 1995م)، (د،ط).

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة**، 1 مج، دار القلم، دمشق، (1414هـ- 1993م)، (د، ط).

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، ط1، 2 مج، دار القلم، دمشق، (1417هـ - 1996م).

النحلاوي، عبد الرحمن، **التربية بالحوار**، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، (1421هـ- 2000م).

الندوة العالمية للشباب الإسلامي، في أصول الحوار، دار التوزيع والنشر الإسلامية، (1419هـ- 1998م)، (د، ط).

هلال، محمد عبد الغني حسن، **مهارات إدارة الحوار والمناقشات**، ط1، مركز تطوير الأداء، مصر، (1999- 2000م).

الهيتي، عبد الستار إبراهيم، **كتاب الأمة "الحوار: الذات والآخر"**، ط1، دار الكتب القطرية، قطر، (1425هـ - 2004 م).

الوكيل، محمد السيد، **أسس الدعوة وآداب الدعاة**، ط2، دار الوفاء، المنصورة، (1406هـ - 1986م).

سادساً: الحضارة الإسلامية

الإبراهيم، موسى إبراهيم، **حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل**، ط1، 1 مج، دار الإعلام، عمان، (1423هـ - 2003م).

البوطي، محمد سعيد رمضان، **حوار حول مشكلات حضارية**، ط3، الدار المتحدة للطباعة، دمشق، (1410هـ - 1990م).

جيدل، عمار، **حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني**، ط1، دار الحامد، عمان، (2003 م).

الحسن، محمد علي، العلاقات الدولية في القرآن والسنة، ط1، 1 مج، مكتبة النهضة الإسلامية، عمّان، (1400هـ - 1980 م).

حسين، محمد محمد، **الإسلام والحضارة الغربية**، (د. ن)، (د. ت).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة العلامة ابن خلدون**، 1 مج، دار الفكر، (د. ط)، (د. ت).

السمّاك، محمد، **مقدمة إلى الحوار الإسلامي**، ط1، المسيحي، دار النفائس، بيروت، (1418هـ- 1998م).

الطويل، توفيق، **الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية "دراسة مقارنة"**، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، (د. ط)، (د.ت).

الكروي، إبراهيم سلمان، **المرجع في الحضارة الإسلامية**، مركز الإسكندرية للكتاب، (1999م)، (د، ط).

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها**، 1مج، دار القلم، دمشق، (1418هـ - 1998م)، (د، ط).

الندوي، أبو الحسن علي الحسيني، **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية**، دار القلم، الكويت، (1400هـ - 1980 م)، (د، ط).

سابعاً: معاجم اللغة والبلدان

الأصفهاني، أبو القاسم الحسن بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، ط1، 2 مج، مكتبة نـــزار مصطفى الباز، (1418 هـــ - 1997 م).

البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقـــاع**، تحقيق: علي البجـــاوي، ط1، 3 مج، دار المعرفـــة، بيروت، (1373هـــ - 1954م).

الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربيـــة"**، ط3، 6مـــج، دار العلـــم للملايين، (1404هـــ - 1984م).

الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، **معجـــــم البلـــدان**، 5 مـــج، دار صـــادر، بيـــروت، (1404هـــ - 1984م)، (د، ط).

عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، 1مـــج، دار الفكـــر، بيـــروت، (1401هـــ - 1981م)، (د، ط).

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، **معجـــــم مقـــاييس اللغـــة**،6مـــج، دار الفكـــــر، (1399هـــ - 1979م)، (د، ط).

مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، 2مج، دار إحياء التراث، (د.ط)، (د.ت).

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لســـان العـــرب**، 15مـــج، دار صـــادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

ثامناً: التاريخ والتراجم والسير

ابن الأثير، ابو الحسن علي بن محمد الجزري، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: محمـــد إبراهيم ومحمد عاشور، 7مج، دار الشعب، (د.ط)، (د.ت).

الأصبهاني، ابو نعيم أحمد بن عبد الله، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ط3، 6مج، دار الكتاب العربي، بيروت، (1400هـــ - 1980م).

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، **صفة الصفوة**، تحقيق: محمد فاخوري ومحمد روّاس، ط3، 4مج، دار المعرفة، بيروت، (1405هـ - 1985م).

الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، ط3، 10مج، دار الفكر، بيروت، (1400هـ - 1980م).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط2، 25مج، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1402هـ -1982م).

الزركلي، خير الدين، **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال)**، ط5، 8مج، دار العلم للملايين، بيروت، (1980م).

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، **الطبقات الكبرى**، 9مج، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، **تهذيب تاريخ دمشق**، تحقيق: عبد القادر بدران، ط2، 7مج، دار المسيرة، بيروت، (1399هـ - 1979م).

العسقلاني، أحمد بن حجر، **تهذيب التهذيب**، ط1، 12مج، دائرة المعارف النظامية، الهند، (1327هـ).

العسقلاني، أحمد بن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ط1، 4مج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1328هـ).

كحّالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، 8مج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1376هـ - 1957م)، (د، ط).

كحّالة، عمر رضا، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ط4، 5مج، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1402هـ - 1982م).

تاسعاً: الدوريات والمجلات الإسلامية

التويجري، عبد العزيز بن عثمان، **الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي، مجلة الإسراء**، ع20، فلسطين، (1419هـ - 1998م).

الدّجاني، أحمد صدقي، **آفاق التعاون بين العالم الإسلامي والمجتمعات الأخرى واستشرافها بالحوار، مجلة الإسلام اليوم**، ع12، قطر، (1415هـ - 1994م).

السمّاك، محمد، **المنتديات العربية وحوار الحضارات، مجلة الاجتهاد**، بيروت، ع52، (1422هـ - 2002م).

الميلاد، زكي، **تعارف الحضارات، مجلة الكلمة**، ع16، بيروت، (1997م).

An- Najah National University

Faculty of Graduate Studies

Dialogue in the Holy Qur'an

Prepared by

Ma'en Mahmoud Othman Damrah

Supervised by

Dr Mohammed Hafiz Al- Shraydeh

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Islamic Law (Shari'a) in Usol Ad - Din, Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2005

Dialogue in the Holy Qur'an

Prepared by
Ma'en Mahmoud Othman Damrah

Supervised by
Dr Mohammed Hafiz Al- Shraydeh

Abstract

My research consists of an introduction and four chapters. In the introduction, I clarified the concept of "dialogue" linguistically and conventionally I also explained the most important differences between the dialogue and argument.

In the first chapter, I introduced patterns of the dialogue in the Holy Qur'an through dialogue among messengers – peace be upon them –with their people. Besides to that, I explored the dialogue between Moses – peace be upon him – and the good man, Al Khader, in addition to the dialogue among the disciples and the masters who misled them on the day of resurrection. Finally, I came up with the most important lesson or advice from the dialogue in these examples.

In the second chapter, I discussed the principles of the dialogue and persuasion, beginning with the mutual respect among the talkers, then searching for the truth, and I ended this chapter by "kindness, flexibility, and gentleness" .

In the third chapter, I dealt with the rules of the dialogue and debate which include: active listening, the personality of the talker, the strategy of

ending the dialogue. Finally, I came up with several useful tips for a successful dialogue.

In the fourth chapter, I dealt with the dialogue of cultures with the respect of "Holy Qur'an", and I explained its rules and objectives. I came up with rules and morals which must be taken into consideration so as to make the dialogue constructive and successful.

I also recommended all preachers and talkers to be committed to these rules and moral.